القسم الخامس

الوعاء التنظيمي للثورة العربية

البحوث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- مالك الأمين (الجمهورية العربية السورية)
- عبد المنعم الغزالي (الجمهورية العربية المتحدة)
- مفيد شهاب (« « «)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوعي التنظيمي للثورة العربية

بحث : مالك الأمين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشأة الحزب الثوري

ان النشاط السياسي يختلف حسب درجة التطور وحسب إتساع العملية الاجتماعية. فقبل الانتقال الى المجتمع البرجوازي كان النشاط السياسي يتألف من رشوة الأسياد والاحتماء بهم ، أما في مرحلة الانتقال فقد اعتمدت الحركة العفوية للجماهير ، واستطاعت البورجوازية ان تسيطر على هذه الحركة العفوية بقوتها المادية ، ولكن مع تطور المجتمع البورجوازي أصبحت حركة البورجوازية تستلزم صيغاً أخرى . وقد اخترعته البورجوازية هذه الصيغ وكانت متكاملة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

ان نمو البورجوازية الرأسمالية أدخلها في صراعات نابعة من تناقضات داخلية وخارجية .وكانت الدولة أداة أساسية في هذه الصراعات ، ويجب أن تكون في يد البورجوازية ، ولكي يتحقق ذلك لا بد أن يرافق التمركز المادي تمركز بالقوة السياسية ، وكما كان للاقطاعي كتلته ، كذلك يجب ان يكون للبورجوازي كتلته ، وكتلة البورجوازي كانت هي الحزب . لقد إنتقلت البورجوازية مع نموها من نطاق

الحركة العفوية الى نطاق الحركة المنظمة ، فالاستثمار أصبح أكثر فأكثر عملية سياسية مخططة ومنظمة بدقة أكبر فأكبر ، والحزب كان اداة البورجوازية الاساسية في تحركها السياسي .

ولكن نمو البورجوازية أدى الى نمو آخر في المجتمع هو نمو الجماهير الكادحة الفقيرة ، فتراكم الثروة أدى الى تراكم البؤس ، غير أن الجماهير الفقيرة كانت موجودة دائماً في المجتمعات السابقة للمجتمع البورجوازي ، إلا أن شروط الانتاج في المجتمع البورجوازي ادخل معطيات جديدة لم تكن موجودة سابقاً ، وبصورة خاصة خلق تجمعات بشرية كبيرة وربطها بعلاقات معقدة متشابكة ممتدة الى سائر اجزاء الكرة الأرضية ، وسخرت البورجوازية الطاقات البشرية بالجملة ووزعتها على مؤسساتها العديدة الواسعة في المصانع والاحزاب والجيوش والادارات ومراكز الابحاث وفي كل المجالات. والقطاعات والمجتمعات البشرية العديدة تسير بالقسر . وبالقسر لأنها لاتملك وسيلة الانتاج فتضطر الى تأجير قوة عملها ، أو بالقسر تحت سلطة الدولة، أو بالقسر تحت قوانين السوق، أو بالقسر تحت وطأة الاحتلال ، او تحت سلطة البورجوازيات الملحقة .

وهذه المعطيات التي تعرضنا لها في أمكنة أخرى اعطت للصراعات المختلفة أشكالا جديدة هي غير الأشكال التي كانت موجودة في المجتمع القديم ، وتختلف عنها كما وكيفاً ، فهي تختلف بطبيعتها واتساعها وحدتها وسرعتها واستمرارها وانتقالاتها المتتابعة من شكل لآخر .

الا ان كل صراعات المجتمع البورجوازي المثارة ضد البورجوازية يمكن تصنيفها الى نوعين كبيرين : النوع الاول هو المعاكس لخط التطور وهـذا كان ينتهي دوماً الى الفشل ويؤدي الى المزيد من تمركز القوة المادية بيد البورجوازية الى ان وصلت الى حالتها الراهنة . مثلاً صراع البورجوازية الصغيرة مع البورجوازية الكبيرة كان يؤدي دوماً الى سحق الأولى وتدميرها والى الحاقها أخيراً بالبورجوازية الكبيرة ، وكذلك صراع الارستقراطية مع البورجوازية للعودة الى المجتمع القديم ، وكذلك صراع الحرفة مع ادخال الآلة الى الانتاج ، وكذلك صراع العمال مع الآلة أو صراعهم مع منافسة البضائع الاجنبية ، وكذلك صراع البلدان المختلفة للحفاظ على انماطها الاجتماعية القديمة الخ، فكل هذه النماذج من الصراعات معاكسة لخط التطور ، ولذلك كانت فاشلة ومنحت البورجوازية المزيد من التجربة والمزيد من التمركز والمزيد من القوة والسيطرة في مجتمعاتها وعلى مناطق واسعة من العالم . أما النوع الثاني من الصراعات فهو المساير لخط

التطور ، أي يهدف الى تجاوز المجتمع البورجوازي والوصول الى مجتمع متقدم عليه ، وهذا النوع هو الذي يقوى باستمرار ويحقق انجازات كبيرة ويدخل معطيات جديدة الى المجتمع العالمي . وهذا النوع من الصراعات لايمكن ان تقوم به سوى الجماهير الكادحة التي تؤلف النقيض الأساسي البورجوازية . وليس معنى ذلك ان الجماهير لا تقوم إلا بصراع ثوري ، بالعكس لقد رأينا أنها تدخل في كل الصراعات الأخرى تحت زعامة البورجوازية والرجعية، ولكنها وحدها القادرة على القيام بصراع ثوري ومن أجل ذلك يجب أن تقطع مرحلة من التطور وتصل الى ما سميناه بنقطة التحول الثورية .

والجماهير لاتصل الى نقطة التحول هذه إلا من خلال صراعاتها الأخرى وعبر تجارب طويلة قاسية . لأن الطبقات الفقيرة ليست فقيرة بالوسائل المادية الضرورية لمعيشتها فقط ، وانما أيضاً بالامكانات الأخرى اللازمة لتثقيفها وتحويلها وتنظيمها قوة اجتماعية . وكان ذلك مستحيلا لو كان بالامكان إبقاء الطبقات الفقيرة معزولة ، غير ان حاجة الطبقات البورجوازية اليها تقلب المعطيات ... ان الصفة البورجوازية نفسها تستند الى تسخير الطبقات الفقيرة ، ولولا هذا التسخير لما كانت تلك الصفة موجودة أصلاً . فالبورجوازية بحاجة للطبقات الفقيرة في معاركها المختلفة السياسية والاقتصادية . ونتيجة لذلك تحصل هذه الطبقات على الوعي التنظيمي والسياسي وتنتقل من الولاء للبورجوازية الى مختلف المراحل السلبية . وخلال المراحل السلبية يبدأ الحزب الثوري بالتكون كتعبير عن ارادة الطبقات الفقيرة بازاحة السيطرة البورجوازية والحلول محلها .

ان الجماهير لا تبدأ بالتحول الى قوة اجتماعية تعمل لحسابها إلا في اللحظة التي تنتقل فيها الى الكفاح المنظم، حينئذ يصبح لها دور خاص بها في الصراعات الجارية ، وهذا لايمنع ان يكون لها دور دائم ، ولكن الدور السابق للكفاح المنظم هو لحساب غيرها ، أما الدور الثوري فلا يمكن أن يبدأ الا في المرحلة التي تنظم بها نفسها ، أي في المرحلة التي يبدأ فيها الحزب الثوري بالتكون .

والحزب الثوري هو نتيجة تراكم الوعي السياسي والتنظيمي لدى الجماهير فيؤلف بذلك مرحلة متقدمة بالنسبة للاحزاب البورجوازية ولكنه لايختلف عنها بدرجة التطور فحسب ، وانما يختلف ببنائه الايديولوجي التنظيمي والطبقي ويختلف بوظيفته الاجتماعية .

ان ايدولوجية الأحزاب البورجوازية على اختلافها تدور كلها حول محور واحد هو محور القيم المثالية التي انتجها المجتمع البورجوازي نفسه . أما الايديولوجية الثورية فهدفها إنهاء المرحلة البورجوازية ، وبالتالي تجاوز المجتمع البورجوازي الى مجتمع اكثر

تقدماً، ولذا فان القيم والمفاهيم التي تحملها الايديولوجية الثورية تنتمي الى مجتمع آخر وتحليل غير التصور والتحليل البورجوازيين لمسيرة التطور الانسانية ، واذا دخلت بعض قيم المجتمع البورجوازي أحياناً في الايديولوجية الثورية فانها تكون بذلك اما جزئياً ولمرحلة، أو نتيجة لتكامل المعارف الانسانية وتواصلها عبر التاريخ ، فهذه الايديولوجية تتبنى القيم الاكثر تقدماً ضد الأوضاع الاكثر تخلفاً ، ولكن هذا التبني ليس نهائياً وانما حتى تتغير معطيات المجتمع القائم الذي يعمل فيه الحزب الثوري .

وتنظيم الحزب الثوري يختلف عن تنظيم الحزب البورجوازي بهيكله العام من جهة وبطبيعة الانتماء من جهـــة أخرى . بالنسبة للهيكل التنظيمي فان الاحزاب الثورية استوحته من مقتضيات العمل السري ومقتضيات الحفاظ على وحدة الحزب ووحدة التحرك السياسي، ولذلك جاء الهيكل التنظيمي متشابها بالنسبة لكل الاحزاب الثورية وقد اقتبست منه الأحزاب البورجوازية بعض الملامح ولكنها بقيت تختلف عنه بنقاط أساسية أهمها أن الاحزاب البورجوازية لاتنظم الجماهير وانما تلحقهم باطاراتها القيادية وتسخرهم في تحركاتها . أما بالنسبة لطبيعة الانتماء فان الحزب الثوري يفرض الالتزام الموحد والمنظم بالعمل الثوري بينما الأحزاب البورجوازية تفترض الولاء لزعمائها أو أي التزام تتطلبه طبيعة نشاط تلك الأحزاب ، وهو ما لايتم الا من خلال ذلك الولاء .

أما البنية الطبقية للاحزاب الثورية فهي تتألف بالضرورة من الجماهير. واذا كانت البنية الطبقية غير ذلك فان هذه الاحزاب تفقد صفتها الثورية ، الا أن هذه الاحزاب لايمكن أن تنشأ الا اذا انتج المجتمع عدداً كافياً من المثقفين الثوريين الذين يرفضون المجتمع البورجوازي ويرفضون بصورة خاصة الامتيازات التي يمكن أن يمنحها لهم هذا المجتمع ويضعون امكاناتهم في طريق الثورة . ووجود هؤلاء المثقفين يخلق بالاضافة الى ضرورة وجودهم منعكسات عديدة على العمل الثوري . وتختلف بنية الاحزاب البورجوازية بالطبع فالجماهير لاتظهر هنا الا ككم ملحق بالاطارات الفاعلة والمحركة والتي تتألف من البورجوازية والمقربين الموثوقين من عملائها .

ومن الواضح أن الوظيفة الاجتماعية للحزب الثوري هي تنظيم الجماهير الكادحة وتحويلها الى قوة اجتماعيـــة وقيادة الكفاح ضد البورجوازية والنظام البورجوازي والوصول عبر مراحل شاقة طويلة الى المجتمع اللاطبقي، أما الأحزاب البورجوازية فان وظيفتها الدخول في الصراعات الآنية القائمة وتعديل ميزان القوى في المجتمع البورجوازي نفسه لصالح الفئة البورجوازية التي تقود الحزب وتحركه . والفوارق هنا عديدة بين

وظيفة آنية وبين تجاوز المجتمع البورجوازي وحمايته أو الحفاظ عليه ، وبين صراع قائم على التناقض الأساسي بين البورجوازية والجماهير وصراع قائم على التناقضات بين فئات البورجوازية ، الخ .

وإذا كانت هذه الفكرة الأولية عن الحزب الثوري وعما يميزه عن الأحزاب البورجوازية ضرورية ، فمن الضروري أيضاً أن نؤكد نقطتين أساسيتين :

الأولى : هي أن الحزبين الثوري والبورجوازي كلاهما أداة للعمل السياسي المنظم ؛ الأول بيد الجماهير الكادحة ، والثاني بيد البورجوازية .

والنقطة الثانية : هي أن منشأ الحزب الثوري يعود في جذوره إلى التحرك السياسي البورجوازي ، أي الى الاحزاب البورجوازية ، ولذلك على الرغم من الصفات النظرية الاجمالية التي اعطيناها للحزب الثوري ، فان الأحزاب الثورية الواقعية التي لعبت أدواراً هامة وتاريخية في العالم لم تكن منزهة عن الشوائب والرواسب المنتقلة اليها من المجتمع البورجوازي ومن العلاقات البورجوازية ولكنها استحقت الصفة الثورية لانها حققت انجازات ثورية . وما كانت قادرة على ذلك لولا انها نظمت صفوف الجماهير وكانت أداة لها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأصول البورجوازية للحزب الثوري هي التي جعلتـه لايظهر الا بعد ان عرف المجتمع البورجوازي التنظيم الحزبي وقامت فيه الاحزاب السياسية بادوار عديدة داخلية وخارجية ، وخلقت بذلك تراكم الوعي السياسي والتنظيمي لدى الجماهير وهيأت المناخ الضروري لظهور الأحزاب الثورية . ولكن الجماهير على الرغم من ذلك لم تستطع بسهولة ان تنشىء احزابها الثورية بسبب ضعف امكاناتها المختلفة الضرورية لانشاء الحزب ولا سيما ان الحزب الثوري ممنوع ومحرم في كل المجتمعات البورجوازية ويجب أن ينشأ في ظروف صعبة وسرية . والمحاولات التي بذلت في القرن التاسع عشر ضربت بقسوة وصفيت ؛ ومع ذلك استمر وجود الحلقات السرية المبعثرة في مناطق مختلفة واستمر التيار الثوري كتيار فكري مطارد أو مسخر من قبـل البورجوازية . وظهرت الأحزاب الوسطى الاصلاحية في أوربا الغربية قبل ظهور الأحزاب الثورية ، التي لم تظهر الا كبداية لمرحلة النضوج الثوري في العالم . ولكن الاحزاب الثورية كلها واجهت الصعوبات التي يمكن أن نسميهـا بصعوبات المنشأ وتعرضت لكثير من التعثر والتناقضات والانشقاقات .

وتأتي صعوبات المنشأ نتيجة لعوامل عديدة مادية ونظرية .

ان قضية الثورة تطرح في المجتمع نظرياً وعملياً في الوقت نفسه . فهنـــاك حركة التمرد العفوية للجماهير ورد فعل السلطات الرجعية والبورجوازية على هذه الحركة بعمليات القمع . والفعل ورد الفعل يطرحان القضية الثورية عملياً ويحولانها الى مسألة مثارة في الاذهان . وهناك التيار الثوري الفكري الموجود في كل المجتمعات والمنتشر بين المثقفين ، وهذا التيار يطرح القضية الثورية نظرياً ويغتني بالتجربة الجماهيرية في المجتمع نفسه أو في المجتمعات الأخرى . وعندما تتبلور القضية الثورية كتجربة لدى الجماهير وكأيديولوجية لدى المثقفين يبدأ الحزب الثوري في التكون وتكون نواته الاولى بعض حلقات النقاش وبعض حلقات العمل .

ولكن عند الانتقال الى مرحلة تأليف الحزب وعندما تبدأ فعلا عملية التنظيم فان الفكرة تنتقل حينئذ من حيزها الفردي الى الحيز الجماعي وتنتقل في الوقت نفسه من الحيز النظري الى الحيز التطبيقي ، وحلقات العمل أيضاً تمر في عملية انتقال من الشكل العفوي الفردي الى الشكل المنظم ومن الفعل الآني الى الفعل المستمر .

وهذه الانتقالات كلها تتفاعل مع الواقع الاجتماعي من جهة ، ومع العلاقات البورجوازية المتخلفة القائمة في المجتمع .

ويمكن أن نتصور من خلال هذه الصورة العامة جداً نوعية الصعوبات التي يمكن ان تنشأ . هناك أولاً ما يمكن ان نسميه بتنازع الارتباط ، فالحزب الثوري يخلق أو المفروض ان يخلق علاقات ثورية جديدة بالنسبة للعلاقات الاجتماعية القائمة ، وتتعارض معها ، لأن الفرد يرتبط بعلاقاتـــه في البيت وفي مقر عمله مع زملائه ومع الرؤساء والمرؤسين ، وفي الوسط الاجتماعي مع جميع من لهم به صلات شخصية، وهذه الارتباطات متعارضة في جزء منها على الأقل أو في أغلبها مع العلاقات بالحزب ومع العلاقات الثورية التي تنشأ بنشوء الحزب . وبذلك يقع الفرد بين قوتي شد : الأولى نحو الارتباطات القديمة ، والثانية نحو الارتباطات الجديدة . ولا يستطيع الفرد ان ينقلب على ارتباطاته القديمة الا اذا كان ثورياً كبيراً ، أما اذا كان ضعيفاً فان ارتباطات المجتمع تشله وتمتصه وتسقطه في وقت أو في آخر . ولكنه لا يسقط مباشرة وانما يمر في مرحلة خور وسلبية تجاه الحزب وتجاه رفاقه وعندما ينحني امام ارتباطات المجتمع وتنتهي حياته الحزبية عملياً فانه لا يصرح بذلك ، فلا يقول ان رؤساءه أو زوجه أو مورد رزقه أو أي عامل آخر

يتمعه من الالتزام الحزبي ولا يقدر التغلب على صعوباته الخاصة وانه يفضل عدم التغلب عليها والتحلل من ذلك الالتزام . انه لا يقول ذلك وانما يغلف موقفه المنهار بغلاف ايديولوجي ويحاول ان يظهر بمظهر الملتزم ، وغيره هو المنحرف ، وبذلك يطرح فكرة انشقاقية ويحاول جر الحزب أو أجزاء منه في تيار الانتهازي ، واذا لم ينتبه رفاقه للامر ويفصلوه في اللحظة المناسبة فانه يؤلف بذرة انشقاقية وانتهازية يمكن ان تنمو فيما بعد وتتغذى من خارج الحزب وتتحول الى تناقض داخلي والى عمل مضاد للثورة في الوقت المناسب .

هناك ايضاً ما نسميه **بالعجز التنظيمي** ، فالحزب يجب ان يبدأ حياته العملية ويتابعها بالتحرك الموحد وهذا يتطلب التطبيق المباشر لمبدأ جماعية العمل ، ولكن هذه الجماعية تفترض ان يتمتع الأفراد المسؤلون بدرجة عالية من الوعي والالتزام فيناقشون المواضيع المطروحة أمامهم بموضوعية ويصلون الى قناعة مشتركة أو الى قناعة الأغلبية ، ويتبنى الجميع هذه القناعة ولو كانت اراؤهم الشخصية مختلفة معها بالأصل ، ويقومون بالتنفيذ المشترك والموحد للقرارات التي توصلوا اليها . الا ان هذه الصورة النظرية للتحرك ، تبقى نظرية وتصطدم بعقبات عديدة منها الروح الفردية البرجوازية المترسبة والتي تخلق التعصب للرأي الشخصي والحرص عليه حتى ولو تظاهر الفرد بالانحناء لرأي الجماعة ، ومنها عدم قدرة الفرد ان ينفذ في مجاله ما تم الاتفاق عليه ، فيقوم بتنفيذ آخر من وحي اجتهاده الشخصي ، ومنها وجود عوامل ذاتية لدى الفرد تغير من نظرته ومن اجتهاداته ومن تنفيذه ، الخ ، وهذا يؤلف خلخلة في العمل وعجزاً أساسياً في التنظيم تنتج عنه انشقاقات وقصور في العمل الحزبي ككل ، وتكتلات داخل الحزب ، وفردية . وتزداد أهمية هذه الأعراض المختلفة بمقدار ما تتغذى من خارج الحزب وبمقدار ما تنمو التيارات الانتهازية الداخلية .

هناك ايضاً ما يمكن ان نسميه **بالعجز عن الاستمرار** . ان جميع الأفراد يمكن ان يمروا في احدى فترات حياتهم بظرف نفسي يومؤ للالتزام الثوري ويمكن ان يتجسد ذلك بالالتزام بالحزب ، ولكن هذا الالتزام سرعان ما يتحول الى مسؤولية نضالية كبيرة متزايدة القسوة تتطلب درجة عالية من الاستعداد الثوري . وعندما لا تتوفر هذه الدرجة بشكل كاف فان الفرد يتحمل وجوده في الحزب لمرحلة ثم يضعف وينهار وتنتج عن ذلك آثار شبيهة بالآثار التي مررنا عليها في فقرة (تنازع الارتباطات) . ويمكن أن

تبدو ظاهرة العجز عن الاستمرار بشكل آخر ، لا من خلال الافراد ، وانما من خلال عجز مؤسسة الحزب العليا عن توفير موضوع يومي دائم للكفاح ، وبذلك يمر العمل الثوري بفترات من الركود يساعد البذور المرضية على النمو . وهذا العجز يختلف عن النوع الآخر بطبيعته وبعوامله ، وهو يؤلف عجزاً عملياً ونظرياً في الوقت نفسه فهو نظري لانه يدل على استيعاب الصراعات القائمة في المجتمع بشكل كاف ، عملي لانه يعني عدم توفر القدرة الكافية للدخول كطرف في هذه الصراعات وتحويلها بالاتجاه الثوري.

ان حركة الحزب المنظمة تختلف عن الحركة العفوية في نقطة اساسية هي ان الاولى تتالف من فعل مستمر اما الثانية فتتألف مـــن افعال منعزلة لا ترتبط بخط واحد نحو الهدف الثوري، وكلما كانت حركة الحزب متقطعة بفترات من الركود فانها تكون اقرب الى الفعل العفوي منها الى الفعل المنظم ويكون الحزب اكثر تخلفاً في حمل المسئولية التاريخية.

ثم هنالك ما يمكن ان نسميه **بالعدوى الانتهازية** . ان الانتهازية بالحقيقة ليست مرضاً اخلاقياً بمقدار ما هي ظاهرة طبيعية ناتجة عن طبيعة العلاقـــات البورجوازية، والشتيمة التي توجه للانتهازية كمرض اخلاقي تؤدي الى عدم تحليلها وفهمها ، وبالتالي عدم كشف الاسس التنظيمية والثورية لمعرفتها ومعالجتها في مرحلة او على مراحل .الانتهازية ببساطة هي ان يفضل الفرد مصلحته الخاصة على القضية الثورية . واذا لم يكن هـذا الفرد بورجوازياً تبدو له مصلحته الخاصة المباشرة في خدمة البورجوازية باعتبارها هي الطبقة الاقوى في المجتمع البرجوازي اي بتصور مصلحته الخاصة في الهروب الفردي من طبقته والاحتماء بالطبقة الاخرى . ولكن الاوضاع الشاذة الـــتي تعيشها الجماهير الكادحة في المجتمع ناتجة كلها عن الاستغلال البرجوازي اي عن سيطرة البرجوازية كطبقة وكنظام . والتخلص من هـذه الاوضاع الشاذة لا يمكن ان يتم الا بالثورة . فالهروب الفردي غير مجد حتى على الصعيد الفردي الا لفترة قصيرة ،ولن ينقذ ذلك الفرد الهارب من سياط البورجوازية ولا من وطأة استغلالها . واذا كانت البورجوازية ما تزال قادرة على تسخير طاقات بشرية كبيرة في مؤسساتها ، فـــالاعتماد على الهروب الفردي بالذات والاعتماد على الوهم في ان المصلحة الخاصة هي في خدمة البورجوازية وليس الوعي الثوري سوى الوصول الى درجة كافية من الوضوح في ان ما ينقذ الجماهير ليس الهروب الفردي وانما التضامن الجماعي للتخلص من السيطرة والنظام البورجوازيين .

ومن هذه الزاوية تبدو **الانتهــازية** كظاهرة طبيعية ناتجة عـن طبيعة العلاقات البورجوازية في المجتمع، وان نشوء الحزب الثوري هو الخطوة الاساسية للخلاص من هذه

الظاهرة لانه الخطوة الاساسية لإستبدال الهروب الفردي بالالتزام الثوري . وهذا الالتزام الثوري لا يولد كاملا، وانما مهمة الحزب كمؤسسة ثورية ان ترفع سويته باستمرار وذلك مع استمرار العمل الثوري وتصاعده . واذا كان الالتزام الثوري لا يولد كاملا، فمعنى ذلك ان البذور الانتهازية الناتجة عن العلاقات البورجوازية في المجتمع يمكن ان توجد ويمكن ان تنمو او تغذى من خارج الحزب لدى كل عضو حزبي . وبمقدار ما يظهر في داخل الحزب من الانتهازيين تصبح المهمة الثورية اصعب واقسى على الاخرين غير الانتهازيين ، لأنهم سيحملون المسؤولية الثورية لوحدهم . ولكن هذا المنطق الثوري يستبدل في كثير من الاحيان بمنطق اخر انتهازي يقول : ما دام الآخرون قد ربحوا كذا وكذا من الامتيازات فلم لا اربح انا مثلهم ، اي ما دام الاخرون انتهازيين فلم لا اصبح مثلهم ، وذلك بدلا من القول : اذا ظهر انتهازي في صفوفنا فيجب ان اكون اكثر ثورية لاقوم بعملي وعمله معا . هذه العدوى الانتهازية تؤلف خطرا كبيرا على الحزب ولا تظهر عارية وانما تغلف بمواقف ايدولوجية،ويمكن ان تتحول الى تيار داخل الحزب وخاصة اذا غذيت بشكل ذكي من خارجه . ولكن من السهل كشفها بتجاوز الثرثرة الايدولوجية الى الرابط المادي الذي يصل العناصر داخل هذه التيارات . اما المعالجة فتتوقف على درجة الاستعداد الثوري لدى الحزب كمؤسسة، وعلى تصاعد العمل الثوري الذي يحرق الانتهازيين ويغذي الحركة باستمرار بدم جديد .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايضا هناك ما يمكن ان نسميه **بالعجز الطبقي** . ان قوة الحزب تكمن في انه يعبر عن مصالح الجماهير الآنية والبعيدة المدى ويؤلف طليعتها الثورية، ولذلك فانه يقوى باستمرار بمقدار مايلتصق بهذه الجماهير ويحولها الى قوة منظمة ويحركها بالاتجاه الثوري. تلك هي اصلا مهمته الاساسية. ولكن واقع الجماهير البائس المتخلف الممزق يخيفه ويضعفه تجاه هذه المهمة ، بل ويحوله عنها احيانا ، خاصة والبورجوازية تبدو له قوية تسيطر بمؤسساتها المختلفة وبقوتها المادية على هذه الجماهير . ويحاول الحزب نتيجة لذلك ان يضع خططا مرحلية تقوم على التحالف وعلى استبدال التعبئة الطبقية باستمالة الجماهير باساليب مشابهة للاساليب البورجوازية على امل ان يعبئها فيما بعد تعبئة ثورية . وسرعان ما يصبح حواره معها قائما على انها عاجزة في هذه المرحلة،جزئيا على الاقل، عن حمل مسؤولياتها ويجهد لاختراع دوافع اخرى لتحريكها ، لذلك يتجمد هذا الحوار في قوالب مكررة غير مقنعة ، لانها بعيدة عن الحياة اليومية ومشكلاتها وصراعاتها ، ويصبح هذا الحوار وكأنه حوار مع النفس بدلا ان يكون مع الآخرين . ان عمل الحزب التعبوي يتحول

بذلك إلى إلحاق الجماهير بدلاً من تعبئتها ويفقد بالنتيجة الكثير من الصفات الثورية في بنيته وفي مسيرته . وهذا العجز الطبقي من اخطر ما يتعرض له الحزب لانه بمقدار ما يكون العجز كبيرا تقترب بنية الحزب من بنية الاحزاب البورجوازية ، ويفقد صفاته الثورية الواحدة تلو الاخرى حتى يصل الى مرحلة انهيار كاملة .

وبالمقابل هناك مايمكن ان نسميه **بالاتجاه التراجعي** . ويظهر ذلك باشكال منها : ان الحركة الثورية تحاول بشكل عفوي ان تدافع عن نفسها ضد التهم التي مافتئت البورجوازية تطلقها وتحاول حصار التحركات الثورية بها منذ ان ظهر الخط الثوري في المجتمعات البرجوازية ، وفي عملية رد التهم تقع في الفخ البرجوازي وذلك من خلال محاولاتها التلاؤم مع القيم البرجوازية بشكل ينفي عنها تلك التهم . وفي بعض الحالات يؤلف هذا التلاؤم خطا تراجعياً بالنسبة للحركة الثورية . ومن تلك الاشكال أن يؤلف التيار الانتهازي قوة هامة نسبياً داخل الحزب ويحاول شد الحزب في الاتجاه التراجعي . من تلك الاشكال ايضا الخوف من عدم تأييد الجماهير والاعتقاد ان هذا التأييد لايمكن الحصول عليه الا عن طريق خطوات تراجعية الخ ... والاتجاه التراجعي يقابله دوما رد فعل من داخل الحزب غير ناضج احيانا وعلى درجة من النضوج احيانا اخرى يدعو الى المواقف الجدية وحتى الى التهور والمغامرة بقوى الحزب .

وهناك ايضا مايمكن ان نسميه **بالتدخل الليبرالي** الناتج عن التصورات الفردية للعمل الثوري داخل الحزب . وبما ان هذا العمل لايمكن ان يتفق مع كل التصورات الفردية فان المسيرة العامة تصطدم بالمقاومات الجزئية من كل تلك التصورات المغايرة . وقد يتعدل شكل المسيرة جزئيا او الى درجة كبيرة احيانا نتيجة لهذه العقبات ، وينتج عن ذلك تباعد كبير أو صغير ، متزايد او متناقص بين ماتقرره مؤسسات الحزب وبين التنفيذ . والخلل في التطبيق اي في انتقال الفكرة من الحيز التطبيقي لاينشأ فقط بالآلية التي ذكرناها ، وانما يمكن ان تقع المسؤولية على مؤسسة الحزب العليا التي ليس لديها تقدير دقيق عن الامكانات المتوفرة في المجتمع وفي داخل الحزب وبالتالي ليس لديها تحديد صحيح للمهمات التي يجب ان توزعها على الجهاز الحزبي .

هناك ايضا مايمكن ان نسميه **بالعجز التقني** . فليس لدى الحركة الثورية غالبا أجهزة وامكانات لدراسة الواقع الذي تعمل فيه ، والقيام بتحليل على درجة من الدقة للقوى الفاعلة في المجتمع وامكاناتها وحركاتها وصلاتها بالقوى الخارجية ، ليتم بناء على ذلك

وضع الاستراتيجية والخطط للعمل الثوري واجراء التعديلات الضرورية في هذه الخطط كلما تغيرت المعطيات او دخلت معطيات جديدة. وتتلافى الحركة الثورية هذا العجز بالاعتماد على الافكار العامة والتجارب الاخرى التي تحدد اطار المعركة بشكل تقريبي تتخلله الكثير من الاخطاء والاجتهادات. وفي الكثير من الاحيان يقع الحزب اسيراً لهذه الافكار العامة وتتحول لديه الى شعارات من خلال الاستعمال. وهذا العجز يحول المعركة التي يخوضها الحزب الى معركة غيبية، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان قوى الثورة المضادة تتحرك بشكل مباشر او غير مباشر من قبل الامبريالية. وهذه تمتلك أجهزة كبيرة ضخمة لتقديم كل الدراسات والمعلومات وتحليلها وتسخيرها في رسم المخططات الواسعة لحماية السيطرة الامبريالية وضرب التحركات الثورية باساليب لاحصر لها من الداخل ومن الخارج. وبالطبع ليس المفروض وليس من الممكن ان يتوفر لدى الحركات الثورية أجهزة وامكانات مادية مماثلة او مقاربة لما هو متوفر لدى الامبريالية، فإن ذلك مخالف لطبيعة الاشياء. ولكن من الممكن ان تستفيد الحركة الثورية من الامكانات المتوفرة لديها في هذا المجال، ومن الممكن في الوقت نفسه ان تتعاون القوى الثورية في العالم لحل المشكلة.

ان هذه الصعوبات التي اشرنا اليها وغيرها تواكب نشوء، وتنتج كلها، من الخلل في الانتقالات المختلفة التي ذكرناها من الحيّز النظري الى الحيز التطبيقي، او من الحيز الفردي الى الحيز الجماعي، او من اشكال الصراع العفوي الى الاشكال المنظمة، اومن الفعل الآني الى الفعل المستمر. ولكن ليس معنى ذلك أن الحركات الثورية تقع فريسة هذه الصعوبات كلها دفعة واحدة وأن هذه الصعوبات تبلغ نفس الدرجة من الحدة لدى كل الحركات الثورية، او ان هذه الصعوبات تجعل من المستحيل بناء حركة ثورية صحيحة. المسألة هي ان الحزب الثوري ينشأ من خلال تناقض الجماهير المستغلة مع البرجوازية. ولايتحول صراع هذه الجماهير الى صراع منظم الاعبر تجارب طويلة قاسية مرت بها الانسانية وخلقت استعداداً للتنظيم متفاوتاً بين مجتمع وآخر وبين مرحلة واخرى في نفس المجتمع. وهذا الاستعداد، يتجسد في الحزب الثوري الذي يحمل شوائب المرحلة والكثير من الرواسب البرجوازية، الا انه يتطور من خلال الكفاح ويتحول اكثر فاكثر الى اداة ثورية فعالة ويستبدل في صفوفه العلاقات البورجوازية بالعلاقات الثورية ويتبلور في داخله شيئاً فشيئاً نواة مجتمع المستقبل، ويتخلص خطوة فخطوة من نقاط ضعفه. والمعطيات الثورية اليوم هي أفضل لأن وجود القوى الثورية في العالم وتبادل التجربة فيما بينها يساعدان على تسريع التطور وعلى تعزيز الامكانات. غير ان مثل هذا التفاؤل

لايغني عن ضرورة قيام الحركات الثورية بتعميق تجربتها وعدم انتظار مسيرة التطور العفوية كي تتجاوز تناقضاتها الداخلية اوتناقضاتها فيا بينها، لأن الفرز بين ماهو ثوري وماهو غير ثوري لم يعد صعبا او مغلفا باوهام المجتمع البرجوازي . وبصورة خاصة تتحمل القوى الثورية في العالم الثالث مسؤولية كبيرة في تطوير التجربة الثورية لانها تحمل اعباء كبيرة ، ولأن اخطاءها تتحول الى كوارث ومجازر دموية.

وعلى الرغم من ان تطوير التجربة الثورية يتعلق بالمعطيات المادية في المجتمع فان من جملة المعطيات الهامة والأساسية إرادة الانسان التي تتبلور في الحزب الثوري بارادة جماعية تؤثر في القوى الفاعلة وتحولها في الاتجاه الثوري .

ملاحظات حول استراتيجية الحزب الثوري

١ - ان السؤال الاساسي بالنسبة لاي حزب ثوري هو ما هية معركته . ولا يمكن ان تكون للحزب اية صفة ثورية اذا لم تكن له معركة محددة الملامح مستمرة، هي جزء لايتجزأ من وجوده الاجتماعي . وبهذه المعركة يصبح الحزب جزءا لا يتجزأ أيضا من الصراع الاساسي في اي مجتمع من المجتمعات ، ومن الصراع الاساسي في العالم ، اي الصراع مابين الجماهير الكادحة والبورجوازية . واذا مر الحزب بفترة ركود ، فليس معنى ذلك ان الصراع نفسه قد توقف ، وانما معناه ان هناك خللا في جهاز الحزب ككل، وان عناصر الجهاز الثورية وقواعده مطالبة بتحليل هذه الظاهرة ومعالجتها بأسرع وقت ممكن .

ذلك لأن قوى الثورة المضادةلا تتوقف عن الحركة مطلقا ولا تهادن . والركود الذي يمر به الحزب لا يدل على ان ثمة هدنة وانما على ان ثمة ضعفا وبداية انهيار . ان الأحزاب البرجوازية هي التي تقتصر على نشاطات موسمية متباعدة او متقاربة ، وهذا لأن علاقتها بالجماهير هي علاقة إلحاق ، اما زعامات الاحزاب البورجوازية فلا تتوقف ايضا وتبقى في حركة مستمرة لانها جزء من قوى الثورة ، المضادة ، فالركود لدى الاحزاب البورجوازية هو فقط بالنسبة للجماهير الملحقة التي يعتبر تجميدها لفترة او لفترات جزءا من الخطط العام للثورة المضادة . وبالطبع القول باستمرارية المعركة لا يعني ان هناك دوما قتال شوارع وحرب اهلية ، فهذا مفهوم ساذج للمعركة ولطبيعة الصراع الثوري . واستراتيجية الحزب هي تحديد الملامح الاساسية لمعركته والمراحل الرئيسية ، والاساليب والخطط المتفقة مع كل مرحلة . وكما ان وجود الحزب نفسه لا

مبرر له الا بوجود معركة ، فان قيام الحزب بوضع استراتيجية ، يؤلف جزءاً أساسيا من مهمته الثورية؛ لأن خوض المعركة دون استراتيجية يعني خوضها بالاسلوب العفوي. وهذا الاسلوب يعني اقتراب التنظيم من حالة اللا تنظيم ، أي من الحالة البدائية التي كانت قبل وجود الحزب . ولذلك يدل عدم وجود الاستراتيجية على خلل بالتنظيم يجب ان تنتبه له عناصر الحزب الثورية وقواعـــده بصورة خاصة وتقوم بتحليل ذلك الخلل ومعالجته .

وبالمقابل ، بمقدار ما يكون الحزب منظما تكون استراتيجيته واضحة دقيقة ، فالركود (او عدم وجود المعركة) يشكك في ثورية الحزب ، والعفوية (او عدم وجود الاستراتيجية) تشكك في المستوى التنظيمي للحزب .

تعاني اغلب الاحزاب الثورية عمليا من الخلل البنيوي والتنظيمي ، ولولا ذلك لكانت القوى الثورية الموجودة في العالم كافية لربح الجولة الحاسمة مع الأمبريالية . ان السلاح الاساسي اليوم الموجود بيد الثورة المضادة يتألف من نقاط الضعف الموجودة لدى قوى الثورة ، وقد قلنا في اكثر من مكان ان هناك تداخلا دائما متفاوت الدرجة بين الثورة والثورة المضادة .

٢ — معركة الحزب لها صفة مزدوجة قومية وعالمية . وهناك تداخل تام بين ما هو قومي وما هو عالمي، كما وضحنا في فقرات اخرى ، ولذلك فان الاستراتيجية ايضا لها هذه الصفة المزدوجة ، فتعتمد على تحليل المعطيات القومية والعالمية وتربط بين تحرك قوى الثورة المضادة في المجتمع القومي وفي العالم . وبطبيعة التحليل ينتج ذلك الترابط القومي والعالمي سواء من خلال التحرك الامبريالي العالمي ، او من خلال العلاقات الدولية التي تربط المجتمع بالمجتمعات الاخرى ، او من خلال تضامن قوى الثورة العالمية وأهمية ذلك التضامن في عملية الكفاح المستمرة .

ولكن عندما تتحدد المعطيات على ضوء التحليل فان الحزب لا يستطيع ان ينطلق في استراتيجيته الا من الامكانات التي يملكها والمتوفرة في مجتمعه . اما التحالفات فيمكن أن تكون لها ابعاد خطرة ويجب ان تحدد بدقة على ضوء التحليل . ان جميع المساعدات التي تعطى حتى في حدود القروض متداخلة في جميع الاغراض السياسية وداخلة في مختلف المخططات المرسومة من قبل جميع الاطراف . وكما انه من الضروري ان تتوثق الصلات بين القوى الثورية الى اقصى درجة ممكنة ، فان من الضروري في الوقت نفسه

ان يكون الحزب الثوري قادرا على الحركة الذاتية ليساهم في تقرير مصير مجتمعه . إما اذا كانت قدرته على الحركة الذاتية مفقودة ، فانه يفقد صفته الثورية نفسها .

٣ — ومعركة الحزب الثوري لا تفترض بالضرورة ان الحزب يؤلف القوة الثورية الوحيدة في المجتمع ، ولكن المعركة هي وحيدة، وهذا يفترض انصهار كل القوى الثورية في نفس المجتمع في فترة من الفترات ، لأن تعدد القوى الثورية يمزق الجماهير الكادحة ويؤلف تناقضا في مسيرتها . اما كيف يتم تلاحم القوى الثورية في نفس المجتمع فيا بينها، فان ذلك مرتبط بمختلف المعطيات الاجتماعية والثورية . ولكن بقدر ماتبلغ درجة الوعي الثوري لدى اية منظمة فانها تبعد التناحرات الناتجة عن عدم النضوج الثوري وعن تداخل الثورة والثورة المضادة ، ولكنها في الوقت نفسه تقف بحزم الدفاع عن الاستراتيجية الثورية ولا تستسلم بحجة توحيد القوى الثورية والانحرافات والصلات التي تقوم بها القوى الاخرى وتحيط بها اشارات الاستفهام . ومن السهل تمييز الخطوات التي تقوم باتجاه توحيد الثورة من الخطوات التي تقوم باتجاه تزييفها . ان كل قوة ثورية تقوم من خلال استراتيجتها ومن خلال مصادر تمويلها وعلاقاتها والمواقع المادية لقياداتها. وهذه كلها تؤلف مقاييس صحيحة جداً لتمييز الدرجة الثورية الحقيقية في كل منظمة . واذا اتفقت منظمتان او اكثر في الاستراتيجية وفي الصفة الثورية فليس من الضروري ان تبقيا منفصلتين، بل من المنطق ان تنصهرا معاً بابسط شكل ممكن ودون أي تعقيدات.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الحرص على الانتماء الفردي لدى كل المنظمات له مبرراته طبعاً لضمان التجانس وعدم وجود التكتلات . ولكن يجب ان يفسح المجال ايضاً للانتماء الجماعي حتى يصبح بالامكان انصهار القوى الثورية فيا بينها . وفي الحالة التي تكون فيها القوى الثورية عاجزة بتبجحاتها وتناحراتها عن توحيد امكاناتها ، فالوسيلة الوحيدة المتبقية للتوحيد هي المعركة. والحزب الأكثر ثورية والاقوى تنظيماً هو الذي يستقطب الاغلبية الساحقة من الجماهير، ومن بينها القواعد الثورية للمنظمات الاخرى .

٤ — حتى يستطيع الحزب ان يضع استراتيجية يجب ان تكون التناقضات الداخلية في الحزب ثانوية ولا قيمة لها وان تكون البنية التنظيمية والطبقية ثورية . اما اذا كانت ثمة تيارات متناقضة في الحزب وكانت بنية الحزب متناقضة ، فان الحزب يتألف حينئذ من تحالف، ولا يستطيع ان يضع أية استراتيجية . واذا حاول ذلك فان ما يرسمه يبقى مادة ميتة ويبقى التحرك الفعلي للحزب في واد ، والاستراتيجيــة في واد آخر . والاستراتيجية الوحيدة الثورية في هذه الحالة هي ان تقوم قواعد الحزب بتصفية التيار

الانتهازي بكل ما تملكه من امكانات ، وإلا فان الركود والتحرك غير الصحيح يزيدان من تعقيد الوضع الداخلي للحزب فيصبح شيئاً فشيئاً فريسة للثورة المضادة ، بل ويصبح دوره كحزب ثوري مهدداً بالانتهاء .

إن الحزب الثوري يفقد كل إمكانيته على الحركة اذا نما فيه تيار انتهازي ولذلك فان تصفية هذا التيار معادل لوجود الحزب نفسه .

لأنه اذا تعايش التيار الانتهازي مع التيار الثوري داخل الحزب فانه يصبح هو الأقوى وهو المسيطر على حركة الحزب العامة، لأن علاقته بالآخرين هي علاقة بورجوازية اي علاقة مصالح . ومن السهل ان تتغلب علاقات المصالح على العلاقات الثورية لما تحتويه الاولى من ربح آني ، وما تتضمنه الثانية من المسؤولية . ولكن تصفية التيار الانتهازي لا تعني تصفية كل الانتهازيين كما يتبادر لأول وهلة ، لأن الانتهازية كما وضحنا من قبل، هي ظاهرة مرتبطة بالمجتمع البورجوازي ولا تصفى ما لم تتم تصفية المجتمع البورجوازي نفسه ، وما لم تمر مجتمعات المستقبل على مرحلة تطور طويلة . ولكن اذا كانت تصفية الانتهازية تماماً غير ممكنة فان تصفية الانتهازية كقيادة للحزب وموجهة لحركته ليست فقط ممكنة ، بل ضرورية . لأنه متى كانت قيادة الحزب بيد الانتهازية اصبح الحزب بورجوازياً وفقد صفاته الثورية وانتهى دوره في المجتمع . ولا يمكن أن يعيد له هذا الدور ويحميه وينتشل الحزب من المنزلقات والانحرافات سوى قواعد الحزب الثورية التي يلزمها باستمرار ان تقوم بكفاح قاسٍ وأن تقدم التضحيات للحفاظ على هوية الحزب. ويجب ان لا ننسى بأن الثورة المضادة تصبح اقوى ما يمكن اذا استطاعت ان تتسلل الى داخل الحزب وتخرب المعركة من الداخل .

ه – اذا لم تكن هناك لدى الحزب قواعد ثورية واعية لدرجة كافية وقادرة على القيام بمسؤولياتها ، فان التيار الانتهازي يسيطر لفترة ويصبح داخل الحزب مسرحاً للفعل الانتهازي.ورد الفعل الذي ينشأ ليس فقط بنتيجة الوعي الثوري وانما ايضاً بسبب تناقض المصالح . ولا بد لرد الفعل ان يأخذ منحى ثورياً لكي يتمكن من مجابهة التيار الآخر .

وفي هذه الحالة اذا كانت المرحلة التاريخية التي تمر فيها الحزب جاهزة بمعطياتها لاستيعاب بعض الانجازات الثورية فان تيار رد الفعل يمكن ان يقوى وان ينحي التيار الآخر ويسيطر ويقدم بعض الانجازات.ولكن اذا لم تتوفر قوة ثورية كافية للانطلاق من

لهذا المجرى للأحداث والاستيلاء على قيادة الحزب لتعيد اليه هويته الثورية ، فانالحزب يتعرض من جديد للتناقض وتظهر تيارات انتهازية أخرى متصارعة باستمرار .

ولعل خاصية رد الفعل في انه لا بد أن يأخذ منحى ثورياً لكي يتمكن من مجابهة التيار الآخر ، هي التي جعلت العامل الثوري العالمي يقدم صورة كئيبة عن القوى الثورية الفاعلة ، لأن جزءاً كبيراً من الانجازات الثورية في العالم وحتى الكبرى منها ، ناتجة عن رد الفعل الذي تقوم به الشعوب على الثورات المضادة وعلى التيارات الانتهازية بينما كان الوضع افضل بكثير لو كان هناك فعل ثوري واع يعمل على نطاق واسع ضمن استراتيجية بعيدة المدى . ان العالم يمر في مرحلة ثورية نسبية ، ولعل هذه المرحلة ضرورية في تاريخ الانسانية للانطلاق الى المراحل الثورية التالية . ولكن سواء كانت هذه المرحلة ضرورية أو غير ضرورية ، طبيعية أو غير طبيعية ، فانها تحمل في طياتها كوارث لا حصر لها ، من جلتها المجازر الدموية القائمة باستمرار في العالم والتي تعني ببساطة ان العالم لا يعرف الدفاع عن نفسه كما يجب .

٦ - إذا كان الحزب الثوري يملك الحد الضروري من البنية والتنظيم الثوريين ، فان وضع الاستراتيجية يصبح نتيجة طبيعية لأنه لا يستطيع خوض معركته بشكل منظم بدون تلك الاستراتيجية . وفي ميدان الكفاح المسلح ضد الاحتلال ظهرت في بعض بلدان العالم الثالث امكانات ثورية وتنظيمية عظيمة ، استطاعت الحركات الثورية بها ان توجه الى الامبريالية ضربات قاسية وتهزها من جذورها . ولو كان المستوى نفسه من التنظيم والامكانات يتوفر على صعيد مجابهة الاستعمار الحديث لكانت النتائج هائلة جداً ، ولما استطاعت الامبريالية ان تصمد اشهراً لا سنوات . والسبب في أن الكفاح المسلح تتوفر فيه امكانات ثورية أفضل ؛ إذ أن الشعب يوضع بين اختيارين حادين . اما ان يقاوم ، واما ان يسحق دون رحمة . واذا سار في اتجاه المقاومة فلا يمكن ان تكون مقاومته إلا منظمة ، لأن المقاومة غير المنظمة للقوى المادية الضخمة التي تملكها الامبريالية هي سذاجة أكثر من بدائية . اذ أن مقاومة الغزو والاحتلال حتى في المجتمعات القديمة كانت على درجة جيدة من التنظيم . والشعوب التي قامت بالمقاومة المنظمة قامت من قبل بسلسلة طويلة من المقاومات غير المنظمة وسحقت وتعلمت من حسابها تنظيم مقاومتها حتى توصلت الى الدرجة التي كانت فيها قادرة على الوقوف في وجه الامبريالية .

اما في حالة الاستعمار الحديث ، وفي كل حالات عدم المواجهة المباشرة ، فان الشعوب توضع أمام اختيارات متعددة أو أمام اختيارات متدرجة في القسوة . وهذه لا تؤدي

إلى رد فعل منظم بشكل كاف ، وانما ينشأ اتجاه نحو الاختيارات الاسهل حتى لدى الأحزاب الثورية . والاختيارات الأسهل هي التي تساير الوضع الراهن ولا تقاومه إلا بمقدار . هذه الظاهرة ناتجة عن سيطرة العقلية الوسطى على التحركات الثورية . وليس المقصود بذلك سيطرة العقلية الاصلاحية ، لأن العقلية الاصلاحية لها نوع آخر من المواقف مرتبط بالمصالح وحتى بالمخططات الامبريالية . أما العقلية الوسطى فانها تقف موقفاً ثورياً من حيث المبدأ ولكنها تتبع سياسة النفس الطويل وتنطلق من ان التطور على الأمد البعيد هو لصالح الثورة ، وتفضل أن تخوض معركتها مع الكثير من التحفظات والحد الادنى من المغامرة .

ان استراتيجية النفس الطويل تلاحظ خاصة في البلدان المتطورة حيث تكاد تقتصر بعض الاحزاب الثورية في تحركها على التحرك الانتخابي ، وتكاد تتخلف عن التحرك الجماهيري العفوي . هذا في الوقت الذي غزت فيه رؤوس الأموال الأميركية أغلب المؤسسات الانتاجية والمالية في تلك البلدان ، كما ربطت تلك البلدان بالاتفاقات العسكرية وأصبحت مهددة مصيرياً في أي وقت ، وخاصة إذا اندلعت انفجارات غير متوقعة .

٧ - ان الوضع في بلدان العالم الثالث يختلف عنه في البلدان المتطورة ، في أن الشعوب مسحوقة سواء بالاحتلال أو بالاستعمار الحديث ، وإذا كانت الثورة فيها تؤلف حاجة ملحة ، بالاضافة الى ان التناقض فيها أعمق ، مما يساعد على تصاعد العمل الثوري . وحين تسيطر على التحرك الثوري عقلية وسطى فان هــذا يدل ، اكثر منه في البلدان المتطورة ، على تسلل الثورة المضادة الى داخل الحزب ، لأن العقلية الوسطى هنا تحمل صفــة الهروب من المعركة الملحة من أجل تقرير المصير ومن أجل خلق مقومات ذاتية للمجتمع ومن أجل الارتفاع من المرتبة الدنيا التي وضعت فيها شعوب المستعمرات . إن البلدان المتطورة هي على الأقل مالكة لمصيرها وإن كانت مهددة به ، ولديها مقومات ذاتية وهي مرحلة تطور متقدمة ، فالمعركة الثورية فيها ملحة ولكن ليس بدرجة بلدان العالم الثالث . وإذا كانت العقلية الوسطى مقبولة كمرحلة في البلدان المتطورة ، فانها في بلدان العالم الثالث غير مقبولة لأنها بتخاذلها وهربها بالفراغ الذي تتركه تفسح المجال الضغط الامبريالي لكي يصبح أثقل فأثقل جذوراً ، كما أنها تعرض الانتفاضات الشعبية للانتكاسات المتلاحقة التي تضعف المستوى العام المقاومة وتقود الجماهير الى الاستسلام . ان العقلية الوسطى في بلدان العالم الثالث لا تمكن ان تكون ثورية ، بل هي متخلفة حتى عن التطلعات المعتدلة في صفوف الجماهير .

لذلك فان ظهور العقلية الوسطى ولا سيا تلك التي تنجو منحى فردياً يجب أن يقابل بالمقاومة المباشرة من قبل القواعد الحزبية ، وان ينظر اليها كظاهرة أكثر خطورة من الرجعية ذاتها ، لأن الرجعية تعمق التناقض أما هذه فتحاول خلق تسويات .

وفي الوقت نفسه يجب أن نميز بين تحرك العقلية الوسطى القائم على المساومة ، وبين التكتيك الثوري النابع من تحليل القوى الاجتماعية وتحديد خصائص المرحلة الثورية التي يمر بها المجتمع ، والامكانات المتوفرة او التي يمكن توفيرها في عمليات الانجاز الثوري . ولتمييز حركة العقلية الوسطى عن التكتيك الثوري يكفي تقويم تلك الحركة ضمن اطار الاستراتيجية العامة ومعرفة ما اذا كانت تمثل تراجعاً بالنسبة للقوى الثورية او يؤلف خطوة متقدمة بالنسبة للمعطيات القائمة .

٨ — اذا استطاع الحزب الثوري ان يتجاوز العقلية الوسطى فمعنى ذلك انه وصل الى درجة من الثورية متعلقة ببنيته وتنظيمه . ومعنى ذلك ايضاً انه اصبح قادراً على التحرك وفق استراتيجية . بقي أن نفتش عن الملامح العامة للاستراتيجية الثورية .

ان الحزب الثوري يجابه قوى الثورة المضادة مجسدة :

أ — في الاحتلال .

ب — في التخلف .

ج — في الاستغلال الاقتصادي .

د — في السيطرة السياسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يظن من هذا التعداد أن المقصود هو فقط بلدان العالم الثالث ، على الرغم من أنها هي التي تهمنا بالدرجة الأولى . غيران البلدان المتطورة تواجه نفس الظاهرات ولكن بمعطيات أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار عند الدراسة التفصيلية .

ثم اننا لن نتعرض الا باقتضاب شديد لبعض النقاط الرئيسية في هذه المواضيع ، لأن أية محاولة للبحث فيها تحتاج الى جهود هي أوسع بكثير من حيز هذه الدراسة .

وقبل التعرض لأي موضوع يجب الاشارة الى انه لا بد بالنسبة لأية استراتيجية من تحديد نقطة البدء . ان تحليل واقع المجتمع وواقع الثورة العالمية يؤدي او يجب أن يؤدي الى تحديد نقطة البدء في العمل الثوري . هل يبدأ الحزب من الصفر أم ان هناك

انجازات قد تمت ويجب الاعتماد عليها والانطلاق منها ؟ هل الحزب وحده في المجتمع، أم هناك قوى أخرى يمكن التحالف معها أو حتى الانصهار بها ؟ ونقطة البدء هامة جداً وأساسية ، لا سيا أن الحركات الثورية تميل الى الاعتقاد أنها تخترع التاريخ ولذلك فإنها تنطلق من كونها هي نقطة البداية وترتكب بذلك خطأ فادحاً على الصعيد الايديولوجي وعلى صعيد المسيرة الثورية . ان الأحزاب الثورية هي في الحقيقـــة حلقة من حلقات التطور التاريخي ، بل إنها حلقة مكملة حتى للتطور البورجوازي الذي مر عليه المجتمع ، فالصفة البورجوازية ليست شتيمة الا بمقدار ما أصبحت تؤلف مرحلة متخلفة بالنسبة للمرحلة الثورية الراهنة . لذلك فان قيمة الحزب الثوري هي بمقدار ما يؤلف مرحلة متقدمة ، أما النرجسية والدون كيشوتية (اذا جاز لنا اطلاقها على الحزب) فتؤلفان ظاهرة تخلف ناتجة عن الرواسب الليبرالية من جهة ، وعن تسلل الثورة المضادة من جهة أخرى . ان من جملة الصفات الثورية للحزب ان يصغي للمجتمع وبقدر مدى تمثيله للمرحلة المتقدمة بالنسبة له .

مثلاً : اذا كانت المرحلة البورجوازية قد بدأت في القضاء على المجتمع القبلي ولم يستمر الحزب الثوري في ذلك فإنه يكون متخلفاً حتى عن المرحلة البورجوازية . وبصورة عامة اذا كانت المرحلة البورجوازية بطبيعتها قد بدأت بالقضاء على العلاقات المتخلفة التي ترجع الى المجتمع القديم وبدأت بخلق علاقات بورجوازية متطورة بالنسبة لأية ظاهرة من الظاهرات الاجتماعية ، وأوقف الحزب بسلطته الاجتماعية ، سواء قبل تسلمه للسلطة أو بعدها ، ذلك المنحى في التطور لسبب أو لآخر ، فانه يكون في هذا المجال متخلفاً عن البورجوازية لا ثورياً ، لأن الثورة هي قبل كل شيء مسيرة الى الأمام. ويمكن ان تعرف هوية التيارات الانتهازية في الحزب من هـذه المواقف المتخلفة بالذات، وأن تعمل القواعد الحزبية باستمرار على حماية الثورة بمعناها التقدمي .

وقبل التعرض لأي موضوع لا بد من الاشارة الى ان الاستراتيجية يجب ان تحدد قبل كل شيء أساليب تفجير الصراع الطبقي ، لأن هذا التفجير بالذات هو الوسيلة الوحيدة لأية مجابهة . وعندما تقدم أية تبريرات مرحلية للمهادنة الطبقية ، فان ذلك يعني تسلل قوى الثورة المضادة الى داخل الحزب ونمو التيار الانتهازي فيه . ويؤلف الموقف الطبقي مقياساً لكشف التيار الانتهازي ولكشف قوى الثورة المضادة . ذلك لأن مهادنة البورجوازية ، ولا سيا في العالم الثالث ، تعني مهادنة التحرك الامبريالي بالذات ، ومثل هذه المهادنة ليس لها أي مبرر حتى ولا مبرر العجز عن المجابهة . لأن أي تحرك ثوري ،

مها كان ضعيفاً ، يجب أن يستهدف الامبريالية حتى يكون ثورياً أو يكون موقعه ضمن الخطط الامبريالي العام . طبعاً ليس تفجير الصراع الطبقي عملية ساذجة ، وانما هي عملية ثورية منظمة تمتد الى المعمل والى الحقل والى الأحيـاء الفقيرة لتقوم الجماهير الكادحة بتحركات سياسية مهنية معاً وتنتظم تدريجياً في العمل الثوري المنظم ، وبغير ذلك لا يمكن خلق أي قوة ثورية حقيقية ، وبالتالي لا يمكن القيام بأية مجابهة فعلية .

٩ – أذا كان ثمة احتلال في الوطن فإن الثورة تتلخص في مقاومة الاحتلال ، وتصبح كل المواضيع الأخرى ثانوية . ويقتصر دور الحزب الثوري في هذه الحالة على أن يكون طليعة محاربة وليس له أي مهمة أخرى سوى المهات الملحقة بمهمة الكفاح المسلح والمتعلقة بضمان استمرارها ، سواء فيما يتعلق بالتموين أو التمويل أو التعبئـة الشعبية أو غيرها .

إن الثورية هنا تتضح بشكلها البسيط والمباشر ولا يستطيع الحزب ان يتخاذل ويبقى ثورياً . يستطيع فقط ان يمنح نفسه مهلة ليمر في فترة استعداد ، ولكن على أن تكون فترة استعداد فعلية : تدريب على السلاح ، الحصول على السلاح وتخزينه ، وتهيئة المواقع المختلفة للتموين ولعمليات الهجوم والانسحاب ، جمع المعلومات عن العدو ، الخ ، فكل المهات الحزبية هي مهات عسكرية أو ملحقة بها .

والفخ الذي تقع فيه الحركات الثورية في هذه الحالة هو الاعتقاد بأن البورجوازية يمكن ان تساهم في معركة التحرير ، هذا الفخ هو من صنع قوى الثورة المضادة . وقد دلت تجارب الشعوب كلها على أن البورجوازية كانت دائماً في صف العدو وكانت أداة للغدر بالجماهير . وحتى في بعض الحالات الخاصة ، عندما كانت البورجوازية تدعم التحرر ضمن ظروف تاريخية خاصة ، فانها كانت تقدم دعمها نظرياً ، أما المحاربون فيتألفون من الجماهير الكادحة .

بالعكس ان الكفاح المسلح هو وسيلة لتفجير الصراع الطبقي ، لأن المحـاربين يتألفون من الجماهير الكادحة فقط ، وباعتبارهم محاربين ، فان لهم الحق في أن يصبحوا أسياد المجتمع في المستقبل بعد ربح المعركة ، وبذلك تكون معارك التحرير وسيلة ثورية عظيمة لانهاء البورجوازية ، لا لاعطائها نفساً جديداً .

١٠ – ان مجابهة التخلف تستلزم مجابهة مختلف العوامل التي أدت الى وجوده كواقع اجتماعي . وقد وضحنا في فقرات سابقة من خـلال التحليل ان التخلف ناتج عن بقاء

الانتاج الصغير والانتاج المتخلف في المجتمعات ، وهذا ناتج بدوره عن التمركز المالي العالمي وقيام الامبريالية بدور رجعي عالمي سواء عن طريق تحديد توظيف رؤوس الأموال في قطاعات صالحـة لاغراض غير انتاجية ، أو عن طريق النهب الرأسمالي المتعدد الأساليب والذي يجعل مسألة تراكم رؤوس الأموال القومية غير ممكنة الا في حدود ضيقة قاصرة ، ويجعل بالتالي من غير الممكن أن تسير المجتمعات ، ولا سيا بلدان العالم الثالث ، في خط تطور ذاتي . ومن هنا يتضح ان مجابهة التخلف متضمنة في مجابهة الامبريالية ، وفي قيام البلدان الاشتراكية المتطورة بدور عالمي في التطور الاقتصادي . ومن الواضح ان دور الحزب الثوري هو أساس في مجابهة التخلف سواء في مراحل الكفاح أو في مراحل تسلم السلطة . واذا أخذنا من دور الحزب الثوري جانب مجابهة التخلف فقط ، فان ذلك يعني عدة نقاط مررنا عليها في فقرات أخرى سابقة . ونضيف هنا ان الحزب يجب أن يلجأ خلال عمله الثوري الى المواقف والحلول والاساليب الأكثر تقدمية ، والا يكون الهدف التقدمي مبرراً لاتباع أساليب غير تقدمية ، سواء في تعبئة الجماهير حيث يحاول الحزب في كثير من الأحيان تقريب الجماهير اليه عن طريق ارضاء النزعات المتخلفة لديها (النزعات الطائفية ، القبلية ، العائلية ، الخ) أو في المواقف العامة ، حيث يحاول الحزب أحياناً التحريض على موقف تقدمي بالاعتماد على نزعات متخلفة كأن يدعو الى تحرير الوطن بتحريض طائفي أو عرقي ، الخ .

كما أن على الحزب أن يحدد بالضبط ما هي الصيغ الاجتماعيـة المتقدمة بالنسبة للمرحلة التاريخية التي يعمل فيها . وقد أتينا من قبل على المثال الهام المتعلق بالمؤسسات الديمقراطية التي تعتبر حتى بمفهومها البورجوازي متقدمة بالنسبة لمجتمع قبلي خاضع لاستبداد من النوع القديم . الا ان مثل هذا التحديد المتدرج للمراحل المتقدمة نسبياً لايتطابق مطلقاً مع التدرج الكلاسيكي في ان المجتمعات المتخلفة يجب أن تمر في تطورها على مرحلة بورجوازية ، بمعنى أنها يجب أن تمر على مرحلة تسود فيها الطبقة والنظـام البورجوازيان . ان مثل هـذه المرحلة متخلفة وغير ثورية للاسباب التي ذكرناها في فقرات اخرى، خاصة ان سيادة البورجوازية في المجتمعات المتخلفة تعني بالضبط سيادة الامبريالية، لأن البورجوازية المتخلفة هي بورجوازية ملحقة وغير قادرة على السيادة ولا القيـام بدور ثوري بورجوازي على غرار ما قامت به من قبل البورجوازية الأوربية الناشئة .

ان الفكرة الأساسية في مسألة مجابهة التخلف هي ان هذه المجابهة تدخل في صميم المهمة الأساسية للاحزاب الثورية ، باعتبار هذه المهمة تتركز في تعبئة الجماهير الكادحة وتنظيمها والخروج بها من حيز العلاقات المتخلفة والبورجوازية الى حيز العلاقات الثورية، وجعلها بذلك قادرة على الكفاح والسيادة في مجتمعها . ولذلك فن الضروري أن يحذر الحزب من المنزلقات التي تنحيه عن هذه المهمة ، وذلك بأن يلتفت مثلا الى الاعتماد على قوة اجتماعية اخرى غير قوة الجماهير الفقيرة ، او الى اعتماد النزعات المتخلفة والروابط الحلية لتعبئة تلك الجماهير .

وحفاظ الحزب على مهمته الأساسية باستمرار وحتى في ظروف الكفاح الحرجة ، لايعني الا يقوم الحزب بتحديد مراحل التطور الفعلية التي قطعها مجتمعه ، والانطلاق منها بالذات في طريق لا رأسمالي نحو المجتمع اللاطبقي .

١١ — ان مجابهة الاستغلال الاقتصادي والسيطرة السياسية ، لايمكن أن تبحث في إطارها القومي فقط ، لأن هناك ترابطاً كاملا وثيقاً بين التحرك الاقتصادي والسياسي في المجتمع الذي يعمل فيه الحزب، وبين الحركة الامبريالية العالمية ككل . ولكن فعالية الحزب الأساسية مقتصرة على مجتمعه القومي ولا يستطيع التأثير الا بشكل جزئي ، من خـــلال اتصالاته ، على قوى الثورة العالمية . وفي ذلك نقطة تناقض أساسية متعلقة باستراتيجيته. فبينما يجب أن يضع استراتيجيته على نطاق دولي تبقى فعاليته محصورة في نطاق مجتمعه. وليس ثمة حل الا ان تصل قوى الثورة العالمية الى مرحلة من التطور تصبح فيها قادرة على وضع استراتيجية عالمية مشتركة ، وهـــذا الحل ليس ببعيد ، وان كانت هنـــاك في الواقع الثوري الراهن خطوط تحرك مشتركة الا انها ليست كافية ولا يمكن اعتبارها استراتيجية أو حتى نواة استراتيجية واحدة .

على الرغم من ذلك يستطيع الحزب أن يضع تحليلا كاملا للتناقضات البورجوازية وان يتحرك داخلياً ودولياً وفق هذا التحليل. ومن المهم هنا ان نشير الى انه وان كانت مشكلات مجتمعه هي التي لها الدرجة الاولى من الاهمية ، فان تحليله للوضع العالمي يبقى أساسياً حتى بالنسبة لتحركه الداخلي، لأن مشكلات مجتمعه بالذات ليست منعزلة ولا منفردة عن الاطار العالمي، وكذلك حركته في مجتمعه لايمكن ان تكون منعزلة ولامنفردة عن ذلك الاطار . ولكن من الواضح في الوقت نفسه انه لايستطيع لوحده ان يضع خططاً للرد على التحركات الامبريالية خارج مجتمعه ، اما في الداخل فانه يستطيع ان يكون القوة الفاعلية الأساسية .

وتحليل التناقضات الرأسمالية العالميـــة ليس صعباً اذا كان المقصود تحديد الملامح العامة والاجمالية، ولكنه صعب اذا اخـــذ بمعنى رصد تلك التناقضات وتحديد مختلف الظاهرات الناتجة عنها. والتحليل بالمعنى الأول مبتور ولا يكفي مطلقاً لوضع الاستراتيجية، أما المعنى الثاني فهو الهام وغير المتوفر الا في حدود ضيقة في الواقع الثوري الراهن. المعنى الاول تنتج عنه شعارات كفاح عامة قد تغدو كلاماً مكروراً لا قيمة عملية له. أما المعنى الثاني فتنتج عنه خطط عملية دقيقة بمقدار دقة الرصد، وفعالة بمقدار فعالية القوى الثورية المشتركة في تنفيذ تلك الخطط.

لعل هذه النقطة من أهم النقاط التي يجب ان توضع باعتبار الثوريين عنـــدما يحاولون ان يرسموا استراتيجية لفعاليتهم من خلال ازمتهم. بينما هو سائد حتى الآن هو الاكتفاء بالملامح العامة الاجمالية لحركة الامبريالية والاكتفاء بالملامح العامة الاجماليـــة ايضاً لحركة الشعوب على العمل ضمن هذه الشعارات. وهذه خلاصة كل اعمال المؤتمرات التي تجسد التضامن الثوري. هناك فقط استراتيجية أكثر دقة للاتحاد السوفييتي، وهي نابعـــة ليس فقط من صفته كقوة ثورية، وانما من اعتباره دولة كبرى ويؤلف قوة مادية ذات وزن دولي.

ان الاحزاب الثورية حتى في مجال عملها الداخلي لا تقوم في كثير من الأحيان بالتحليل الدقيق للقوى الاجتماعية الفاعلة بالرصد لمختلف الظاهرات الموجودة، ولذلك تتحرك على أساس الشعارات. الصراع الطبقي لديها هو نفسه تقريباً في الولايات المتحدة وفي الكونغو، ومقر الصراع الطبقي هو المصنع. وهناك اجتهادات في دور الفلاحين اثارتها ثورات البلدان المتخلفة. أما الصراع الطبقي من خلال مختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فلا يخطر الا بشكل عرضي. وهذا النقص الكبير الذي يعوق نشوء استراتيجية ثورية حتى بالتجربة، هو الذي أشرنا اليه في فقرة سابقة بتعبير «العجز التقني».

ان البلدان الرأسمالية المتطورة تؤلف اليوم بمجموعها مركز ثقل عالمي؛ إذ تملك الجيوش القوية، وأقوى أدوات التدمير، وأحدث وسائل التحرك البحريـــة والبرية والجوية، وأكبر ميزانيات الدفاع وأفضل الطاقات العلمية (في الولايات المتحدة نسبة المؤهلين تأهيلاً عالياً هي ٧٦ لكل ألف عامل ونسبة الباحثين ٢٨ لكل ألف عامل). وتملك تلك البلدان أهم الثروات العالمية ومنها الثروات الاستراتيجية كالبترول، لأن البترول بقدر ما هو هام في حد ذاته كثروة، هو هام من زاوية انه يؤلف عصب الصناعة

العالمة وعصب الحرب ومصدراً أساسياً من مصادر الطاقة . كما تملك تلك البلدان أهم المواقع الاستراتيجية في كل القارات ، ولها منشآتها العسكرية الموزعة في كل أنحاء العالم . وهذه القوة الضخمة تحتاج الى عمل ثوري ناضج لازالة سيطرتها. وليس من الصعب إزالة تلك السيطرة اذا رصدت التناقضات القائمة فيها وجوبهت باستراتيجية دقيقة .

فعلى الرغم من التكتلات الاحتكارية ، ومن ان البلدان الرأسمالية المتطورة تسير بشكل موحد في الخط العريض السياسي ، فإنها تعاني من صراع دائم خفي نجد آثاره في المستعمرات ومناطق النفوذ وفي اوروبا ذاتها . فهناك التناقضات والتناقضات بين الاحتكارات الكبرى والصغرى ، في منطقة والاحتكارات في منطقة اخرى ، وهناك التنافسات بـين التكتلات السياسية التي تؤلف ارضية غير مستقرة متعرضة للهزات باستمرار ، وبين الدول الرأسمالية وفي قلب الاحلاف وداخل الجيوش . وجميع هـذه التناقضات تفعل فعلها وقد تؤدي بين يوم وآخر الى تمزق كبير في صفوف البورجوازية العالمية بمجوعها .

ايضا لكي تحافظ الاحتكارات على قوتها يجب ان يتضخم انتاجها باستمرار ويصبح كبيرا جدا كما هو عليه الحال اليوم ، ويجب في الوقت نفسه توفير أسواق كافية للتصريف والاستهلاك لكي تبقى الدورة الرأسمالية مستمرة . ولكن بينما الانتاج يتزايد فان التصريف يتناقص لان القدرة الشرائية الدائرة تنخفض باستمرار نتيجة لامتصاص الارباح والعمولات المختلفة . وبذلك يختل التوازن بين الانتاج والتصريف مما يؤلف نقطة ضعف اساسية تعالج بالتضخم النقدي والهروب الى الامام ، حسب تعبير الاقتصاديين الجدد . ولكن ينتج عن ذلك نقاط ضعف أخرى خطيرة تجسدها ازمات النقد المتلاحقة التي تعرض الثروات المالية نفسها للانهيار . والاحزاب الثورية يجب ان ترصـد كل التناقضات ونقاط الضعف وتستخدمها في مسيرتها الثورية وبصورة خاصة في مجابهة الاستغلال الاقتصادي والسيطرة السياسية للامبريالية ، وذلك بوضع استراتيجية ديناميكية متكاملة ورسم خطط تفصيلية سياسية اقتصادية على المدى القصير وعلى المدى البعيد، سواء من اجل تصعيد الفعالية الثورية او من أجل توجيه ضربات قاصمة للامبريالية .

اما على صعيد حزب معين : فإن فهم الحركة العامة للامبريالية يقوده الى فهم اعمق بكثير لحركة الثورة المضادة في مجتمعه ، ويجعله قادرا على وضع الاستراتيجية الخاصة وعلى رسم خططه المتعلقة بزدة فعاليته الثورية في الداخل وتنسيق حركة القوى الثورية الاخرى خارج المجتمع .

وليس من المفيد ان نتطرق للملامح العامة للثورة المضادة في كل مجتمع ، فهذه الملامح مطروقة وقد تطرقنا الى بعضها في فقرات سابقة، وهي لوحدها غير كافية لوضع اية استراتيجية . انما تتطلب الاستراتيجية معالجة كل مجتمع على حدة وفق قواعد العمل العامة التي تطرقنا اليها في الفقرات المتعاقبة لهذه الدراسة .

المسألة القومية

اعتبرت الايديولوجية الثورية الكلاسيكية ان القومية هي مفهوم برجوازي يجب تجاوزه . كل ما في الامر انه يمكن استخدامه كعامل مرحلي لتحريك المقاومة في مجتمع من المجتمعات ، ريثما تستطيع الطبقة العاملة ان تشغل بنفسها عملية المقـاومة وتتجاوز ذلك العامل .

وكان ذلك من الاخطاء الكبرى التي انعكست على مجرى الحركة الثورية ، ولا تزال عاملا معرقلا الى حد كبير وتستفيد منه قوى الثورة المضادة ، وذلك لثلاثة اسباب رئيسية :

الاول : هو ان الرابطة القومية ليست فقط للطبقة البورجوازية ، بالعكس ان هذه الطبقة سواء اخذناها على صعيد عالمي ، أو على صعيد اي بلد من البلدان ، هي متحللة بالاصل من ارتباطها بوطنها ولا تهمها رقعة الوطن الا بما تقدمه لها من امتيازات، ومستعدة للغدر به لقاء أية امتيازات اخرى. اما الذين دافعوا ويدافعون عن الوطن عبر التاريخ فهم من الجماهير الفقيرة ، والرابطة القومية هي رابطتهم .

والسبب الثاني : هو ان العمل الثوري هو عمل اجتماعي لا فردي ، ومساهمة الافراد في الثورة ليست لأهداف شخصية وانما لاهداف عامة ، وفي مقدمتها تحرير شعوبهم وضمان سيادتهم ان الوصول للهدف الانساني يمر عبر الاهداف المباشرة للشعوب في تقرير مصيرها ، وبغير ذلك يكون الانتماء للثورة غائما ولا قيمة فعلية له ، ويتحول الى مجرد تعاطف مع الثورة الجارية . مثــلا : اذا انتمى أوربي فكريا الى الثورة الفيتنامية ، فاذا يستطيع ان يقدم لها ? هناك مصاعب كـبرى امامه في ان يذهب الى الفيتنام ويقاتل ، فيبقى عمله في حدود التبرع بالمال ، اذا كان باستطاعته ، او في حدود التمنيات للثورة الفيتنامية .

والسبب الثالث : هو ان الشعوب تستطيع ان تدعم بعضها بعضا ثوريا بمقدار ما تكون قوية ، فالعمل القومي من اجل تحرير شعب من الشعوب ورفع سوية تطوره وامكاناته هو في الوقت نفسه عمل من اجل الشعوب الاخرى .

طبعا ان الثورة عالمية ، لأن مصير الانسانية مرتبط ببعضه ككل . فالبلدان الاشتراكية مثلا على الرغم من انتصار الثورة فيها لا تستطيع ان تستغني عن ميزانيات الدفاع لتصرفها في زيادة الانتاج ما دامت هناك بورجوازية عدوانية تؤلف بالنسبة اليها تهديداً دائماً ، ولا تستطيع ايضا ان تتحكم تماما بالاقتصاد وبتوزيع الثروات وتقسيم العمل،أو تحل مشكلات الادارة والبيروقراطية وغيرها مادامت هناك بورجوازية تفرض قوانينها المختلفة خارج الحدود وتفرض في الوقت نفسه احتياطات عديدة ومستلزمات داخل الحدود . ومصير الانسانية مرتبط ببعضه لدرجة ان التحركات الثورية يجب الا تبقى شبه منفصلة عن بعضها تتفرد الامبريالية بكل منها وتسحقها ، أو على الاقل تكلفها تضحيات كبيرة جدا . يجب ان يكون هناك تنسيق بين القوى الثورية في العالم وان تكون هناك استراتيجية عالمية ثورية موحدة ، لان الحركة العامة للامبريالية تبدو ذات استراتيجية عالمية موحدة . وغياب الاستراتيجية الموحدة للقوى الثورية ووجود بعض التناقضات في داخلها يؤلفان نقطة ضعف مرحلية كبيرة . ولكن هذا المصير الانساني الموحد يجب ان يكون هدفا مصيرياً للشعوب لا للافراد ، لأن عمر الافراد هو أصغر بكثير من عمر الثورة. والشعوب هي التي تستطيع بشخصيتها الجماعية ان تقوم بالثورات وتستمر بها ، ومن هنا تظهر أهمية المعطى القومي .

لنلق نظرة أكثر دقة على الموضوع القومي :

للاحظ أولا ان الامة تؤلف معطى حضاريا بالنسبة للافراد ، والانتماء الطبيعي اليها يعني الانتماء الى مجموعة ظروف وشروط سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية .

فمثلا : العربي هو لمجرد كونه عربياً يعيش ظروف التجزئة والتخلف والاحتلال ويقع تحت ظروف استغلال اقتصادي معين ، وهو ثقافيا محدود بالمستوى الذي تتيحه المؤسسات العلمية القائمة في بلده وبالمصادر الثقافية المتاحة بلغته ، فلا يستطيع عربي ان يخصص نفسه للبحث العلمي، لانه لا توجد في بلده مراكز للبحث العلمي ، ولا يستطيع الاطلاع بشكل منتظم على الفكر المعاصر ، لأن دور النشر لا تساعده على ذلك ، ولا يستطيع ان يكون نجما سينمائيامشهورا أو رياضيا لامعا لان مؤسسات بلده ذات العلاقة ضعيفة الامكانيات . طبعا يستطيع بعض الأفراد ان يذللوا العقبات بوسائل خاصة ،

منها الاعتماد على الخارج ، ولكن الشعب كله لا يستطيع ذلك الا بالثورة . فالانتماء للامة العربية يعني الخضوع لكل هذه الظروف الذاتية الخاصة بالامة والتي تتغير نحو الاسوأ أو نحو الافضل بالانتقال من شعب لآخر حسب درجة التطور بالنسبة لهذا الشعب أو ذاك. الفرنسي ليس لديه ما يسمى تجزئة أو تخلفاً أو احتلالاً أو مشكلة ثقافية ، وانما يعاني مشكلة الاستغلال الاقتصادي البورجوازي ويعاني من نفوذ الرأسمال الامريكي ، الخ أي ان الظروف الذاتية تختلف . واذا انتقلنا الى الهند فان هناك ظروفاً من نوع آخر .

وعندما يحمل العربي مسؤولية ثورية فانه يتفق مع الفرنسي والهندي في كل ما هو مشترك مثل النضال ضد الامبريالية، ولكنه مضطر في الوقت نفسه ان يهتم بالظروف الذاتية لأمته وينطلق منها ، وفي ذلك لا بد ان يكون منطلقه قومياً لأن الآخرين حتى ولو تضامنوا معه لا يستطيعون انيساعدوه الا في تهيئة الشروط الموضوعية لحل المشكلات المنبثقة عن الظروف الذاتية وكذلك هو بالنسبة للآخرين . فالارتباط بالامة هنا ارتباط مادي منبثق عن واقع قائم ، وهذا العربي لا يستطيع ان يحمل المسئولية بشكل آخر منفصل عن هذه الظروف الذاتية ، كأن يعتبر ان موطنه الثوري هو في مكان آخر بعيد عن واقعه القائم ، لان ذلك الشكل هو هرب من المجابهة الثورية الحقيقية دون ان يكون قادراً على تقديم اي شيء ذي اهمية للموطن الثوري الآخر .

والانتماء للامة لا ارادي غالبا ، اذ يولد الانسان منتمياً الى امته ، وكذلك الانتماء الطبقي في هذه الامة ،إذ يولد الانسان ايضا اما لاب من الطبقة العاملة أو لأب بورجوازي. وبالطبع لا يستطيع العامل أن يتمتع بالامتيازات البورجوازية مـا دام على وضعه الاجتماعي ، ولا البورجوازي ان ينتقل الى الوضع الاجتماعي للعامل حتى ولو تخلى في حالات نادرة عن طبقته من اجل قضية ثورية .

وبانتماء الفرد للطبقة يدخل حتما بشكل او بآخر في دوامة الصراع الطبقي ، وفي مرحلة معينة ، يصل الصراع الى مستوى ثوري وينقسم المجتمع الى طبقتين اساسيتين متصارعتين . وباعتبار هـذا الصراع هو جزء من الصراع العالمي فان كلتا الطبقتين تدخلان في التحالف على الصعيد العالمي . فالطبقة البورجوازية تتحالف او هي متحالفة بالأصل مع الامبريالية العالمية ، والطبقة العاملة تتحالف مـع القوى الثورية العالمية . ولكن تحالف الطبقة البورجوازية يتضمن بطبيعته تفسخ الشخصية القومية لأنه تحالف مع الاحتلال او مع النفوذ الخارجي او مع الرأسمال الاجنبي .. الخ . أما تحالف الطبقة

العاملة فلا يمكن ان يتم الا من خلال التأكيد على الشخصية الجماعية ، ويتضمن بالتـالي ترسيخ الشخصية القومية . وذلك لأن التحالف مع القوى الثورية يتطلب من ابنـاء الطبقة العاملة التصميم المشترك ، اي التنظيم الثوري والتماسك لكي يؤلفوا قوة موحدة قادرة على التحرك الثوري . وهذا التنظيم في حد ذاته هو اقامة شخصية اعتبارية جماعية للطبقة ، وينطوي على تأكيد الرابطة القومية .

تبقى للشعب شخصيته الجماعية التي ساهمها في التطور الانساني ، لأن هذه الشخصية لم تعد مجرد اعتبار ذهني وانما هي واقع اجتماعي وعالمي : بهذه الشخصية تكافح الشعوب من اجل تحررها وتطرد الاحتلال من وطنها ، وبهذه الشخصية تؤسس دولتها المتحررة وبها تنظم مجتمعها الحاضر وتبني علاقاتها المتكافئة في الاسرة الدولية . وعندما تزول التناقضات بين الامم ، اي عندما تقتلع فكرة الاستعمار من جذورها ، فان هـذه الشخصية الجماعية تبقى ذات مهمة حضارية بحتة لانها تعبىء الجهود الاجتماعية في خدمة الانجازات المختلفة .

ان الامة بذلك تؤلف شخصية تاريخية مقطعها الزمني هو الشعب . وبالطبع فان الصراعات الداخلية في الأمة مستمرة وصراعاتها الخارجية مستمرة ايضاً ، وذلك الى ان تذوب التناقضات الداخلية ويتحول مجتمع الامة الى مجتمع لا طبقي ، والى ان تذوب التناقضات العالمية وتنشأ بين المجتمعات العالمية علاقات متكافئة .

عمليا يجري الصراع اليوم في العالم على مستويين : فالشعوب بشخصيتها الجماعية تكافح ضد الامبريالية ، اي ضد **العدوان الخارجي** بدرجاته المختلفة ، وفي الوقت نفسه تقوم **بصراع داخلي طبقي** ، اي ان المنطلق القومي فرض نفسه واقعيا ، الا ان الربط النظري بـين نوعي الصراع لايزال قائماً ، او بالاحرى لاتزال فيه مغالطات كثيرة خطيرة وغير مثارة ، ولكنها تظهر في المواقف الدقيقة وتؤلف منبعا للتناقض بين القوى الثورية . وتنتج تلك المغالطات من نظرة ضمنية في ان صراع الشعوب من اجل تقرير مصيرها ، على الرغم من ضرورته ، هو مرحلي وناتج عن مساهمة البورجوازية في ذلك الصراع . وبما أن نزعة البرجوازية قومية ، فهذا الشعار يبقى محركا للجماهير الى أن يستنفد غايته ، ويأتي دور البروليتاريا لتتسلم قيادة المراحل التالية . وحتى حق تقرير المصير المرحلي بالنسبة لتلك النظرة ليس مقصودا بحد ذاته وانما المقصود مقاومة الراسمالية العالمية من خلال مقاومة الشعوب لها وتصفية هذه المقاومة في حل التناقضات الكبيرة التي يتعرض لها النظام الراسمالي العالمي . لذلك ليس المهم بالنسبة لتلك النظرة ان تحصل الشعوب على حق

تقرير مصيرها فعلا او لاتحصل ، وانما المهم ان يعمق التناقض الطبقي من جهة ويعمق التناقض مع الامبريالية من جهة اخرى . اما ان يباد شعب او يشرد ويحل محله شعب اخر ، فلا يقدم ذلك او يؤخر شيئاً بالنسبة لتطور الانسانية على المدى البعيد . ومثل هذه الاجتياحات او الكوارث تعتبر نتيجة « طبيعية » للمرحلة الراسمالية .

ان هذا التفكير، بغض النظر عن منطقيته او لامنطقيته، فيه كل الخطورة ؛ لأن الانسانية لا تستطيع ان تصل الى مصير مشترك مالم يكن هناك تضامن بالمصير بين الشعوب ، ومالم يكن مقدسا بالنسبة للجميع حق الشعوب بوطنها وبأمنها وباستقرارها وبتطورها، ومالم يكن هناك تضامن ثوري بالدفاع المشترك عن نفسها . ان ضحايا الفيتنام كانت اقل بكثير، لو لم تكن لوحدها امام اضخم قوة امبريالية ، ونظرة خطيرة هي التي لاتعتبر كفاح الفيتنام الا مجرد جزء من التناقض في قلب النظام الامبريالي، ولذلك فالموقف « الثوري » ينحصر في تعميقه دون تبنيه .

الواقع ان الصراع على المستويين لدى كل امة متلازم تلازماً عضوياً ، لأن صراع الطبقة العاملة داخل كل امة ضد النظام الرأسمالي ينقلها مباشرة الى المستوى الآخر، اي الصراع ضد النظام الرأسمالي العالمي ، اي صراع الطبقة العاملة باعتبارها ممثلة لشعبها ولامتها ضد العدوان الخارجي بأشكاله المختلفة . ولا تستطيع هذه الطبقة ان تتحرر من الاستغلال الا اذا قامت بممارسة الصراع على المستويين معا . وبالمقابل فان الصراع ضد العدوان الخارجي في مراحله الاولى الذي « تشترك » فيه البورجوازية — إن صح الافتراض — ينقل الشعب الذي يمارس هذا الصراع مباشرة إلى الصراع الطبقي الداخلي ، لأن البرجوازية المحلية سرعان ما تتحالف مع الامبريالية وتقف ضد الصراع التحرري . وفي الوقت نفسه يؤدي تحرر المستعمرات الى تعميق التناقض الداخلي في البلدان الرأسمالية المتطورة ويفجر الصراع الطبقي فيها بأقصى حدته ، اي يؤدي بالتالي الى انهيار النظام الرأسمالي ليس فقط في المستعمرات، وانما ايضا في البلدان الرأسمالية المتطورة. **وبذلك يمكن القول ان الطريق للوصول عالمياً الى المجتمع اللاطبقي ، هو إزالة استغلال أمة لأخرى** . أي إن شعار : « أزيلوا استغلال الانسان للانسان فتزيلون بذلك استغلال أمة لأخرى » يصبح : « ازيلوا استغلال امة لأخرى فتزيلون بذلك استغلال الانسان للانسان ».

ان وضع المنطلق القومي في اطاره الصحيح، والخروج من المفهوم البورجوازي للقومية بتطوير هذا المفهوم ، يؤلفان ثغرة كبيرة نظرية وعملية في الكفاح الثوري العالمي . وكما انه من الضروري ازالة المغالطات المتعلقة بحق تقرير المصير وتصفية الرواسب المتخلفة عن انتهازية الاممية الثانية التي حاولت ان تبرر التوسع الاستعماري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بايديولوجية ثورية ، فان من الضروري ايضا تصفية المفهوم القومي من شوائب التفكير الليبرالي والبورجوازي . فليس هناك صراع قومي شوفيني بين الشعوب ، وانما صراع بين الشعوب وقوى العدوان الخارجي المتمثلة بالامبريالية ، ولكن القوى البشرية التي تجندها هذه الامبريالية لايمكن اعتبارها خلال المعركة الاجزءاً من القوة الامبريالية ككل حتى تقف مواقف اخرى . مثلا لايمكن اعتبار الجنود الامريكيين في الفيتنام طبقة كادحة مادامو1 يحملون السلاح ويطلقون الرصاص على الشعب الفيتنامي ، ومن السخف ان يطلب من الشعب الفيتنامي مسالمتهم واعتبار الاعداء الحقيقيين قياداتهم العسكرية والسياسية العليا . صحيح ان تلك القيادات هي التي تؤلف الاعداء الحقيقيين ، ولكن جنود الاحتلال هم اداة الاعتداء وحربته ، ولا يمكن اعتبـــارهم سوى اعداء مادامو1 يقومون بالمهمة العدوانية على الارض الفيتنامية. أما الصراع مع امريكا فلا يشمل بالطبع الشعب الامريكي، الذي يسخّر عنوة للحروب الاستعمارية .

ومن جهة اخرى يجب التمييز بين حق تقرير المصير لشعب من الشعوب في ارضه ووطنه ، وبين الاثارة الاستعمارية للأقليات في مناطق العالم المختلفة المساهمة بالثورات المضادة ضد الشعوب . وبما أن الاقليات موجودة في كل منطقة من مناطق العالم ، فتستخدم كل الاثارات كسلاح امبريالي دائم لضرب التحركات الثورية . ان الاقليات لها حقوق ديمقراطية وليس لها حقوق قومية ، أي لها حق بالمساواة المطلقة وبعدم وجود أي تمييز عنصري أو ديني في البقعة التي تعيش فيها ، ولكن لها حقاً قومياً بمصير مستقل . مثلا : الاقليات العربية المستوطنة في امريكا اللاتينية لها حقوق ديمقراطية بالمساواة وبعدم التمييز العنصري الخ . ولكن ليس لها حق قومي بمصير مستقل في تلك القارة لأنها ليست وطنا لها . اما العرب في الوطن العربي فلهم حق قومي بتقرير المصير ولا يمكن استبدال هذا الحق بحق ديمقراطي بالتساوي مع المحتل، كما كانت الاصوات العميلة والاستعمارية تدعو في الجزائر ايام الاحتلال الفرنسي . لقد كان الحق القومي هو المطلب الجزائري وليس الحقوق الديمقراطية بالتساوي مع الفرنسيين . وبذلك يمكن التمييز بين الكفاح الثوري والاثارات المضادة للثورة والناتجة عن العمالة للامبريالية ، ويمكن معرفة متى يكون الكفاح من اجل حق تقرير المصير مشروعاً ومتى يكون حق تقرير المصـــير دعوى مزيفة .

والموقف الثوري الصحيح هو مع الكفاح المشروع لحق تقرير المصير ، ومع الكفاح المشروع من اجل الحقوق الديمقراطية والغاء كل تمييز عنصري أو ديني أو اقليمي،

ولكنه ضد تحركات الثورة المضادة ولاسيا التحركات التي تلبس اقنعة تقدمية وتربح بعض الصدى الدولي لدى القوى التقدمية والثورية . ان القوى الثورية اذا لم تميز بين ماهو ثورة وما هو ثورة مضادة، فإنها تقع في التناقض وتضرب نفسها بنفسها على المدى الطويل ، وهذا ماتريده الامبريالية . بالاضافة الى ان مناصرة الثورة المضادة هي في الوقت نفسه مناصرة للامبريالية بالذات ، والشراك الامبريالية من هذا النوع عديدة ومتنوعة .

وحق تقرير المصير ليس حقا رجعيا ، وانما هو حق تقدمي . واذا اتجه اتجاها رجعياً فمن حق القوى الثورية ان تقف ضده . وليس من المنطق ان تقف القوى الثورية موقفا ايجابيا من بلد اشتراكي يريد الرجوع الى النظام الرأسمالي بحجة حق تقرير المصير ، أو أن تقف موقفا ايجابيا من تدفق رؤس الأموال الامبريالية على بلد تقدمي ، لأن ذلك من شؤونه الداخلية . ان مقاومة الرجعة الى الوراء هو من صميم المهات الملقاة على عاتق القوى الثورية ويتعلق بأمنها مباشرة ، لأن كل توسع للامبريالية يؤلف خطراً جديداً على القوى الثورية . أما بالنسبة لعلاقة الامة بالماضي فهي بسيطة : ان الطبقة العاملة ترتبط بالماضي بواسطة الانجازات الخيرة التي تمت به والتراث الحضاري الذي انتقل اليها منه . وبالطبع لاينتقل الصراع الطبقي الى الماضي ولايقوم تقويما « سياسيا » وانما يحلل تحليلا علميا ويقوم في الاطار الزمني الذي وجد به . كذلك لاينتقل المنطق القديم الى الحاضر كما تحاول الرجعية ان تفعل ، فالحاضر له منطقه المتطور ، اما الماضي فهو مرحلة من مراحل التطور .

هذه الملامح العامة للتفكير القومي بالاتجاه الثوري ليست غريبة عن تفكير ماركس على الرغم من اعتباره قضية البرولتاريا قضية عالمية . ولعل الجملة المقتضبة التي وردت في البيان تؤكد ذلك اذا احسن تفسيرها :

« ويتهم الشيوعيون بأنهم يريدون هدم الوطن والقومية . ان الطبقة الكادحة لاوطن لها . ولذلك لانستطيع ان نأخذ منها مالاتملكه ، ولكن بما أن واجب البروليتاريا ان تستولي على السلطة السياسية ، فيجب ان ترتفع لتكون الطبقة القائدة للأمة . ويجب ان تؤلف هي الامة وبذلك تكون قومية ، ولكن ليس بالمعنى البورجوازي للكلمة . »

الاعتراض الذي يمكن ايراده هنا هو ان الوطن للطبقة العاملة ولأجيالها وليس للطبقات المسيطرة . ابناؤها هم اللاصقون به والمدافعون عنه الذين لايستطيعون بالاصل وفي الحالة العامة إلا نادرا الهرب منه الى مكان آخر ، وهم الذين ارتبط كفاحهم التاريخي

به . اما اذا كان المقصود أن الطبقات المسيطرة هي التي تملك الجزء الهام والاساسي من ثروات الوطن ، فهذا صحيح الا انه لايعني مطلقا ان الوطن يصبح بذلك للبورجوازية ، واذا سلب فأنما يسلب منها . هذا لايتفق مع الواقع ففي عمليات التشريد الجماعية العديدة التي كانت تنتج عن الاحتلال - أي احتلال كان - كانت الطبقات المسيطرة البورجوازية أو الاقطاعية لاتتأثر الاجزئيا وتستطيع ان تتدبر امرها في الظروف الجديدة . اما الجماهير الفقيرة فكانت تموت جوعا أو تتعرض للمجازر الجماعية أو تتحول الى قطعان من الرقيق في احسن الاحوال ولا ينجو منها الا النذر اليسير .

الوحدة العربية ومضمونها التقدمي

ليست الوحدة العربية نظرية بحاجة الى اثبات ، بل هي واقع يحرك اعماق الجماهير العربية من الخليج الى المحيط . والمهم الآن هو تحديد المضمون الاجتماعي للحركة القومية العربية ، ثم للوحدة العربية باعتبارها « الاطار » العملي للقومية العربية .

لقد اكد التطور الواقعي للنضال العربي الطابع الاشتراكي والشعبي والثوري لمعركة الوحدة العربية .

أ - لقد اصطدم النضال القومي العربي بالاستعمار باعتباره خالق التجزئة والحريص على بقائها وتكريسها باعتبارها وسيلة استمرار نفوذه واحتكاراته في الوطن العربي .

ب - واصطدم النضال القومي العربي بالاقطاع كأسلوب انتاج فات أوانه وكطبقة سياسية في آن واحد ، باعتبار ان الطبقة الاقطاعية هي الطبقة العميلة بصورة مباشرة وصريحة للاستعمار .

ج - واصطدم النضال القومي العربي بالبورجوازية الوطنية ، نظراً لأن بورجوازية كل قطر قد نمت بشكل مستقل ومعزول عن بورجوازيات الاقطار الأخرى ، فحولت البورجوازيات القطرية التناقضات بينها الى تناقضات اقليمية بين قطر وآخر ، لذا وجد النضال القومي العربي نفسه مجبراً على إزالة العراقيل البورجوازية كسبيل لتخطي الحدود الاقليمية ، وصنع وحدته القومية .

لذا فان الوحدة العربية تأتي اليوم ضمن افق تاريخي صحيح ، وهي تعبر عن حاجة الجماهير الى التحرر ، وعن رغبتها في تحريك كامل قواها لتحطيم العراقيل التي تقف بطريق تقدمها ..

ولأن سير التطور الواقعي لحركة القومية قد سار في هذه المسارب التاريخية الجديدة، لذا فان دفع حركة الوحدة الى أمام يوجب اللجوء الى عوامل موضوعية لبناء سس هـذه الوحدة ورسم اطارها . فالعوامل الذاتية والعاطفية لم تعد قادرة على بناء وحدة تجابه الاستعمار بمجموعه ، كما تجابه في الوقت نفسه اعداء طبقيين داخليين تفقدهم الوحدة مواقعهم الممتازة ونفوذهم وتسلطهم .

ان الوحدة بين اقطار خلفت التجزئة فيها الرواسب الاقليمية المتخلفة والمصالح الضيقة عمل ضخم جبار يتحدد بالضرورة في التزام ايديولوجية ، وذلك على الصعيـد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على السواء. وهذه الايديولوجية لا بد ان تكون معبرة بأمانة عن مصالح الجماهير من جهة ، ومعتمدة عليها من جهة اخرى. فلكي تضمن الوحدة الشروط الموضوعية لانطلاقة صحيحة ، لا بد أن تنبثق عن جماهير واعية مكونة تكويناً سياسياً مسؤولاً، ومنظمة تنظيماً محكماً . وبما ان روح الديمقراطية هي الايمان بالجماهير، لذا فان الكفاح الوحدوي هو كفاح ديمقراطي اشتراكي بالضرورة .

ان الوحدة العربية الشاملة هدف جماهيري ثوري يجب تحقيقه تحقيقاً واعياً وسليماً. ولا بد إذن من ان تتجسد الوحدة بصورة ديمقراطية وإتجاه إشتراكي علمي ومشاركة ايجابية فعالة من الجماهير المنظمة .

لم تعد الوحدة العربية في هذه الظروف الجديدة مجرد تجسيد عملي لوحـدة الشعب القوميـة ، بل اصبحت محركاً للنضال العربي ايضاً ، سواء على الصعيدين السياسي أو الاجتماعي .

١ – ان دولة العرب المنشودة لن تكون ضرباً من الدول القومية التقليدية التي قامت على أساس قومي مجرد . فالمصالح البورجوازية القطرية بالاضافة الى الاقطاعية والطبقات الاحتكارية أصبحت عدوة للوحدة. فالنضال الجماهيري الوحدوي الذي اصبح مضطراً لازالة هذه العراقيل الاقليمية ، يصنع إشتراكيته في نفس الوقت الذي يصنع فيه وحدته .

٢ – لم تعد الوحدة العربية مجرد تحقيق لماض سلف ، بل هي ضرورة مبـاشرة في معركة الوجود العربي ضد الاستعمار بشكليه القديم والجديد. فالطريق الى استعادة الأجزاء السليبة من الوطن العربي، وتدمير الاحتكارات الاستعمارية وسد المنافذ امام تسلل الاستعمار الجديد لا يمكن أن يتم بصورة نهائية وأكيدة الا عبر النضال الوحدوي .

إن التجزئة والتخلف هي المناخ الطبيعي الذي يعيش فيه الاستعمار الجديد . ففي غمرة التناقض والتنافس اللذين لا بد أن يوجدا بين الكيانات الصغيرة المصطنعة يجد الاستعمار الجديد مجالاً لتسلله . وبالاضافة الى ذلك فان سياسة الدول الصغرى تبقى دوماً والى حد كبير - مهما تحررت - مجرد رفض سلبي للسياسة الاستعمارية ؛ كما ان تعاونها مع الدول الاشتراكية يعرقله نوع من الخشية غير المنظورة من الاستعمار ومن العقدة ازاء المعسكر الاشتراكي ذاته . لذا فان دولة الوحـــدة ، وهي دولة كبيرة بالضرورة ، هي التي يمكنها ان تنقل السياسة العربية من مجرد الرفض السلبي الدفاعي ، الى ممارسة سياسة ثورية ومبدئية على النطاق الدولي دون انتظار لالتقاط صدى هذه السياسة في المعسكرات الدولية . ان الثقل الكمي والنوعي لدولة الوحدة الضخمة - يعطيها من القوة والمنعة ما يمكنها من توجيه الضربات الثورية العادلة والمشروعة لبقايا مواقع الاستعمار القـــديم واحتكاراته وعميلته اسرائيل ، وهو الذي سيسد الطريق بشكل حاسم ونهائي أمام تسلل الاستعمار الجديد .

٣ - إن الوحدة ستتيح الفرصة الجدية لانطلاق الاقتصاد العربي انطلاقاً سريعاً . فالحدود الاقليمية كانت عاملا اساسياً في لجم انطلاق اقتصادي عصري ، باعتبار ان التسويق هو الوجه الآخر للتصنيع ، وضيق الاسواق القطرية عامل هام يعرقل التطور الاقتصادي العربي ويمنعه من ان يأخذ كل مداه في انطلاقته . وتكاد ان تتحول هذه الحدود الى سبب لاختناق اقتصادي في الاقطار العربية الصغيرة . فالجانب الاقتصادي للوحدة العربية يهيىء الظروف الموضوعية لقيام اقتصاد الابعاد الكبيرة ، ولانشاء صناعات متطورة وضخمة وعصرية تستطيع ان تقف بجدارة في وجه المزاحمة الاجنبية ، بعيدة عن أسوار الحماية الجمركية لصناعات متخلفة وصغيرة وغير اقتصادية . وبالاضافة الى كل هذا فان التكامل الاقتصادي المتوفر في وطننـــا العربي سيكون مهازاً لتطور سريع للاقتصاد العربي بمجموعه .

فالثروات الطبيعية الكبيرة والمتنوعة المتوفرة في الوطن العربي ، هي التي تهيء الظروف الموضوعية للافلات من التبعية للدول المستعمرة ، لأن المسألة الحاسمة في التطور الاقتصادي ليست مسألة توظيفات فحسب ، بل هي مسألة تسويق وتبادل أيضاً . كما ان الوحدة العربية ستزيل المزاحمة والتسابق في البحث عن وسائل التمويل الاجنبية ، وستلغي النفقات المزدوجة غير المعقولة لمشاريع التصنيع المتشابهة ، وستزيل اخيراً عدم التساوي في توزيع الموارد الوطنية ووسائل العمل بين اقطار الوطن العربي .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

لكل هذه الاسباب فان الوحدة ليست خلاصاً قومياً فحسب ، بل هي بالنتيجة تحرر اقتصادي واجتماعي وقضاء على التخلف وسير سريع للحاق بركب التاريخ .

٤ – ان الاشتراكية هي المضمون الواقعي للوحدة العربية ، وان بناء الاشتراكية يعطي الوحدة الاطار البشري والاقتصادي الأكثر انسجاماً مع متطلبات ثمول التجربة وجذوريتها . فالبلدان الصغيرة لا تستطيع ان تصعد في طريق الاشتراكية بشكل منعزل، لأن التطوير الاقتصادي (والتصنيع بوجه خاص باعتباره القاعدة المادية للاشتراكية) سيبقى دوماً مهدداً بالجمود والاختناق ، لذا فإن **الوحـــدة العربية والاشتراكية قضيتان متلازمتان على الصعيد التاريخي والاقتصادي .**

٥ – ان التطور الموضوعي لعالمنا الراهن يحث الخطى نحو كتل كبرى من الشعوب ، وقد تألفت دول عديدة على أساس قوميات متعددة ، كما أخذت تتبلور تكتلات سياسية واقتصادية تمهد لارتباطات أعمق وامتن وأوثق ، كالوحدة الأوربية ، والسوق الأوربية المشتركة ، والمعسكر الاشتراكي ، وكتلة الدول الافريقية . وان السعي لإحكام سيطرة الاستعمار الجديد على البلدان المتخلفة – في ظروف تداعي وانهيار الاستعمار القديم ونشوء تكتلات سياسية واقتصادية دولية كبرى – تجعل الوحدة العربية سلاحاً للدفاع عن مصالح الشعب العربي .

فالوحدة العربية بالاضافة الى كونها تجسيداً للقومية العربية ، تتفق وسير التطور الموضوعي لعالمنا المعاصر ، وهي ضرورة أساسية لمجابهة الأخطار الجديدة ، وهي الأساس الطبيعي لتطوير الوطن العربي واللحاق بالتطور العالمي العاصف في هذا المضمار .

ان الوحدة العربية أساس لا بد منه لإقامة مجتمع اشتراكي يواجه تحدي العصر الجديد – عصر الثورة الصناعية الجديدة – واخطار الاستعمار الجديد .

الا ان المضمون الشعبي للوحدة يوجب تطبيق اللامركزية (أو الحكم الذاتي) في الحكم باعتبـــاره التطبيق العملي للديمقراطيـــة الاشتراكية . ان اللامركزية في الشؤون القطرية والمحلية ، ضرورة ديمقراطية . الا ان اللامركزية في الشؤون المحلية القطرية لن تعتمد بالضرورة الخريطة الحالية للوطن العربي ، ولن تكون منطلقاً لها وأساساً لتطبيقها ، فالكيانات الحالية ليست كيانات أزلية أو طبيعية ، بل هي كيانات زائفة ومصطنعة وحديثة في آن واحد . فالاطار الجديد للامركزية في الحكم

سيتحدد وفق شروط الانتاج وحاجات البناء الاقتصادي والاجتماعي لكي يأتي منسجماً مع المصلحة الجديدة الحقيقية الملموسة لجماهير الشعب العربي .

٦ – ان الانطلاق الواعي من الظروف الموضوعية يقتضي تثبيت الحقائق الملموسة في الواقع العربي لا القفز من فوقها وتجاهلها . لقد خلقت التجزئة الطويلة ظروفاً اقليمية متنوعة وتفاوتاً في التطور الاقتصادي انعكس على الجوانب الأخرى من الحياة ، على الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي . فالبناء الوحدوي في البدء ينبغي أن يستوعب هذه الظروف ، لكي يستطيع التغلب عليها وتصفيتها بصورة تدريجية وموزونة وأكيدة عن طريق التفاعل بين الأقطار باعتباره الطريق العملي الوحيد للصهر .

٧ – ان الوحدة في مفهومها الديمقراطي والثوري يجب أن تأتي تتويجاً للنضال الثوري العربي وحصيلة للتفاعل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بين مختلف التجارب الثورية العربية ، فإحلال الامتداد محل التفاعل ودمج تجارب ثورية أصيلة يؤدي عملياً إلى تعميق التناقضات الاقليمية وابرازها بشكل عدائي وبوفر ظروف ردة الانفصالية كما حدث في ٢٨/ أيلول ١٩٦١ في سورية ، وهي أخطر من التجزئة نفسها . لأن التجزئة واقع مريض موروث في حين أن الانفصال خطوة إلى الوراء ، إن الحركة السلبية والردات الاقليمية أكثر خطورة من الجمود الفاسد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ – ان تعميق الطابع الاشتراكي الديمقراطي لأسس الوحدة ضمان أساسي لرسوخ بنيانها . فالجماهير الشعبية هي وحدها المبرأة من رواسب الاقليمية وظروفها والمصالح التي تولدها . فالعمال والفلاحون لن يفقدوا شيئاً بزوال الحدود ، في حين ان البورجوازية والبيروقراطية تفقد مواقعها الحقيقية عند زوال الحدود . ان التعصب الاقليمي هو ضرب من الدفاع عن المصالح الاقليمية التي تزيلها الوحدة ، فالوحدة العربية في تطورها الملموس هي ثورة قومية واشتراكية ديمقراطية في آن واحد .

٩ – ان القوى الثورية الجماهيرية المنظمة هي الأدوات الموضوعية التي تصنع الوحدة وتحميها وترسخها ، لذا فان أفضل أشكال الوحدة وأرسخها هي التي تأتي حصيلة لنضال ثوري جماهيري تقوده قوى ثورية منسجمة موحدة ، لأن الوحدة العضوية بين القوى الطليعية تجعلها أكثر جدارة واقتداراً في اتخاذ موقف موحد منسجم حيال رواسب التجزئة وحيال مختلف القضايا الأخرى ، الا ان الظروف الموضوعية في الوطن العربي قد خلقت حركات تقدمية أو ثورية متعددة . هذه الحركات ، وان كان خطها

الأساسي متشابهاً ، الا ان بناها وتركيبها الاجتماعي واختلاف مستوياتها الايديولوجية ورواسب التجزئة والاقليمية فيها تخلق بعض الاختلاف في نظرتها لقضايا النضال القومي الاشتراكي . ولكن طابع هذا الاختلاف ليس عدائياً ، بل هو مسألة تعيين الحدود بين الخطأ والصواب .

ان اللقاء والتفاعل بين القوى القومية التقدمية يبغيان بالنتيجة صهر هذه القوى على الأسس التي يثبت العلم والتجربة النضالية صوابها ، إذ ان تحقيق الوحدة رهن بتوحيد المنطلقات النظرية التي ستبنى عليها ، وبوحدة الأسلوب النضالي المؤدي الى تحقيقها ، الا أن التوحيد على أساس فرض اطار مسبق يصدر عن قطر يؤدي عملياً الى نسف كل امكانية صهر جدية للقوى الثورية الجماهيرية . وبما ان الوحدة ستأتي حصيلة لقاء هذه القوى ، لذا ينبغي ان يتم هذا اللقاء على أساس التفاعل لا الفرض ، على أساس إزالة الاختلافات الجزئية والثانوية عن طريق تبادل الخبرة والتجربة .

ان كل محاولة لبناء هذه العلاقات على أساس غير ديمقراطي وعلى أساس الفرض والإلحاق سوف لا يقتصر أثرها على تحويل تلك الخلافات الجزئية الى مواقف عدائية بين هذه الحركات ، بل الى عرقلة قضية الوحدة وتفتيت الصف العربي المتحرر المعادي للاستعمار .

١٠ — ان الوحدة العربية سوف تتقدم على مراحل ، وهذه المرحلية في تحقيق الوحدة لا تشكل خطراً على الوحدة الشاملة ما دامت ناجمة عن بعض الظروف الموضوعية للنضال العربي ، وليست تعبيراً عن نظريات شبه انفصالية وشبه اقليمية .

ان الوحدة الجزئية تصبح خطراً على القضية القومية عندما تكون بديلاً عن الوحدة القومية الشاملة ، في حين أنها تصبح خطوة وحدوية سليمة عندما تكون مجرد خطوة في طريق الوحدة الشاملة تكفل صهر الطاقات الثورية بين قطرين أو أكثر ، وتمهد لايجاد ظروف جديدة تساعد على تحقيق خطوات وحدوية أخرى .

ماهية الثورة

الثورة هي رفض لحصيلة واقع قائم (اذن لا ثورة خارج واقع موضوعي معطى) . واحتمال الثورة هو وجود قوى ، ضمن هذا الواقع ، ترفضه . والثورة هي تحول هذا الاحتمال الى حركة عينية لتهديم هذا الواقع (أي عدم الأكتفاء بالموقف السلبي

فقط) ، وهذا هو موقف الرفض الايجابي . والثورة هي طرح البديل لهـذا الواقع المرفوض ، المعمول على تهديه ، وهذا هو الموقف الثوري الايجابي :

الثورة هي عملية هذا الرفض وعملية ذاك التهديم

وعملية تحقيق ذلك البديل .

كيف يتم تحليل هذا الواقع بجزئياته ومحصلته ؟

من يقوم بهذا الرفض ، وما هي مبررات الرفض ؟

من يقوم بعملية الهدم ، ومتى وكيف ولماذا تتم هذه العملية ؟ ؟

من يحدد البديل لهذا الواقع ، ومن يعمل لتحقيقه ، وبأي اسلوب يتم هذا العمل ؟

تلك هي فلسفة الثورة **بأبعادها الثلاثة** المتداخلة

١ - النظرية الثورية :

هي دليل العمل الثوري الذي يحلل جوانب الواقع ويستوعبه ويرفضه ويحدد مطارح الهدم فيه ، ويطرح الاطار البديل المتطور . وهذه النظرية تتطور ، بتعرض التحليل ، من خلال الممارسة ، الى معطيات جديدة في الواقع ذاته .

٢ التنظيم الثوري :

وهو الاداة الثورية التي تتسلح بتلك النظرية وتستوعبها كاملة ، وتكون بنيتها من الطبقات ذات المصلحة في تحقيق البديل الذي تطرحه النظرية الثورية ، فتكون بذلك مؤهلة لتنظيم عملية الرفض والهدم وتنفيذ البديل .

٣ - الاسلوب الثوري :

وهو الحركة النوعية والكمية التي تحرك الاداة في عمل يومي جزئي مرتبط بتحقيق الأهداف الشاملة للنظرية .

وبالقدر الذي يتوفر فيـه تناغم واتساق هذه الأبعاد الثلاثة ، أي بالقدر الذي تكون فيه الاداة بمستوى النظرية (لاستيعابها) وبمستوى الاسلوب (التحرك ضمنه) ، بقدر ما تتحقق النظرية وتفعل في الواقع رفضاً وهدماً واستبدالاً .

ماهي الثورة العربية ؟

إن الثورة العربية المعاصرة حركة تاريخية ترفض الواقع العربي القائم بمحصلته ، وتعمل على هدم هذا الواقع كمحصلة ، وتستهدف تحويلاً جذرياً للمجتمع العربي في مختلف النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وعلى جميع المستويات .

الثورة العربية المعاصرة ترفض واقع التجزئة ، وتعمل ، بعد تحليل اسباب هذا الواقع ، لتهديم مرتكزاتها (مرتكزات) في مختلف النواحي المذكورة .

الثورة العربية المعاصرة ترفض جميع أشكال النفوذ والقهر والهيمنة الامبريالية والاستعمارية القائمة في الواقع ، وتعمل ، بعد تحليل هـذا الواقع المرفوض ، لتهديم مرتكزاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية (بما فيها العسكرية) .

الثورة العربية المعاصرة ترفض التخلف والاستغلال والعبودية والفقر والجهل والانغلاق ، وهي امور سائدة في الواقع العربي ، أي في واقع الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للأمة العربية ، وتعمل ، بعد تحليل هذا الواقع ، لتهديم مرتكزاته في مختلف النواحي وعلى جميع المستويات .

وبشكل إيجابي تحددت أهداف الثورة العربية المعاصرة بثلاثة :

١ ـ الوحدة :

وهي تحقيق الوحدة القومية والكيان السياسي الموحد للامة العربية .

٢ ـ الحرية :

وهي ان يتمتع الانسان العربي والامة العربية بممارسة حرة واعيـة ومسؤولة في المجالات الداخلية والخارجية ، وذلك بتحرير الفرد العربي والوطن العربي من السلبيات الذاتية (للفرد وللجماعة) ومن المعيقات الخارجية .

٣ ـ الاشتراكية :

وهي بناء علاقات جديدة في المجتمع العربي لتحقيق تقدم سريع في النوع والكم في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية (طبعاً هناك علاقة جدلية بين تحقيق التقدم وبين العلاقات الجديدة في المجتمع بفعل التأثير المتبادل) .

ان القيمة النظرية (الثورية والعلمية) لهذه الأهداف ليست في تعداد او ترتيب مفرداتها ، بل في العلاقة الجدلية والمصيرية بينها ، اي في الربط الموضوعي بين النضال القومي في سبيل التحرر والوحدة ، والنضال الطبقي في سبيل الاشتراكية .

ولابد ، لكي تكون هذه القيمة متكاملة ، من ان نؤكد العلاقة المصيرية المتبادلة بين حركة الثورة العربية المعاصرة وبين حركة التحرر والتقدم في العالم الثالث بشكل خاص ، والثورة العالمية بشكل عام .

أن حركة التحرر الوطني بدأت تستوعب وتجسد مضمونهـا الجديد : حركة

الثورة القومية الاشتراكية . والتعبير العربي لهذا المضمون الجديد هو : حركة الثورة العربية (الوحدوية – الاشتراكية) . ان لهذه الحركة ممارسات نضالية واقعية ومواقع جديدة تنطلق منها واحتمالات تاريخية تشير اليها . وان لهذه الممارسات والمواقع والاحتمالات اثراً حاسماً في زعزعة النظام الامبريالي وانهياره .

من خلال ذلك كله ، تمثل حركة الثورة القومية الاشتراكية اليوم ، قوة متميزة (في اطار الثورة العالمية المتكاملة) تجاوزت التصنيفات التقليدية لمواقع القوى التي تشكل محرك الثورة العالمية .

ان التصنيف التقليدي لهذه القوى كان كما يلي :

١ – منظومة الدول الاشتراكية

٢ – الحركة العمالية في البلدان الرأسمالية (المتقدمة) .

٣ – حركة التحرر الوطني .

ان هذا الدور الثالث (المساعد) – هذه الدرجة الثالثة – في التصنيف التقليدي لم يعد معبراً عن استيعاب حقيقي وشامل لعمق الممارسة المتصاعدة ، والمواجهة الجدية التي تضطلع بها حركة التحرر الوطني (بمكتسبها التاريخي الجديد) ، ولأهمية المواقع التي تنطلق منها (ولا تتمركز فيها) ، وللعمق التاريخي الحاسم للمهمات التي حققتها وتسعى لتحقيقها .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد شهد القرن العشرون (في الربع الثاني منه بشكل خاص) تطورا هاما وتاريخيا في اسلوب الممارسة النضالية لحركة التحرر الوطني ، وفي أهمية المواقع الجديدة (المحررة) التي تنطلق منها لمواقع جديدة .. وفي الآفاق التاريخية (الداخلية والخارجية) لمضامينها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي اكتسبتها عبر ممارستها الخاصة وعبر تمثلها (ولو بدرجات متفاوتة) لمعطيات الفكر الثوري العلمي .

ان هذا التطور الملموس (يقفز) بالثورة القومية الاشتراكية الى مواقع متقدمة .

ان هذا التطور ، ضمن ظروف العلاقات الدولية الراهنة و (الثابتة) لفترة ليست قريبة ، وضمن احتمالاته (احتمالات التطور) المتصاعدة ، يخلق علاقة جدلية بين (مطارح) شراسة الهجمة الامبريالية (ميادين الصدام) ، وبين المواقع المتقدمة لحركة الثورة القومية الاشتراكية ضمن قوى الثورة العالمية .

وهذا يدفعنا الى وضع « التصنيف » التالي على سبيل المقارنة المتحركة لا (التأكيد) الجامد :

الحركة العمالية في البلدان الرأسمالية (المتقدمة)

وهذا يعني بشكل عام مايلي :

١ – أن الدول الاشتراكية ككل ، وحركةالثورة القومية الاشتراكية المعاصرة ، تمثلان معاً (من خلال الممارسة في النضال والبناء والدعم والأثر المتبادل) صلب الثورة العالمية .

٢ – ان الحركة العمالية في البلدان الرأسمالية (المتقدمة) تستفيد (تتأثر) تاريخياً وموضوعياً من تقدم الثورة القوميةالاشتراكية (في ممارستهاوموقعهاومهماتها التاريخية) بقدر يتجاوز استفادتها (تأثرها) تاريخياوموضوعيامن التقدمالحالي للدول الاشتراكية، ومن نضالها الذاتي في صورته الحالية التي استقر عليها و (الثابتة) لفترة ليست قصيرة .

٣ – أن هذا النضال الذاتي للحركة العمالية في البلدان الرأسمالية (المتقدمة) يتجه (في صورته الحالية) نحو دعم (تأكيد وتبرير) مواقعها الحالية من جهة ، وهو قريب (متأثر) من سياسة الدول الاشتراكية من جهة ثانية ، اكثر من اتجاهه نحو استيعاب المهمات التاريخية الجديدة للثورة القومية الاشتراكية وتكييف ممارسته واستعداداته على اساس هذا الاستيعاب ، رغم انه لايوجد تناقض عدائي بين الدول الاشتراكية (ككل) أي كاتجاه عام ، وبين الثورة القومية الاشتراكية .

٤ – ان هذا (التصنيف) لاينفي ابداً وجود استثناءات هنا وهناك ، وفي هذا الاتجاه او ذاك .

ذلك هو البعد الاول لفلسفة الثورة العربية المعاصرة (النظرية الثورية) في اطاره العام .

فكيف يتطور ، عمقاً وشمولاً ، وعي واستيعاب وتثمير هذا البعد ،وما هي منعكسات هذا التطور واحتمالاته (في المستقبل المنظور) على اداة الثورة العربية واسلوب عملها ، كما يرى ذلك حزب البعث العربي الاشتراكي ، كأول حركة قومية اشتراكية ساهمت وتساهم ، (في خط بياني متصاعد) في هذا التطور فكراً وتنظيماً ونضالاً .

ان النظرية النضالية لا يمكن ان تختلف بين يوم وليلة او خلال سنة او سنتين ، وانما تتبلور في الاذهان نتيجة تحولات تاريخية تواجه النضال الجماهيري ويكون مجبراً على تحديد موقف منها : موقف حي وحاسم في آن واحد . ونتيجة لذلك تأخذ تلك النظرية في النمو والتبلور وتصبح دليلاً لتحرك الجماهير الزاحفة نحو اهدافها .

ولقد تميز الواقع العربي الذي سبق ورافق ولادة الحزب بسمات وتحولات سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية كان على النضال الجماهيري العربي ان يحدد موقفا حيا وحاسما منها ، وهذه التحولات والسمات هي :

١ ــ التجزئة :

لقد نشأ حزب البعث متطلعا الى مجابهة واقع امة مجزأة إلى دويلات ، متباعدة في المسافة ومستوى التطور ، متباعدة في فهم قضيتها الواحدة ، مجزأة الولاءات على الصعيدين الرسمي والشعبي . فعلى الصعيد الرسمي كان ولاء الحكام مبعثرا بين الاستعمار الاسباني والانكليزي والفرنسي والايطالي (انظمة الالحاق والانتداب والحماية والوصاية) . وعلى الصعيد الشعبي كانت العوامل القومية والدينية والاقليمية والطائفية والعشائرية تتقاسم ولاءات الجماهير العربية بقدر متفاوت . ولعل العامل القومي كان اقلها حصة من هذه الولاءات التي لا يمكن ان تتعايش أو تتداخل الا على حساب العامل الاساسي الاول : العامل القومي .

٢ ــ التخلف الاجتماعي والثقافي والاقتصادي :

صحيح ان الاقطار العربية كانت متفاوتة في مستوى تطورها الاجتماعي والاقتصادي والفكري ولكن ارفعها مستوى واكثرها تطورا لم ينج من مظاهر الجهل والمرض والفقر ، وبالتالي لم ينج شعبنا كله من براثن الاستغلال والاذلال والكبت والسذاجة في العيش بفعل العلاقات البرجوازية الاقطاعية .

٣ ــ الاستعمار والاغتصاب والسلب :

ان الوطن العربي لم يكن مجزءا الى دويلات مستقلة ، بل مستعمرة ، ولم يكن مستعمراً لدولة واحدة ، بل لمجموعة عديدة من الدول الاستعمارية . ولم يكن مستعمراً فقط ، بل كانت بعض اقطاره مغتصبة الهوية مسلوبة الجذور او اغتصبت بعد فترة . وكان الغاصبون ايضا متعددين . ولم تكن الدول العربية مستعمرة استعمارا عسكريا لضرورات استراتيجية حربية فقط ، بل كانت منهوبة الخيرات والثروات (امتيازات اتفاقيات البترول مع المشايخ والامراء ملوك القرون الوسطى والمعاهدات غير المتكافئة) .

ثم جاء اغتصاب فلسطين ليضع الدليل القاطع على ان الاستقلال ضمن واقع

التجزئة والتخلف لا يمكن ان يشكل مصدر حماية الشعب العربي في أي قطر من اقطاره .

٤ — تشتت الفكر القومي والشخصية العربية :

ان توزع الاقطار العربية الى ولاءات متعددة على الصعيدين الرسمي والشعبي ، بالاضافة الى عوامل الجهل والمرض والفقر ادى الى تشتت فكري متباعد ومتناقض حتى ضمن القطر الواحد ، بفعل الولاءات الشخصية والثقافية والاجتماعية والدينية المتباعدة المتناقضة . وكل ذلك ادى الى هزال الشخصية العربية بعد ان نمت على حسابها كل تلك المتناقضات التي زرعت وغذت في الوطن العربي ، ككل ، وفي كل قطر على حدة ايديولوجيات وطفيليات نظرية (امية واقليمية - عنصرية - دينية) . وكان كل منها - حسب حاجته وتبريره - يعمق واقع تلك المتناقضات على حساب حاجة الشعب العربي ومصلحته .

٥ — بزوغ الوعي السياسي والقومي وتعاظم دور البرجوازية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان لا بد ان يبرز الى الوجود مثقفون وسياسيون نتيجة لمجيء الارساليات الاجنبية وانشاء المدارس الوطنية الخاصة وذهاب عدد كبير من الطلاب الى الخارج لطلب العلم ، ونتيجة لبدء التململ الشعبي من وطأة الاستعمار والفقر والمرض . ولكن من هم المؤهلون لدخول هذه المدارس والجامعات ، ومن هم القادرون على تحمل اكلاف العلم في الخارج ؟ انهم ابناء الطبقة البرجوازية . ومع نمو التململ الشعبي ونظرا لغياب التنظيمات العمالية والفلاحية التي تنظم هذا التململ وتوجهه لمصلحة هؤلاء الكادحين ، كان لا بد للمثقفين البرجوازيين ، وضمن حدود مصلحتهم الطبقية ، من ان يتبنوا التململ ويركبوا تياره ويوجهوه ليقودوا حركات الاستقلال المحلية . حتى اذا تحققت تطلعاتهم للسيطرة على السلطة والاقتصاد في مجتمع التجزئة والتخلف كشفوا حقيقتهم المدافعة عن هذا الواقع . لأن الذهاب ابعد من ذلك مع الجماهير الكادحة وتيارها الذي ركبوه يعني القضاء على امتيازاتهم وتطلعاتهم . فتبنوا الواقع الذي فرضه الاستعمار : واقع التجزئة والتخلف ، وحالفوا الاستعمار ليحميهم . وحالفهم الاستعمار وحماهم ، حتى لا يمضي التيار أكثر من ذلك بعد ان أمنوا له مصالحه .

نشوء الحزب :

في هذه الظروف الكثيفة التعقيد المتعددة الجوانب نشأ حزب البعث العربي الاشتراكي حاملا – رغم النشأة المدرسية – مضمون الرد على كل التحديات التي سبقت ورافقت نشأته ؛ وذلك بطرحه ، ولأول مرة في التاريخ العربي دليلا للنضال القومي مرتبطا ارتباطا عضويا بالنضال من أجل الاشتراكية ، رافضاً بذلك كل الولاءات السائدة والتي تتناقض مع هذا الدليل . وهذا الرفض وان رافقته بعض النواقص عند نشأة الحزب فانه بدأ ينمو باطراد مع نضال الحزب اليومي وتجربته العملية ، من خلال هذا الطرح اخذ حزب البعث العربي الاشتراكي مضمونه كحزب ثوري .

إن لتركيب الحزب الاجتماعي اثرا فعالاً واساسيا في تكوين تنظيمه الثوري . فالحزب الذي التزم مصلحة اوسع الجماهير العربية وحدد هوية الصراع في المجتمع بين الطبقة الكادحة المسحوقة المستغلة ، والطبقة المستغِلة البرجوازية الاقطاعية ، انما يجب ان يدرك هذه الحقيقة ويجعلها منطلقا لبناء نفسه اداة ثورية تعتمد الكادحين من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين أساسا لهذا البناء ، اذ أن هؤلاء الذين نشأوا في بيئة كادحة هم الضمانة لتحقيق قضية الكادحين .

واذا كانت طبيعة الظروف وواقع التخلف التي نشأ خلاله الحزب قد جعل منه في فترة من الفترات (حزب المثقفين) ، فإن مسؤولية اعضاء الحزب الآن يجب ان تتركز على تحقيق الانسجام بين البنية الطبقية للتنظيم الحزبي وبين اهدافه . ولا نعني بذلك البنية من حيث الكم فحسب ، أي أن تكون غايتنا ان تكون غالبية اعضاء التنظيم من العمال والفلاحين فقط ، بقدر ما نعني البنية الكيفية للتنظيم الحزبي غالبية فعالة من العمال والفلاحين ، ذات مستوى قيادي طليعي ، قادرة على تسلم زمام قضيتها بيدها .

وهذا يوجب مسؤوليات كبرى على عاتق التنظيم الحزبي واعضائه في توعية جماهير العمال والفلاحين والعمل المستمر الدائب بين صفوفهم لانتقاء العناصر الجيدة منهم وضمها الى صفوف الحزب لتعمل بشكل فعال في بلورة النضال الطبقي وتعميقه . (١)

---

(١) ان نسبة العمال والفلاحين والمستخدمين في الحزب في القطر السوري هي ٥٢ ٪، والطلاب ٢٦ ٪ ، الموظفين بما فيهم المعلمون والمدرسون ١٥ ٪ ، والمهن الحرة (٧ ٪).
وتصبح النسبة في جميع تنظيمات الحزب في الوطن العربي كمايلي : عمال وفلاحون ومستخدمون ٤٢ ٪ ، طلاب ٢٦ ٪ ، موظفون بما فيهم المعلمون والمدرسون ٢٠ ٪ ، المهن الحرة (١٢ ٪) .

لقد كانت أزمة ثورية التنظيم في حزبنا جزءاً حقيقياً من أزمته العامة في صراعه مع العقلية اليمينية .. هذه العقلية التي حاولت جهدها حجب هذه الحقيقة ، وذلك لأنها تخشى ان يحول الحزب تنظيمه الى حزب طبقي يتناقض بشكل حقيقي مع تطلعاتها البرجوازية . وازاء ذلك سوف تتحول الى عدوة للحزب ، شاءت او لم تشأ ، وسوف ينتزع الحزب قضيته من بين ايديها التي عبثت بها ، وهذا ما حدث بالضبط .

ان النظرة الغيبية قد أملت عليهم النظر الى اهداف الحزب وشعاراته وكأنها من ابداعهم الشخصي . وليس خافياً منزلق تلك النظرة التي تسيء حتى للاهداف نفسها . فشعارات **الوحدة والحرية والاشتراكية** قد أملاها واقع النضال العربي في احتكاكه مع معطيات العصر الحديث منذ مطلع هذا القرن وحتى الحرب الثانية ، ولم تكن اختراعاً لمفكرين او فلاسفة .

وكذلك فإن ظهور تحولات جديدة وأحداث متعددة طرحت نفسها في الوطن العربي بعد نشوء الحزب بفترة طويلة (تجربة الثورة في مصر) ومشكلة الاقليات في الوطن العربي وبقاؤها بدون تفسير او تحليل وبدون حلول وتقييم ، وما يجرنا ذلك اليه من التردد في اتخاذ المواقف والتراجع عن المواقع (عدم استلام الحكم عام ١٩٥٤) ، والانطلاق من الانفعال الآني في اتخاذ المواقف التاريخية (توقيع عريضة الانفصال ، واستمرار العنف ضد الشيوعيين في العراق) ، والقفز الفجائي من موقف الى نقيضه تجاه القضية الواحدة (الاشتراك في حكم الانفصال ثم الاستقالة . توقيع عريضة الانفصال ثم توزيع بيان في اليوم الثاني ضده) وانطلاقا من التحليل العلمي لواقع المجتمع العربي وطبيعة الثورة العربية ومحتواها القومي الاشتراكي ، ومن ان أداة الثورة العربية المتمثلة بالحزب انما يجب ان تستمد عناصرهـا المناضلة من الجماهير العربية الكادحة تحقيقاً لانسجام هذه الاداة مع اهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية ، فقد قرر المؤتمر القومي التاسع (٢) :

أ - ان البنية الاجتماعية لحزب هي العنصر الاكثر فعالية الذي يجعل الحزب ينسجم مع اهدافه ، ولذلك فان المؤتمر يؤكد بأن الطبقات الكادحة هي المجال الطبيعي والاساسي الذي يستمد الحزب منه مناضليه .

ب - ان التزام المثقفين الثوريين بقضايا الطبقات الكادحة في الوطن العربي فكراً ونضالا هو الذي يؤهلهم للانتساب الى الحزب .

---

(٢) عقد المؤتمر القومي التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي في دمشق في أواخر شهر ايلول ١٩٦٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج ـ ان الفكر اليميني الذي ادانه المؤتمر ، انما يعيش على التناقضات التي يحاول طرحها ضمن الجهاز الحزبي من أجل أن يدافع عن نفسه ويخلق الاسباب التي تحميه ، ولهذا فان المؤتمر يقرر وجوب تصفية هذا الفكر بشتى اشكاله واينما وجد .

ان استراتيجية الحزب في النضال والعمل تستند الى نظرة علمية ثورية تستوعب حركة التطور التاريخي للامة العربية الهادفة نحو اقامة المجتمع العربي الاشتراكي الموحد والمساهمة بدور رئيسي في خدمة قضايا الانسانية .

ومثل هذه النظرة تتجاوز ولا شك مظـاهر الواقع الفاسد وظروف التجزئة المصطنعة التي خلقت نوعا من التمايز في المشكلات التي تواجه أقطار الوطن العربي ، وازاء ذلك تتأكد وحدة الامة العربية من خلال الارادة المشتركة للجماهير العربية الكادحة التي تتجلى في وحدة المنطلقات والاهداف التي تحفز نضال هذه الجماهير في مسيرتها التاريخية . وتتجلى أيضا في وحدة المعركة التي يخوضها الشعب العربي . تلك المعركة التي ، وان تباعدت مواقعها وبدت مجزأة فوق الارض العربية ، الا انها في حقيقتها تمثل تياراً نضاليا يجابه قوى منسجمة في مخططاتها واغراضها .

ويتمثل التناقض الرئيسي والتاريخي الاول ، بالصراع بين الامة العربية من جهة ، وبين الامبريالية والاستعمار والصهيونية من جهة ثانية . ويتمثل التناقض الرئيسي والتاريخي الثاني بالصراع القائم بين الجماهير الكادحة وقوى التقدم من جهة ، وبين الفئات المعـادية لمصالح هذه الجماهير من جهة اخرى ، تلك الفئات التي تجهد للمحافظة على الواقع المتخلف والابقاء على القواعد المادية التي تكفل دوام سيطرتها واستغلالها .

ان حزب البعث العربي الاشتراكي يرى ان وحدة النضال الجماهيري في كل الوطن العربي هي الرد العلمي والثوري في هـذه المعركة ، وهي التجسيد الواقعي لوحدة الأمة العربية ، والطريق الذي لا بـد منه لانتصار الثورة العربية . وهذا النضال الجماهيري الشامل لا بد أن يستند الى التلاحم العضوي الطبقي للقضاء على قوى الاستغلال والتخلف ، والنضال الوحدوي للقضاء على كل مظاهر الاستعمار ومرتكزات التجزئة .

ان وحدة نضال الكادحين العرب هي الاداة الثورية للقضاء على كل التحـديات ومن خلال هذا النضال الجماهيري الشامل لا بد ان تحل كل القضايا الجزئية والمسائل الجانبية ، ومن هنـا كانت العوامل التي تحطم وحدة هذا النضال وتجزىء معركة الامة العربية ، كالاقليمية والعنصرية والطائفية ، انما تلتقي ومخططات الرجعية والاستعمار وتوجيه تهديد خطير لاهداف الشعب العربي . وتعتبر في الوقت نفسه ضربة موجهة الى الكفاح التحرري في كل انحاء العالم . ذلك ان نضال الامة العربية ولا شك دعامة اساسية في نضال شعوب العالم الثالث وشعوب العالم كلها من اجل ازالة كل مظاهر الاستعمار القديم والحديث وانتصار قضايا الحرية والاشتراكية والتقدم .

ان القوى الثورية والحركات التقدمية في الوطن العربي تتحمل المسؤولية التاريخية في قيادة الجماهير الشعبية المنظمة نحو تحقيق اهدافها . وعليها أن تتملك هذه النظرة العلمية لطبيعة المعركة وأبعادها القومية والانسانية ، وان تعمل على توفير كل الشروط الموضوعية لتوحيد جهودها وحشد طاقاتها والتقاء من خلال المعركة المصيرية المشتركة .

النضال على مستوى الوطن العربي :

ان الوطن العربي نتيجة موقعه الجغرافي وما يحويه من موارد اقتصادية ضخمـة ونظراً للدور الاساسي الذي يستطيع ان يلعبه لانتصار الكفاح التحرري الانساني بات يتعرض لتحديات وضغوط استعمارية تفوق ما يلقاه غيره في كل انحاء العالم . فهو مايزال يعيش تحت ظروف قاسية من التجزئة والاستغلال والتخلف .

واذا كان الاستعمار القديم قد أجلي عن معظم الوطن العربي ، فان الاستعمار الجديد يتشبث الآن بكل قواه للمحافظة على سيطرته الاقتصادية والسياسية والثقافية في هـذه المنطقة من العالم .

لقد تغيرت مظاهر المعركة ووسائلها بين الامس واليوم ، وان كانت في حقيقتهـا استمراراً في النضال ضد عدو واحد تبدلت واجهاته وتغيرت اساليبه ، فاذا كانت المعركة في الماضي سافرة واضحة بين الشعب بكافة فئاته وبين الاستعمار وجيوشه فانها اليوم اشد ضراوة واكثر حسماً . انها اليوم معركة مصيرية بين القوى الثورية والحركات التقدمية والجماهير الشعبية الكادحة من جهة ، وبين الاستعمار والطبقات المستغلة وانظمة الحكم العميلة من جهة اخرى .

وهذه القوى المعادية لأهداف الجماهير العربية تستخدم اساليب ومظاهر مختلفة ليست في واقعها الا وسائل متعددة في خطة ملسجمة ترمي للمحافظة على واقع التجزئة والتخلف في الوطن العربي، وتقف في طريق تحقيق المجتمع الاشتراكي الديمقراطي الموحد.

فالاستعمار والامبريالية الدولية يبذلان كل امكانياتها لدعم اسرائيل القاعدة الاساسية لوجودهما في الوطن العربي . والدول الاستعمارية وفي مقدمتها امريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية تواصل مدها لهذه القاعدة بكل الامكانيات العسكرية والاقتصادية لتظل اسرائيل قادرة على تأدية الاغراض التي وجدت من اجلها، وهي المحافظة على الاحتكارات البترولية والمصالح الاقتصادية الاستعمارية في الوطن العربي ومنع وحدته وجعله في حالة استعداد وتأهب دائمين واستنزاف اقتصاده وموارده للدفاع عن وجوده تجاه العدو الصهيوني وتعطيل مشروعات التنمية وتكريس واقع التخلف والتجزئة والضياع .

هذه هي اخطر التحديات التي تواجهها الامة العربية اليوم، وهذه هي ابرز مظاهر النشاط الرجعي والاستعماري في الوطن العربي . فأين هي مواقع الجماهير العربية ، وما هو موقف الحركات التقدمية في هذه المعركة ؟

ان المعطيات الايجابية في معركة الامة العربية هي ولا شك اكثر فعالية واعمق فعالية واعمق تأثيراً في تقرير المصير وصنع المستقبل . انها تستند الى الثقة الراسخة بالجماهير العربية الكادحة وقدرتها على تحطيم القوى المعادية . وهذه الجماهير هي اليوم في حالة تحفز دائم واستعداد للنضال والتضحية ، غير إنها مازالت مسلوبة الارادة مبعثرة الجهود في الوطن العربي . ان الاسباب والظروف الموضوعية التي تحول حتى الآن دون تنظيم هذه الجماهير وتوحيد طاقاتها وتأكيد وجودها كقوى فاعلة في انتصار الثورة العربية ، هي الضغوط الرجعية والاستعمارية التي تواجهها الجماهير والمنظمات الشعبية في الوطن العربي .

وقبل ذلك لا بد أن تقرر أن اهم هذه الاسباب ، هو ان الحركات السياسية التي تتصدى لقيادة الجماهير العربية لم تعمد الى طرح المعركة بكل أبعادها الاشتراكية والقومية وانما طرحت معارك جزئية ذات ملامح تقدمية وفي حدود قطرية او اقليمية احياناً . كما ان القوى التقدمية، على الرغم من ان هناك بوادر للتعاون وانسجام المواقف واستعداد ورغبة أكيدة في اللقاء، الا أنها لم تستطع حتى الآن أن توحد مواقفها بصورة نهائية وتتخلى عن خلافاتها الجانبية وتدرك ان لقاءها ضرورة حتمية تقتضيها ظروف المعركة ، وخطوة مصيرية لانتصار قضية الثورة العربية .

وكان بنتيجة ذلك كله أن بقيت المعركة مجزأة ، ودفعت في كثير من الاحيان الى مواقع جانبية والى صدام بين القوى التقدمية نفسها ، بدل ان تتوحد هذه المعركة وتحشد في سبيلها كل الطاقات والجهود وتتجه في تيار النضال الوحدوي الاشتراكي الشامل.

إن حزب البعث العربي الاشتراكي التزاماً منه بمسؤوليته التاريخية ليدرك أن عليه أن يطرح في هذه المرحلة الاستراتيجية العلمية والثورية للنضال العربي ، وأن يسهم في قيادة المعركة ، وفي توفير الأدوات الموضوعية لها عن طريق توعية الجماهير وتنظيمها وحشد طاقاتها في هذه المعركة المصيرية .

وانطلاقاً من ذلك فإن مستوى التطور الذي بلغه الحزب في التطبيق العملي ، في هذا المجال يشير الى الوقائع التالية :

١ — في سورية سبع منظمات شعبية يزيد عدد الأعضاء المنتظمين فيها عن نصف مليون نقابي وهذه المنظمات هي : الاتحاد العام للعمال — الاتحاد العام للفلاحين — الاتحاد الوطني للطلبة — اتحاد شبيبة الثورة — نقابة المعلمين — الاتحاد النسائي العام — اتحاد الحرفيين . وهذه المنظمات تقوم بدور فعال وأساسي في التخطيط والتنفيذ والمراقبة لعمليات الانتاج والممارسة في مجالات عملها .

٢ — أصبح الجيش الشعبي في سورية مؤسسة حقيقية قامت بتدريب نصف مليون مواطن على حمل السلاح وقتال الشوارع وحالات الدفاع المختلفة وتضم بشكل ثابت حتى الآن أكثر من ١٥٠ ألف متطوع يحملون السلاح ضمن خطط قتالية مرسومة جرت عليها تدريبات متعددة .

٣ — يمارس الجهاز الحزبي في سورية ولبنان والاردن وفلسطين بالاضافة الى العمل الحزبي في صفوف الجماهير ، العمل الفدائي بممارسة واسعة . وأصبحت هذه الممارسة شرطاً رئيسياً لاكتساب الصفة الحزبية أو للاحتفاظ بها .

٤ — ان منظمات الحزب في العراق وتونس واليمن الشمالي واليمن الجنوبي وبقية شبه الجزيرة العربية منظمات يفتخر بصمودها ونضالها في جميع المجالات ، وهي تعمل بلا كلل لتحقيق الجبهة التقدمية مع بقية القوى العربية التقدمية الموجودة في تلك الأقطار .

ان الأدوات الموضوعية للنضال هي الجماهير العربية الكادحة المنظمة والحركات والقوى التقدمية . وان حزبنا ليرى أن الطرح الموضوعي والعلمي لطبيعة النضال في

هذه المرحلة يتمثل في قيام حرب تحرير شعبية شاملة تساهم في الاعداد لها والمشاركة فيها كل الجماهير العربية . وهذه المعركة لا بد أن تتجه بصورة أساسية نحو ازالة القاعدة الرئيسية للاستعمار والامبريالية في الوطن العربي ، أي لا بد أن يكون محورها وهدفها الأساسي هو تحرير فلسطين . وفي نفس الوقت لا بد وأن يكون لها أبعاد ومواقع في كل الأقطار العربية حسب ضرورات المعركة ومتطلباتها على أن يكون هناك مخطط واحد وانسجام كامل في النضال ، بحيث يؤدي ذلك الى تحقيق الهدف الأساسي وهو الاسراع بتحرير فلسطين والوطن العربي بأسره .

لقد أثبتت تجارب الشعوب المناضلة أن السبيل الوحيد للقضاء على قوى الرجعية والاستعمار والامبريالية هو حرب التحرير الشعبية . ولا بد لنا من البدء بطرح المعركة . وبالطبع فان هذا الصراع يتطلب تحديداً لطبيعة هذه المعركة وأسلوبها وأداتها . ولا بد من دراسة عملية ودقيقة للظروف المتشابكة المعقدة التي تعترض قيامها ، ولتتخذ شكلاً معيناً ينسجم مع الواقع العربي ومقوماته ومعطياته ، على ان يحلل ذلك بنظرة ثورية تكشف الامكانيات الحقيقية وتتصور مستقبل هذه المعركة وتطورها ونموها .

ان معركة من هذا النوع يجب أن يخطط لها لتكون نقطة الانطلاق لا لتحرير فلسطين فقط ، بل لتحرير وتوحيد الوطن العربي بأسره ، وان الاستعداد لهذه المعركة والتعبئة لها يجب أن يسير جنباً الى جنب مع العمل لوحدة القوى التقدمية ومع تعبئة الشعور الوحدوي والاشتراكي لدى الجماهير العربية .

ان العمل الذي يجب أن تقوده قواعد البعث العربي الاشتراكي بصورة رئيسية في النطاق القومي هو الاستمرار في توعية الجماهير العربية وتنظيمها وحشد طاقاتها في معركة التحرير الشعبية هذه . ولا بد أن تعمل منظمات الحزب القومية ايضاً لتوفير كل الشروط الموضوعية التي تستطيع خوض حرب التحرير الشعبية وتحقيق الانتصار . وهذه القوى نفسها ، بتوحيد منطلقاتها النظرية وبتوحيد أساليبها النضالية، تستطيع أن تحقق الوحدة العربية على أسس اشتراكية ديمقراطية راسخة .

ان الجهود المبذولة لتحقيق لقاء القوى التقدمية وتوحيد نضالها يجب أن تكون مرتبطة بالاستعداد والمساهمة الجدية لمعركة تحرير فلسطين وغيرها من المعارك القومية والتحررية في كل أرجاء الوطن العربي ، ذلك أن جو المعركة وحده كفيل بالقضاء على الجوانب السلبية في واقع الحركات والقوى التقدمية وجعل هـذا اللقاء أكثر تمسكاً

وصدقاً ، بحيث يؤدي ذلك في المستقبل الى وحدة عضوية في نضالها ، ووحدة في النظرية التي تقود وتوجه هذا النضال .

ان الحزب التزاماً منه لدوره الطليعي عمل ويعمل في كافة المجالات والمستويات على الانسجام مع هذه الاستراتيجية الثورية التي يطرحها وتوفير كل الشروط الموضوعية لوضعها موضع التطبيق العملي . وهذا يقتضي من حزبنا تقييماً علمياً واضحاً لقوى المجتمع العربي ولهوية الحركات السياسية في الأقطار العربية ليحدد مواقفه وعلاقاته بتلك الحركات .

ففي القطر السوري ، بعد الثالث والعشرين من شباط،التزمت ثورة الحزب بهذه المنطلقات كلها . إذ استطاع الحزب فرز العناصر اليمينية من صفوفه ، تلك العناصر التي كانت تضعه في مواقع التردد والتناقض وتبعده عن الالتحام المصيري مع الجماهير الكادحة وقواها التقدمية ، وفي قلب المعركة .

وبعد ذلك جرى تصنيف علمي لقوى المجتمع ولطبيعة الصراع الدائر بينها وتجسدت لدى الحزب القناعة التامة بأن المعركة الحقيقية هي بين القوى الثورية والتقدمية والوحدوية من جهة ، وبين قوى الاستعمار والاستغلال والرجعية من جهة أخرى ، وأنه لا بد من اذكاء روح النضال الاشتراكي الوحدوي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وايماناً من الحزب بأن طبيعة المعركة لا تبرر بقاء أي عنصر تقدمي أو وحدوي بعيداً عن المساهمة الجدية في بناء الثورة ، فقد سار خطوات واسعة في استيعاب العناصر التقدمية وزجها في المعركة وتحمل المسؤولية ، وذلك من خلال نظام الديمقراطية الشعبية الذي يتمثل بقيام المنظمات الشعبية الجماهيرية التي تعمل مع حزبها القائد .

لقد وفرت سياسة الحزب الواضحة هذه كل الشروط للقاء مع القوى التقدمية في الوطن العربي والتعاون مع القوى الاشتراكية والتقدمية في كل انحاء العالم . ومنذ الثالث والعشرين من شباط وضعت سياسة الثورة في القطر السوري في خدمة استراتيجية حرب التحرير الشعبية . فبعد طرح هذا الشعار عملت الثورة على توجيه الجماهير العربية وشدها اليه ، كما انطلقت في مواقف هجومية متعددة لضرب معالم الواقع الراهن وتحطيم الأساليب التقليدية ، فقد أعلنت الانسحاب من مؤتمرات القمة وتعريتها على حقيقتها ، وطرحت الصيغة العملية الجديدة التي تعبر بشكل موضوعي عن المرحلة التاريخية للنضال في الوطن العربي وهي لقاء القوى التقدمية من خلال المعركة المشتركة والتي تتجلى

الآن بصورة رئيسية بقيام حرب التحرير الشعبية . وأكد الحزب على المضي قدماً في وضع الخطة التفصيلية لحرب التحرير الشعبية والمباشرة بتحقيقها عملياً .

ان الحزب يرى من واجبه توفير كل الظروف الملائمة وتذليل كافة الصعاب والتخلص من العقد والشكوك ، وان يقف في الوقت نفسه وضمن هذه الاستراتيجية المبدئية الثورية ، متجنباً أية مهادنة أو مساومة في القضايا الأساسية للشعب العربي ، وسيبذل الحزب وباستمرار كل الجهود لتجنب الانتكاس في لقاء القوى التقدمية والقضاء على عوامل الشك والتردد والاصرار الأكيد على أن يتحقق هذا اللقاء من خلال خوض المعركة المشتركة .

ان لقاء القوى التقدمية العربية والذي ينبغي أن يتم على كافة المستويات ، سيتيح جواً من الحوار المتبادل والتفاعل الديمقراطي وخاصة بين المنظمات الشعبية بحيث يؤدي ذلك الى خلق قاعدة صلبة للنضال المشترك بين هذه القوى التقدمية وبين الجماهير العربية في أقطار الوطن العربي .

ان على القوى الثورية والحركات التقدمية في الوطن العربي تقع المسؤوليات التاريخية ، قيادة الجماهير الشعبية نحو تحقيق أهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية ، وعليها ان تمتلك النظرة العلمية لطبيعة المعركة وأبعادها القومية والانسانية وان تعمل على توفير كل الظروف الموضوعية لتوحيد جهودها وحشد طاقاتها في مجرى النضال الاشتراكي الوحدوي الشامل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن مثل هذا اللقاء اذا تحقق يستطيع ان يسام في وضع الحلول الحاسمة والجذرية لبعض المشاكل العربية القائمة بفتح المعركة مع الاستعمار والرجعية على مصراعيها .

هذا مع العلم أن مثل هذا اللقاء سوف يكون له أثر حاسم ومباشر في مختلف القضايا القومية المطروحة .

وفوق كل ذلك فان لقاء القوى التقدمية يوفر جواً من الثقة التامة والتفاعل المتبادل لدول المعسكر التقدمي ويخلق بالنتيجة الشروط الموضوعية لاقامة الوحدة العربية على أسس شعبية اشتراكية عن طريق تحرير الجماهير العربية في تلك الاقطار السائرة في طريق التحويل الاشتراكي ، كما أن هذا اللقاء يوفر الكثير من الجهد الضائع في المعارك الجانبية القائمة بين تلك القوى .

خاتمــــة

ان واقع الثورة العربية هو حصيلة واقع هذه الثورة الواحدة ذات الادوات المتعددة ، وواقع تعدد القوى الثورية والتقدمية ذات الهدف الواحد ، منظوراً اليها من خلال العلاقة الجدلية والتعامل العيني والمواقف المتبادلة عملياً .

وهذه الحصيلة لاتعني بالطبع حاصل جمع هذه القوى ، كلا في مجال عملها الجغرافي والفكري والنضالي والتنظيمي ، انما تعني أحياناً حصيلة اقل من حاصل الجمع ، وتعني أحياناً أخرى حصيلة أكبر نوعاً وكماً .

وهذه الحصيلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باتجاه تحرك الجماهير الموالية أو المتأثرة أو المتعاطفة مع كل من هذه القوى ، بالنسبة لبقية القوى ، وعلاقاتها ببعضها ونظرتهـــا لبعضها البعض ووعيها لأهمية اللقاء باتجاه الوحدة الفكرية والتنظيمية والنضالية .

قد تكون هذه الحصيلة ، رغم الثغرات والأخطاء والانحرافات الموجودة فعلاً. ولو بدرجات متفاوتة ، حصيلة ايجابية حققت الثورة العربية مواقع متقدمة في العديدة من الأقطار العربية ، وتسعى لتحقيق ذلك في بقية الاقطار .

ولكن هذه الحصيلة ، بدون شك ، غير مقبولة ، اذا نظر اليها من خلال مستوى التحديات والمهات التي تواجه حركة الثورة العربية .

ان أي جهد ينصب على تعديل هذه الحصيلة باتجاه ايجابي ، وفي هذا المجال لايجوز توفير أي جهد ، ويجب أن يأخذ بعين الاعتبار المراحل والخطوات والمهات التالية :

١ – انهاء المعارك الجانبية بين جميع قوى الثورة العربية ، ولاشك أن شوطاً بعيداً قطع في هذا المجال ، ولكن لاتزال هناك بعض الآثار التي تبرز بين حين وآخر .

٢ – عملية التفاعل بين هذه القوى في جميع المجالات وعلى كافة المستويات ، وقد قطعت شوطاً محدوداً وما يزال أمامها الكثير للوصول الى تفاعل حقيقي هادف .

٣ – مرحلة تحقيق الوعاء التنظيمي الموحد للثورة العربية الذي سيأخذ في مراحله الأولى شكل جبهة قومية – اشتراكية شاملة ذات برنامج عمل محدد ومتفق عليه للوصول

من خلال النضال المشترك الى وحدة تنظيمية تنصهر فيها جميع الاحزاب والحركات الثورية والتقدمية العربية ذات الفعالية في مسيرة الثورة العربية الوحدوية- الاشتراكية .

إن هذه الخطوات أو المهمات أو المراحل لاتعني تأجيل قيام الجبهة حتى تتم الازالة الكاملة لكل الآثار السلبية التي قد تكون موجودة بين جميع القوى المعنية أو بين قوة وأخرى ، ولا تعني أيضاً تأجيل قيام الجبهة حتى يتم نهائياً التفاعل الكلي بين هـذه القوى في جميع المجالات وعلى مختلف المستويات . ان ذلك التأجيل مرفوض رفضاً تاماً ، انطلاقاً من منطق الثورة القومية الاشتراكية بشكل عام ، والثورة العربيةالوحدوية – الاشتراكية بشكل خاص وذلك :

١ – لأن ظروف الثورة لاتقبل هذا التأجيل .

٢ – لأن الثورة العربية الوحدوية – الاشتراكية مطالبة بتحقيق ليس فقط عملية (الانتقال) الى الاشتراكية ، بل هي مطالبة أيضاً بتحقيق عملية التحرر الوطني والوحدة القومية والاصلاح الزراعي وتصنيع البلاد وحتى تحديث الزراعـة ، وهي مهمات تتحقق عادة على يد ما يسمية التصنيف الكلاسيكي لمراحل الثورة « بمرحلة الثورة الوطنية » أو « الثورة البورجوازية الديمقراطية » ...

وقياساً على ذلك فان عمليات النقد الذاتي بين قوى الثورة العربية يمكن ان تتم وبشكل منفتح وبعيداً عن الحساسية والافتراء ، داخل الجبهة ذاتها وضمن برنامج عملها ووفق هذا البرنامج .

وكذلك عمليات التفاعل الحقيقي يمكن ان تتم ضمن النضال المشترك ووفق برنامج محدد يتفق عليه في الجبهة ذاتها .

ويمكن ان يكون المؤتمر الشعبي العربي الذي يضم جميـع الاحزاب والحركات والمنظمات الشعبية العربية التقدمية ، صيغة معقولة لاخراج هذه الجبهة الى حيز الوجود لقيادة النضال الجماهيري العربي المنظم .

الوعاء التنظيمي للثورة العربية

بحث : عبد المنعم الغزالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنظمات الديمقراطية ـ نقصد بها المؤسسات التي تنظم الجماهير على أساس طبقي او فئوي بحث للدفاع عن مصالحها باعتبارها منظمات مطلبية المنشأ ، إما لتحسين شروط عمل وخدمة وظروف معيشة العاملين بها ، او لرفع مستواهم الاجتماعي والثقافي والصحي الخ . ولكن هــذه المؤسسات تناضل كمؤسسات جماهيرية في المجتمع ، ومن ثم فإن حركة نضالها لايمكن ان تبتعد بأي حال من الأحوال عن حركة المجتمع الكلية ، عن مجموع نضالات المجتمع ، سواء عن حركة المجتمع وهو يناضل من أجل الاستقلال والتحرر الوطني ، أو وهو يناضل من أجل التغيير الاجتماعي ، أي من أجل بناء الاشتراكية . ولقد كان مخطط الاستعمار دائماً وفي كل البلدان العربية هو العمل على حصر نشاط هذه المؤسسات في مجال النضالات المطلبية ، وذلك ليبتعد بها عن حلبة النضال العام باعتبارها أقدر الأشكال

التنظيمية على تعبئة الجماهير العريضة بمختلف مستوياتها وفئاتها وقطاعاتها المتقدمة والمتخلفة ، وذلك حتى تعزل قوى اجتماعية هائلة عن حلبة النضال الثوري . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتربى هذه الطبقات بعقلية فئوية وحرفية ضيقة وتفقد النظرة الاجتماعية لمشاكلها الخاصة باعتبارها ليست الا جزءاً من مشاكل المجتمع ككل – من مشكلة المجتمع كله . والأهم من ذلك هو إبعـــاد طبقات معينة ، هي الفئات العاملة عن مجال الصراع لأنها بحكم وضعها الطبقي اي علاقتها بتملك وسائل الانتاج سواء كانت ارضاً أو آلة هي أكثر الطبقات ثباتاً في النضال ضده واصراراً على التخلص منه نهائياً ، حيث أنها فاقدة للملكية الفردية لوسائل الانتاج ، وهي تقع فريسة لكل القوى المستغلة للعمل البشري . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى سعت كل الطبقات المالكة ، بما فيها الطبقات المالكة التي تدفعها مصالحها الاقتصادية المؤقتة للنضال ضـــد الاستعمار من أجل الاستقلال السياسي والاقتصادي عنه ، كي تسيطر على هذه المنظمات وحصر نضالها في إطار النضالات المطلبية ، لأن اشتراك مثل هذه المؤسسات وخاصة ماتمثل منها طبقات العمل يعني حتمية التأثير في حركة النضال لتعميق ابعادها واهدافها الاستراتيجية والوصول بها الى عمق التغيير الاجتماعي ، عمق الثورة الاجتماعية ، الى الثورة الاشتراكية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه المؤسسات نجدهـــا بكل هياكلها التنظيمية الطبقية والفئوية والاجتماعية في مجتمعاتنا العربية ونقابات العمال ومنظمات الفلاحين واتحادات الشباب والطلاب والنساء ونقابات المهنيين المختلفة ... وهي صاحبة دور هام في النضال السياسي والديمقراطي والوطني العام . ويختلف هذا الدور من قطر الى قطر وفقاً لعلاقاتها الطبقية والاجتماعية . وقد شاركت في الحركة الوطنية الديمقراطية بأدوار طليعية في بلادها .. وانطلاقاً من هذه المشاركة تحدد موقعها اليوم في الثورة

العربية موقعاً هاماً سواء على صعيد النضال القطري أم القومي. وعلى هذا الأساس نستعرض نقطتين هامتين في هذا المجال.

علاقة المنظمات الديمقراطية بالاحزاب والتنظيمات السياسية:

الأحزاب السياسية تعبير سياسي عن مصالح اجتماعية معينة. سواء كانت هذه المصالح تقدمية أو رجعية. ان كل حزب سياسي في النهاية يعبر عن مصالح طبقة اجتماعية محددة وفقاً لموقع هذه الطبقة الاقتصادي في المجتمع.

ولقد كانت الأحزاب السياسية في عالمنا العربي معبرة عن موقف طبقة أو مجموعة من الطبقات من حركة التحرر الوطني ومن سيطرة الاستعمار. وعبّر كل حزب عن وجهة نظر طبقته وتطلعاتها. وخلال حركة النضال عرفت الثورة العربية أنواعاً ثلاثة من الأحزاب: أ - احزاب مرتبطة بالاستعمار ب - أحزاب متعارضة مع الاستعمار ولكنها بحكم وضعها الاقتصادي، كممثلة لطبقات مالكة، تقف بالنضال الوطني عند حد حيث تنحصر في حدود تحقيق الاستقلال السياسي. ح - أحزاب مرتبطة اكثر بالجماهير الشعبية الكادحة أو ممثلة لهـــا ومعبرة عن تطلعاتها في حياة حرة، وهي الأحزاب التي تهـدف الى إحداث ثورة اجتماعية وترفع ألوية الاشتراكية، وفي مقدمتها الاحزاب التي تمثل العمال والفلاحين.

ومواقع هذه الأحزاب تتغير مع كل تغير في حركة النضال ضد الاستعمار ومع كل موقع تكسبه عملية النضال من أجل التحرر الوطني، ومع كل تحول في هذه الحركة من مجرد حركة للتحرر والاستقلال السياسي الى حركة تبنى هـــذا الاستقلال وتحميه وتطوره وتجعله استقلالا حقيقياً. وتطور الثورة العربية اليوم، سواء على النطاق القطري او القومي، في اتجاه التطور الوطني الديمقراطي والمعادي لطريق التطور الرأسمالي قد عزل عن حركة الثورة الاحزاب والقوى السياسية

التي ترفض التقدم بالثورة الى أبعد من الاستقلال السياسي ، بينا تقدمت الى القيادة تلك الاحزاب والقوى السياسية الهادفة الى التغيير الاجتماعي ، كما برزت قوى سياسية جديدة ترفع رايات الاشتراكية . وفي نفس الوقت اتسعت القاعدة الجماهيرية لمجموع الحركة الثورية ، واخذت الثورة تجذب شيئاً فشيئاً قطاعات اجتماعية عريضة الى حومة الصراع . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فإن اتجاه التطور التقدمي هذا في الثورة العربية قد دفع القوى المعادية للثورة الاجتماعية الى التآمر ضد الثورة العربية مع الدوائر الامبريالية ، وبذلك أصبح لدينا جبهتان متعارضتان في حركة الثورة العربية : جبهة الثورة الاجتماعية ، وجبهة القوى المضادة للثورة.

والمحور الذي تعتمد عليه جبهة الثورة سواء لانجاز مهام الثورة واقام بنائها او لمواجهة القوى المضادة للثورة ولتأمين الثورة من الدوائر الاجتماعية التي تم عزلها عن الميدان السياسي هو : المنظمات الجماهيرية الديمقراطية : نقابات العمال ، واتحادات الشباب والطلبة والمزارعين والنساء .. الخ . فأي حزب سياسي للطبقة العاملة هو تنظيم طليعي قائد انما ينظم فقط طلائع القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في الثورة الاجتماعية والمسلحة بنظرية ثورية . وهذا الحزب او التنظيم السياسي لا يمكن ان يمارس دوره القيادي الا بالاعتماد على جماهير العمال والفلاحين والنساء والشباب : ويعتمد عليهم منظمين في تنظيماتهم الخاصة بهم والقادرة على تعبئتهم في العمل والنضال .

وهذه التنظيمات بحكم تكوينها الديمقراطي الجماهيري وبحكم نشأتها التاريخية هي تنظيمات لها استقلاليتها وذاتيتها ، وهي تنظيمات لا تفرض على الجماهير من أعلى ـ هي لا تفتعل ولا تصنع ولا تفرض . إن أي افتعال لها انما

يؤدي الى عزلة هذه المؤسسات عن الجماهير ، ومن ثم تفقد حيويتها وقدرتها على استنهاض الجماهير وطاقاتها وقدراتها وحماستها للدفاع عن السلطة الثورية والمشاركة النشطة والفعالة والواعية في بناء النظام الثوري نفسه .

واستقلالية هذه المؤسسات لاتعني انها تعمل منفصلة عن الحزب القائد والتنظيم الطليعي ، وانما هي تعمل في خط مواز وبقيادة هذا الحزب او التنظيم . والقيادة الثورية تنفي **الفوض والافتعال** . وعلى القيادة ان تكتسب مواقعها القيادية في هذه المؤسسات بالعمل والقدوة والتضحية والقدرة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فإن الاستقلالية لاتعني حياد هذه المؤسسات داخل الثورة ، انما يجب ان تكون منحازة للثورة ، الامر الذي يتحقق بدور القيادة فيها وتفاعل الثورة معها بانحيازها للجماهير الكادحة وتطلعاتها وآمالها في حياة افضل .

والثورة العربية تعاني سلبية خطيرة في هذا المجال حيث تحولت هذه المؤسسات في اغلب المواقع القطرية وعلى النطاق القومي الى اجهزة علوية يفرضها هذا الحزب او ذاك او يفتعلها بديمقراطية شكلية ، مما أضعف فعاليتها في العمل الثوري وجعلها عاجزة في معظم الأحوال عن تعبئة الجماهير وحشدها في معارك البناء ومعارك النضال التحريري ، وحيث استحال كثير من هذه المؤسسات الى لافتات تلمع في المناسبات ، وهي مكثرة من اتخاذ القرارات ، مقلة من الاعمال.

ان ملاحظة هامة يجب تسجيلها في هذا المجال وهو ان البرجوازية العربية في العديد من البلدان العربية قد اتخذت لها مواقع في هذه المنظمات والمؤسسات الديمقراطية مستفيدة في ذلك من ضعف الأساليب الديمقراطية داخل هذه المنظمات ومن سيطرة السلطة عليها . وان الاحزاب السياسية ـ حيث ضعف دور الجماهير فيها ـ لم تعد هي صاحبة السلطة فيها ولا الخالقة والمسيرة لهـا . ان سيطرة

البورجوازية وفكرها على هذه المؤسسات أضعف من دورها في المشاركة الحقيقية في عملية البناء وعزل الجماهير العريضة المنظمة او القابلة للتنظيم الديمقراطي عن العملية الثورية . ان الحديث عن الدور الطليعي لحزب او تنظيم اشتراكي دون المشاركة المنظمة للجماهير بواسطة تنظيماتها الديمقراطية الطبيعية في العملية الثورية انما هو حديث يُفقِدُ العملية الثورية محور حياتها واستمرارها .

واجبات ومهام نواحي المنظمات الديمقراطية :

ان ذلك يرتب على الاشتراكية العلمية في الثورة العربية النضـــال من اجل :

أ ـ نشر الديمقراطية الحقيقية بين هذه التنظيمات، وذلك بهدف تحقيق ارتباط اوسع واعرض جماهير بها واشراك غالبية اعضائها في نشاطها .

ب ـ أن تكون هذه التنظيمات مستقلة استقلالا كاملا في نضالها ونشاطها واهدافها ، وان تحترم احزاب الطبقة العاملة الطليعية هذا الاستقلال ، وان تسعى لتحقيق دورها القيادي فيها بالعمل الدؤوب والصبور على رفع المستوى والوعي السياسي والفكري للجماهير العاملة والكادحة ، وليس بفرض القيادات عليها ولابتسخيرها في معارك بناءً على اصدار قرارات علوية دون حشد وتعبئة واقتناع الجماهير .

ج ـ انه بدخول الثورة العربية الى مرحلة الثورة الاجتماعية فإن دور هذه التنظيمات واهدافها لم تعد قاصرة على الحركة المطلبيـة ـ الدفاع عن الحقوق الاقتصادية المباشرة لجماهيرها ـ بل اصبحت مطالبة بان يكون لها دورها في تحديد طريق التطور الذي تسلكه الثورة : هل هو طريق التطور الرأسمالي ام الطريق الاشتراكي . يترتب على ذلك ان هذه التنظيمات والمؤسسات اصبحت مطالبـــة

بتأدية دورها الطبيعي فيما يتعلق بتحديد نوع السلطة السياسية والمشاركة فيها ، وان تشارك في النضال والعمل السياسي لبناء السلطة الثورية الجديدة في مواجهة القوى المضادة للثورة والمؤامرات الاستعمارية .

وهي في ذلك ليست تابعة للطلائع الثورية التي وصلت الى السلطة ، ولكنها بدورها وباعتمادها على الجماهير هي بانية لهذه الطلائع ومشاركة اياها في السلطة . وفي هذا الخصوص فان هذه المنظمات مواجهة بواجب هام وهو ان تقيم مدارس للديمقراطية والاشتراكية تربي كادراً من بين الجماهير العاملة والكادحة ليصبح قادراً على الحكم وممارسة السلطة وقيادة المجتمع ، وقادراً على حل التناقض بين الطلائع المتقدمة والجماهير المتخلفة ، لتتمكن الاخيرة فعلا من ان تشارك بوعي في بناء الثورة وسلطتها وهيكلها الاقتصادي باعتبارها صاحبة المصلحة الاولى والاساسية فيها .

د ـ وان الواجب السابق لا يمنع هذه المنظمات من الاستمرار في دورها السابق ـ كمدافعة عن حقوق الجماهير العاملة ومطالبها اليومية ومواجهة اي قهر لها ولتنظيماتها ، بل ان هذا الواجب يزيد من اعباء ومسؤوليات هذه المنظمات في الدفاع عن حقوق العاملين ومكتسباتهم ، لانها نشأت من اجل ذلك وما زالت قائمة من اجله ، بل ان مشاركتها في السلطة ودورها في بناء العملية الثورية انما هو بهدف اقامة مجتمع تتمتع فيه جماهير العاملين بحياة لا استغلال فيها ولا قهر ولا تحكم ولا تخلف . انها بدفاعها عن حقوق جماهير اعضائها والمحافظة على مكتسباتهم الحياتية انما تقيم الاساس الصلب المتين للسلطة الثورية ، لانه لا سلطة ثورية دون مصالح الجماهير العاملة وحقوقها .

ان هذه المؤسسات لو لم تفعل ذلك لانعزلت عن جماهيرها ـ وهو ما

يحدث الآن كثيرا - واعتبرتها هذه الجماهير مجرد ناقلة لقرارات ونداءات الحزب او التنظيم السياسي او مجرد ظل للسلطة الحاكمة .

هـ - ان هذه التنظيمات وهي تقوم بهذا الدور في الثورة الاجتماعية ، هي مواجهة بحقيقة هامة : انه لا ثورة اجتماعية دون بناء اقتصادي متقدم ، دون زيادة في انتاج المجتمع كما و كيفا ، دون مزيد من الخدمات وحل لمشاكل الجماهير . ومن ثم اصبحت محملة باعباء ومهام جديدة حيال قضايا البناء الاقتصادي ، وحيال قضايا بناء النظام الاجتماعي التقدمي ، ومن ثم حيـــال بناء سلطتها السياسية . وتحقيق هذه المهمة سيظل يتطلب من هـذه المؤسسات نشرا واسعا للديمقراطية داخلها وفي اساليب عملها ، وذلك حتى يمكن تعبئة جماهير مقتنعة وواعية بدورها وبمدى التضحيات التي ستقدمها لبناء المجتمعات التقدمية الجديدة .

و - ان معركة التحرر والبناء في الثورة العربية ، وقـــد تصاعدت في الستينات ، وفي الظروف الحالية التي تعيشها الثورة العربية ، ظروف الهجوم الشرس من قبل الامبريالية العالمية ، والامريكية خاصة ، والاحتلال الصهيوني ومحاولات ومؤامرات القوى المضادة للثورة ، قوى الطبقات المالكة المضروبة ، والتي ما زالت تحكم بعض اجزاء الوطن العربي (الرجعية العربية) .. ان ذلك كله يؤكد انه على التنظيمات الجماهيرية ان تؤدي واجبا هاما وطليعيا في مجال تحقيق وحدة القوى الثورية ؛ هذه الوحدة الـــتي يجب ان نسعى لتحقيقها في مجالات ومستويات مختلفة ومتعددة . وان هـذه التنظيمات بحكم انها تمثل القاعدة الشعبية العريضة لقوى الثورة الاجتماعية الحقيقية ففي استطاعتها ان تعبىء وتحشد الجماهير العريضة من أجل ان يصبح شعار وحدة القوى الثورية ليس مجرد شعار لتوحيد فرق الطلائع او المجموعات القائدة والحاكمة ، ولكنه شعار حقيقي يعني تعبئة

القوى الاجتماعية في معركة التحرير والبناء . فوحدة القوى الثورية تسعى اليها الثورة العربية لتحقيق أهداف ثورية وانجاز برامج تقدمية غايتها النهائية مصلحة الجماهير الكادحة والمستغلة . ان شعار وحدة القوى الثورية سيظل شعاراً علوياً يتعثر ويعاني من ضيق الأفق الحزبي والمزايدات الثورية وخاضعا للظروف السياسية والعقلية الديلوماسية ، ان لم يصبح شعارا في قبضة الجماهير العريضة تمسك به وتفرضه وتحققه .

وكي يكون حوارنا حول هذه القضية جاداً ومثمراً فاننا يجب وأن نواجه الحقيقة والواقع بروح المسؤولية ،وبتقدير المناضلين . ان هذه المنظمات الديمقراطية اليوم تعاني من فقدان الديمقراطية ، ومن التبعية والخضوع للسلطة وتحكم الاحزاب والتنظيمات الطليعية ، وتعاني من تربع قيادات بيروقراطية وبورجوازية على رأسها ، وتعاني من عدم ثقة الجماهير بها . ومن ثم فهي لم تفقد حيويتها فقط ، بل فقدت كذلك وجودها تقريباً في أغلب الحالات على النطاق القطري وعلى النطاق القومي .. اننا على النطاق القومي نجد مثلاً أن الاتحادات الدولية العالية أو المهنية - مثل اتحاد العمال العرب واتحادات المهندسين والأطباء والمحامين وغيرها- منظمات علوية قاصرة على الاجتماع في المناسبات أو عندما ترفع القيادة السياسية شعاراً ثم لاتجهز قراراتها واتفاقاتها وبرامجها غير حوائط القاعات التي تجتمع فيها .

اننا اليوم - نواجه معركة مصيرية - وها نحن نواجه بحدة معركة النضال من أجل تصفية المصالح الامبريالية الامريكية ، وهي معركة في الدرجة الأولى لايمكن انجاحها الا بالاعتماد على التنظيمات الديمقراطية . وجماهيرها العريضة . وان هذه التنظيمات ليست هدفاً في ذاتها ، ولكنها أسلحة نشحذها لخوض هذه المعركة . لذلك فان قوى الثورة العربية مدعوة لشحذ هذه الأسلحة أولاً لتخوض بها معركة التحرير والثورة الاجتماعية ومعركة بناء الانسان العربي التقدمي الجديد .

الوعاء التنظيمي للثورة العربية

على ضوء تجربة الجمهورية العربية المتحدة

بحث : مفيد شهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحس المرء بالرهبة ، ولا ريب ، وهو يقدم على طرق هذا الموضوع الشاق والخطير . ومرد الرهبة أن هذا الموضوع، القديم الجديد معاً ، ترتد اليه في التحليل النهائي حقيقة ، وكذلك أزمة ، الثورة العربية المعاصرة . ولئن كان قد تناوله العديد من القادة والمفكرين والساسة على امتداد ساحة الوطن العربي ، فهو لم يزل بحاجة ماسة الى « جهد جماعي شامل » يباوره فكرياً ، ويصوغه سياسياً ، ويقود الطريق الى تجسيده تنظيمياً .

انطلاقاً من هنا ، فضلت أن أعرض أمامكم في هذه الدراسة الموجزة مجرد « مفاتيح » للموضوع ، تشكل في تصوري مدخلا لمناقشة عريضة فيه .

انني سأبدأ بتحديد موجز لمفهوم الثورة والثورة العربية ، يتبعه تحديد لموقع مسألة التنظيم منها ، وبعدها سوف أتناول مسيرة الثورة العربية باختصار :

منجزاتها ، ونواقصها ، ويجمل الدروس المستفادة من مسارها ، مركزاً على ثورة ٢٣ يوليو . وسوف يكون كل ذلك مقدمة لتحديد بعض الخطوط حول المستقبل . وهنا تحتل مسألة « النظرية » دورها ، فنشير الى دور الفكر ، ثم نقدم تصورنا عن هوية الوعاء التنظيمي المرتقب للثورة العربية .

فما هو مفهوم الثورة ؟

أحسبنا لانختلف إذا قلنا إن الثورة — على امتداد التاريخ البشري — هي تغيير في جوهر النظام الاجتماعي لمجتمع ما ، يُسقط قوة اجتماعية هابطة ، ويحل محلها قوة اجتماعية يكمن في صعودها تطور المجتمع ماديا وروحياً .. بهذا المفهوم كان صعود الطبقة البورجوازية في المجتمعات الأوربية علامة على ثورة جذرية هي « الثورة الليبرالية » ، والتي مالبثت أن استنفدت تقدميتها وانقلبت بجوهرها الرأسمالي الى قوة رجعية تاريخياً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الحدث التاريخي في روسيا — اكتوبر ١٩١٧ — تعبيراً عن ثورة ، بمفهوم خاص ومضمون خاص أيضاً ، هي الثورة الاشتراكية البروليتارية ذات الفكر الماركسي ..

وايضاً كان صعود « قوى الشعب العامل » الى قمة السلطة لإحداث التغيير الجذري في مصر الثورة يوم ٢٣ يوليو تعبيراً عن ثورة سياسية واجتماعية وقومية جذرية .

وتطرح الثورة باعتبارها تغييراً جذريا في النظام الاجتماعي ، مسألة بالغة الدقة والأهمية هي تعبئة قوى الثورة الصاعدة من أجل استلامها

زمام التغيير بنفسها ، وقيادة المنجزات الكبرى ومواجهة صعاب ومشاكل التحول الثوري .

ان هذه المسألة هي « عنق الزجاجة » في مسار الثورة عموماً ، ويتوقف على حلها نجاح أو اخفاق الثورة أصلا. وهنا يمدنا التاريخ الأنساني والعربي بذخيرة دافقة تؤكد أهمية المسألة : فالثورة حين تفلح في تعبئة قواها الأساسية ، تفلح في تنفيذ برنامجها الأساسي ، وحين يهتز ميزان التنظيم السياسي بين يديها تفلت من يديها في ذات اللحظة كل امكانية للبقاء المتطور ..

ويزداد وزن هذه المسألة في عصرنا هذا ، حيث يتعاظم دور الوعي البشري والارادة البشرية عن ذي قبل في إحداث التغير الاجتماعي : ان ما كان مقبولاً في عصور الظلام من ترك « التلقائية البشرية » تفعل فعلها بمنطق التطور الطبيعي ، اصبح اليوم مرفوضاً بكل معيار ، وغدا على رأس مهام الثورة استثمار التعاظم في دور الوعي البشري والارادة البشرية لانجاز الثورة وتسارع خطاها بمعدلات جديدة ، لم يعد يرتضي غيرها منطق القرن العشرين . وهل نحن بحاجة الى ان نتدارس معاً دروس الثورات العالميـــة المعاصرة ، وثورات الاشتراكية والتحرر : ثورة أكتوبر الأشتراكية لم يقدر لها النجاح بغير تنظيم خاص هو الحزب البلشفي ، الذي عبأ البروليتاريا الروسية ونظم تحالفاتها التاريخية مع الفلاحين ، وحل مسألة القوميات في المناطق المكونة الآن للاتحاد السوفيتي ومن ثم هيأ البلاد للاشتراكية السوفيتية .. وثورات الصين ، وفيتنام ، و كوريا و كوبا لم يقدر لها أن تظفر بالنصر على الاستعمار والاقطاع بغير تنظيمات سياسية وعسكرية تعبىء القوى الرئيسية الفاعلة في بلادها .

واذا انتقلنا الى الصعيد العربي : فان ثورة ٢٣ يوليو العربية لم يكن ليقدر لها التفجر والانطلاق بغير تنظيم الطليعة التقدمية المؤمنة « تنظيم الضباط الاحرار » الذي راح ينسج في صبر وأناة شبكة النشاط النضالي العنيد ، حتى ظفر بالنصر على تحالف الاستعمار والاقطاع ورأس المال ، مهيئاً الواقع الوطني والعربي لتأسيس سلطة « تحالف الشعب العامل » .

والثورة العربية التي تعاني الآن من هزيمة الخامس من يونيو وتعيش أزمتها بكل الوجدان الصادق ، انما تلح الآن — لتخطي أزمتها — بحل مسألة الوعاء التنظيمي العقائدي الفعال . ومن هنا يصبح الحديث عن الوعاء التنظيمي في مرحلة مابعد الخامس من يونيو هو بحق حديث الساعة ، ومطلب الجماهير الشعبية الاكثر الحاحاً ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لعله بذلك ينجلي أمامنا دور الوعاء التنظيمي في أية ثورة ، وفي الثورة العربية ، ولعله يتأكد لدينا مرة أخرى مدى خطورة الموضوع وأهميته الفائقة .

ويستدعي بحث الجانب العربي من موضوعنا ، ان نستجلي مسيرة الثورة العربية حتى الآن ، وان نحاول التوصل الى مجمل القوانين الاستراتيجية التي تحكمها .

ان سعي شعبنا العربي المتواصل ، نحو الحرية والتقدم ، على وجه الخصوص منذ اشتداد ساعد الحركة التحررية ، في العصر الحديث ، كان وراء الانتفاضات الثورية التي اشتعلت ضد الاستعمار التركي، ثم ضد الاستعمار الاوروبي الذي

فاز بالوطن العربي ، تركة منهوبة يحاول استنزاف طاقاتها القومية ، زاداً للنظام الرأسمالي الاستغلالي .

ولسنا الآن بصدد التأريخ للنضال القومي في العصر الحديث ، أو لتقييمه ، انما يمكن ان نشير الى عدة ملاحظات تاريخية – ونؤكد انها ملاحظات – تفيد في تبيان المحور الرئيسي في موضوعنا ، وهو الوعاء التنظيمي للثورة .

أولاً : ان مستوى النضال ضد الاستعمار التركي والاستعمار الأوربي حتى أوائل القرن العشرين ، ذلك المستوى الذي وقف دون احراز انتصار جدي عليهما ، قد تحدد في النهاية بمستوى الفكر والتنظيم وأسلوب العمل الذي سيطر على النشاط النضالي : ولهذا تعرضت الانتفاضات والهبات الثورية المختلفة للانتكاسة تلو الانتكاسة : ان ثورة عبد القادر بالجزائر ضد الاستعمار الفرنسي ، وثورة احمد عرابي ضد الاحتلال البريطاني ، وغيرهما انما تعرضت للانتكاس ، بالاضافة الى عوامل عديدة معقدة داخلية وخارجية ، بفعل المستوى المتدني في تنظيم الشعب ، وتعبئة قواه الحية لمواجهة الغاصب .

ثانياً : ان نضال شعبنا في المشرق العربي ضد الاستعمار التركي (الذي يرتدي حلة الاسلام) في أوائل القرن العشرين قد اكتسب مضامينه التقدمية في نضاله ضد « التتريك » و « الإرهاب » ، وأغنى الحركة العربية المناضلة بمقومات عديدة ، كانت علامة على مستوى أرقى في مسألة « تعبئة القوى الشعبية الحية » :

أ – فعلى المستوى الفكري : برز الوعي القومي الى حيز الوجود والتجسيد ، وأخذ الفكر القومي المؤسس على الايمان بوحدة الأمة العربية

وبالقومية العربية وبضرورة انبثاق الحركة القومية العربية ، أخذ يشق طريقه بقوة وثبات الى الوجدان العربي والى العمل العربي في آن معاً .

ب ـ وعلى المستوى التنظيمي : برزت جمعيات ومنظمات قومية عربية ، ذات أبنية عربية (غير اقليمية) تضم مناضلين من أكثر من قطر عربي واحد (بالذات مصر والشام والجزيرة العربية) فظهرت جمعيات مثل « العهد » و « الجمعية القحطانية » و « العربية الفتاة » .. الخ . وأخذت تتقدم بثبات في محاولة لامتلاك ناصية الأسلوب الصحيح في الممارسة القومية .

ج ـ وعلى المستوى الحركي : كانت الثورة العربية عام ١٩١٦ ـ بغض النظر عن تقييمنا النهائي لها أو تقييمنا النهائي للشريف حسين ـ علامة على نضج في الحركة العربية وعلى المستوى الكيفي الذي بلغته هذه الحركة في مناجزة عدوها ، متمثلاً في اسلوب « النضال المسلح » كأسلوب تحقيق التحرر والوحدة العربية (الجزئية) . ويقتضينا المنطق العلمي أن نؤكد في نفس الوقت أن هذه الثورة قد كانت من سلبياتها القاتلة : طبيعة قيادتها ، اسلوبها في التعاون مع الانكليز ، علاقتها بالجماهير ، مفهومها للوحدة .. الخ ، وذلك ما انتهى بها في النهاية الى الانتكاس بتسليم المشرق العربي الى الاستعمار وتقسيمه أسلاباً بين بريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية .

ثالثاً : ان فشل ثورة ١٩١٦ العائد بصفة أساسية الى تدني مستوى التعبئة التنظيمية الجماهيرية والى طبيعة القيادة الاستسلامية ، قد مهد ـ بطريق مباشر وغير مباشر ـ لانتفاضات ثورية عربية متتالية ، كان من أبرزها ثورة ١٩١٩ في مصر ، وثورة ١٩٢٤ في السودان ، وثورات شعبنا الفلسطيني ضد الانتداب

البريطاني المتواطىء مع الحركة الصهيونية منذ أوائل العشرينات . ورغم اصالة ونبل الهدف القومي الذي ناضلت دونه الجماهير الغفيرة في هذه الثورات ، الا انها انتهت أيضاً بالاخفاق . وكان في مقدمة عوامل هذا الاخفاق عدم توافر الوعاء التنظيمي الثوري ، الذي يعبىء الجماهير ، وراء قيادة مستنيرة فكرياً ، مؤمنة قومياً . وقد بلور الميثاق الوطني في ج . ع . م . مثلا أسباب اخفاق ثورة ١٩١٩ مرجعاً اياه الى اغفال البعد القومي العربي ، واغفال البعد الاجتماعي ، والى اسلوب التهادن مع الاستعمار البريطاني . ولا شك أن هذه العوامل جميعاً ترتد في النهاية الى غياب « الوعاء التنظيمي الكفء » للثورة .

وعندما تصدت تنظيات وأحزاب للعمل الوطني في محاولة لسد الفراغ ولتزعم التيار الجماهيري (مثل حزب الوفد في مصر) ، فإنها انتهت بفعل عوامل رئيسية، منها بنيتها الاجتماعية الرجعية على مستوى القيادات المتحالفة مع الاستعمار، وانتهت الى الفشل الذريع، بالالتقاء مع الاستعمار في منتصف الطريق، والحصول منه في بعض الأجزاء العربية على استقلال شكلي تمارس من وراء غلالته الزائفة ، الاستغلال الرهيب لجماهير الشعب ، تحت رعـــاية الاستعمار الأوربي .. وهذا يفسر لنا استقلالات مصر وسورية ولبنان والعراق .. الخ . ولعله من أبلغ الأحداث إفصاحاً عن دلالة « الغياب الشامل » للوعاء التنظيمي لتحرك الشعب العربي حينئذ ، هو وقوع نكبة فلسطين . فلقد كانت ثمرة طبيعية للواقع العربي الفاسد ، واقع الفراغ الجماهيري ، وانعدام التنظيم في الحياة العربية .

رابعاً : ان نجاح ثورة ٢٣ يوليو — الثورة العربية النواة — كان يحمل في طياته بلاغة الدليل على فعاليـــة الوعاء التنظيمي الثوري ؛ إذ بفضل وعائها التنظيمي — الضباط الأحرار — حطمت تحالف الاستعمار والاقطاع ورأس المال ،

وسعت حثيثاً نحو توطيد سلطة الشعب العامل. وقد اشتمل المد الثوري العربي، ملتحماً بـ ٢٣ يوليو، لمحاربة الاستعمار والتجزئة والتخلف، محققاً افشال مخطط الأحلاف، وعدوان ١٩٥٦، ومشروع ايزنهاور، والضغط الاقتصادي والضغط العسكري على سورية، وحقق الوحدة بين مصر وسورية، وزاد لهيب الثورة في الجزائر، والثورة في اليمن، وفجر التحول الاشتراكي، وبدأ في بنـــاء التنظيم الشعبي.

وكان ذلك كله بفعل الالتحام الجماهيري العربي من حول مد الثورة العربية التحرري الوحدوي الاشتراكي.

خامساً: ان وقوع نكسة الانفصال عام ١٩٦١، ونكسة يونيو ١٩٦٧، وما رافقها وأعقبها من مخاطر جسيمة على الحركة العربية الثورية (ومن أبرزها احتمالات ومخاطر امكان وصول الثورة العربية الى وضع «محلك سر»)، ان كل ذلك يعود في النهاية الى افتقار الثورة العربية الى وعاء تنظيمي، محدد يستقطب الفصائل الاجتماعية الثورية من شعبنا العربي، ويؤهلها للكفاح من أجل التحرر الوطني والوحدة القومية للبناء الاشتراكي، من خلال الالتزام بأيديولوجية الشعب العامل وبأسلوب المواجهة النضالية المستميتة، وبالاخلاص لقضية الجماهير حتى النصر أو الموت. ومن هنا تطرح نكسة يونيو (حزيران) مسألة التنظيم بالحاح — كما ألمحنا من قبل — وتصبح الأمة العربية مدعوة لانجاز بناء هذا الوعاء بكل كفاءة وسرعة وفاعلية.

وهذا ينقلنا الى دراسة التجربة التنظيمية العربية بكل عناصرها لنرى الى أي مدى تشكل هذه التجربة أساساً للبناء التنظيمي الجديد.

ونقصد هنا تجربة الحركة العربية التقدمية بكل فصائلها وأقسامها . حقاً ان تناول هذا الجانب على وجه الخصوص ينطوي على شيء غير قليـــل من الصعوبة والتعقيد ، غير أنه من الممكن ومن الضروري ، أن نقدم مؤشرات عامة له . اننا نستطيع أن نجد في التجربة التنظيمية العربية عدة عناصر رئيسية في رأينا :

العنصر الأول : ـ وهو ما سوف أتناوله بالتفصيل ـ هو التجربة التنظيمية لثورة ٢٣ يوليو ، ومدى تعبير هذه التجربة عن آفاق الثورة .

العنصر الثاني : هو الأحزاب العربية التي رفعت الشعارات العربيـــة والاشتراكية وانضوى تحت لوائها العديد من الشباب العربي المؤمن .

العنصر الثالث : هو تجربة الثورة العربية الفلسطينية في المجال التنظيمي .

هذه هي العناصر التي نحسب أن دراستها يمكن أن تقودنا الى تبيان حقيقة الواقع التنظيمي العربي ، ومدى امكانية تخطيه نحو خلق وعاء تنظيمي جديد .

أولا : التجربة التنظيمية لثورة ٢٣ يوليو :

لقد شهدت مسيرة ثورة ٢٣ يوليو خطوات عديدة متلاحقة على طريق تجربتها التنظيمية المستمرة .. وفي كل مرحلة من مراحل الثورة انبثقت صيغة تنظيمية ملائمة لها :

١ ـ وهكذا وجد أولاً تنظيم الضباط الأحرار الذي مهد للثورة وقادها .

٢ - ثم جاءت هيئة التحرير .

٣ - ثم الاتحاد القومي .

٤ - ثم الاتحاد الاشتراكي العربي .

وفيما يلي نتناولها بالتتابع :

١ - الضباط الأحرار :

كان هذا الشكل التنظيمي يحمل أيضاً طابع المرحلة ، من حيث أنه كان تعبيراً عن الفترة التي كانت فيها الطلائع الثورية تبلور نفسها وتبحث عن نقطة البداية في العمل الثوري . فهو تشكيل كان يضم مجموعة من ضباط الجيش من أبناء الفلاحين والعمال والموظفين بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر للعمل سراً في صفوف القوات المسلحة .

كان هدف الضباط الأحرار إحداث ثورتين في وقت واحد : ثورة على السلطة القديمة الرجعية في الجيش وإزاحتها والحلول مكانها ، ثم استخدام الجيش للثورة على السلطة السياسية الممثلة لتحالف الاقطاع والرأسمالية والاستعمار .

وكان الجيش هو المجال الطبيعي لنمو هذا التشكيل باعتباره القوى التي تملك ارادة الحسم في مواجهة قوات الاحتلال وسلطة الحكم في يد النظام القائم .

يقول الميثاق : **« ان أعظم ما في ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ أن القوات التي خرجت من الجيش لتنفيذها لم تكن هي صانعة الثورة ، وإنما كانت أداة شعبية لها »** .

وتشكيل الضباط الأحرار لم يتبع أياً من النظريات السياسية والاجتماعية

المتصارعة في العالم ، ولكن أهدافهم تبلورت عند المبادىء الستة التي أعلنت عقب قيام الثورة ، وبدا فيها واضحاً الاتجاه الديمقراطي الاشتراكي .

وبقيام الضباط الأحرار بالثورة أكدوا انهم الطليعة الأكثر ثورية وفعالية والأكثر ارتباطاً بقضية التقدم الاجتماعي والتحرر السياسي . وقد تمثل ذلك في كونهم الجهة التي استطاعت نسف الوضع الرجعي القديم في حين عجزت عن ذلك بقية الاتجاهات والتيارات .

٢ ـ هيئة التحرير :

بعد حل الأحزاب في مصر في ١٦ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٣ كانت الثورة تواجه الظروف والعوامل الآتية :

ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

١ ـ افتقار الثورة الى نظرية سياسية متكاملة والى تنظيم سياسي يحول الجماهير الشعبية المتحمسة الى قواعد منظمة تستطيع مساندة الثورة والاندفاع معها في طريق التحرر .

٢ ـ تيارات وطنية مختلفة من المثقفين تمزقهم الخلافات الفكرية .

٣ ـ مجموعة من الرأسماليين وكثير من ملاك الأراضي ممن لم ينطبق عليهم قانون الاصلاح الزراعي .

وفي ٢٣ يناير عام ١٩٥٣ أعلن ميثاق وأهداف وطريقة تنظيم هيئة التحرير كتنظيم جماهيري يعبىء جميع طبقات الشعب وفئاته المختلفة على ما بينهم من تناقض ، لمواجهة متطلبات المرحلة الأولى فيما بعد الثورة .

وكان على هيئة التحرير أن تعبىء كل هذه القوى من أجل :

أ – مواجهة جيوش الاحتلال الرابضة على أرض القنال .

ب – مواجهة تنظيمات الأحزاب والجماعات الرجعية المنحلة .

جـ – ايجاد الاطار الواحد الذي يمكن الثورة من حشد وتنظيم كافة القوى الوطنية لحماية البناء الثوري الوليد .

وكان شعار هذه المرحلة هو وحدة كافة الفئات الوطنية من أجل تحقيق الاستقلال ، ومن هنا كان لا بد أن تدخل القوى المعادية للاستعمار في هيئة التحرير ، رغم اختلاف آرائها حول مستقبل العلاقات الاجتماعيـــة وحول اتجاه التطور الاجتماعي في مصر بعد الاستقلال .

ونستطيع القول إن هيئة التحرير قد أتاحت الفرصة لالتحام قوى الشعب بقيادة الثورة ، كما استطاعت أن توجد نوعاً من التنظيم للقوى الشعبية وتعبئة هذه القوى في اتجاه التوعية الوطنية وتفهم مشاكل المجتمع الجديد والاستعداد لخوض المعارك القادمة على الطريق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد تأسست هيئة التحرير – كما قال الرئيس جمال عبد الناصر – رغبة في ايجاد تنظيم لقوى الشعب واعـــادة بناء مجتمعه على أسس جديدة قوامها الفرد .

ولقد أثبت الشعب خلال فترة الانتقال التي أعلنت في ١٦ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥٣ بعد حل جميع الأحزاب .. أثبت الشعب تفاعله مع الأهداف التي رسمتها الثورة .. وكان واضحاً أن الجماهير بدأت في النضوج الفكري . وبدأ احساسها بالحاجة الى علاج ثوري جديد .. يعزل الطبقات المسيطرة في الماضي ليبدأ إحساس جديد بالمستقبل .

وازاء هذا كان لا بد من تنظيم قومي جديد يجمع الشعب بأكمله ، ويحمي مكاسب الثورة .. يحمي الجماهير من أهداف الانتهازية .. ويمكن كل العناصر الوطنية من وجودها داخل اطار واحد، حيث تتفاعل بما يقترب بينها ويحل التناقض الواقع بينها بطريقة سليمة ويرفع من كفاءتها في مواجهة بداية المرحلة الجديدة في ارساء قواعد الاقتصاد المصري وايجاد نواة القطاع العام ليصبح نقطة البداية في الانطلاق نحو ملكية الشعب لوسائل الانتاج .

٣ ـ الاتحاد القومي :

في ٢٨ مايو (أيار) عام ١٩٥٧ صدر قرار تشكيل الاتحاد القومي للعمل ـ كما جاء في المادة الأولى من القرار ـ على تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الثورة ، ولحث الجهود لبناء الأمـــة بناء سليماً من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وجاء الاتحاد القومي في مرحلة تدعيم الاستقلال الوطني في أعقاب العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ ، وبعد تمصير الشركات والمؤسسات الرأسمالية الفرنسية والبريطانية ، أي جاء في المرحلة التي كانت المهمة الأساسية فيها هي التنمية الاقتصادية وبناء اقتصاد قومي قوي ، والبدء في الانتقال بالمجتمع من حالة التخلف الى حالة التقدم .

كانت أهداف الاتحاد القومي :

أ) أن يكون التعبير السياسي عن الوحدة الوطنية التي تأكدت بدحر العدوان الثلاثي وأثبتت صلابتها .

ب) دعم الثورة الوطنية وهي تتجه نحو التطوير الاجتماعي .

ج) مواجهة تحديات الاستعمار في مصر والوطن العربي .

د) ارساء دعائم الممارسة الديمقراطية القائمة على العدل الاجتماعي .

ولكن اتضح خلال التجربة العملية للاتحاد القومي كتنظيم شعبي لحماية أهداف الثورة ان هناك عناصر مستغلة تسللت الى صفوفه في محاولة لتشكيل قاعدة رجعية داخل هذا التنظيم لحماية بعض التركيبات الاقتصادية والاجتماعية التي تخدم مصالحها المستقلة .

ومن جهة أخرى ذابت في الاتحاد القومي العناصر الثورية الواعية لقضية الثورة ولأهدافها ومبادئها . وظهر أيضاً افتقار الاتحاد القومي - في غياب دليل العمل والنظرية والثورية - الى الوضوح الفكري ، بحيث يمكن القول إن الاتحاد القومي أصبح يضم مجرد ممثلين عن الشعب ، بغض النظر عن وعيهم وايمانهم بالثورة واستعدادهم للنضال من أجل أهدافها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي تقييم الرئيس جمال عبد الناصر لهذه التنظيمات في خطابه أمام المؤتمر الوطني للقوى الشعبية - ٢ يوليو (تموز) ١٩٦٢ - حدد ثلاثة أسباب لعجزها عن مواكبة التطور الجذري السريع في المجتمع :

الأول : قوى الثورة في مواجهتها لحتمية التغيير الاجتماعي لم تكن قد استطاعت أن تحدد دليلاً للعمل الثوري تلتقي عليه الجهود .. ومن نتيجة ذلك أن التجمع الشعبي مع النوايا الطيبة التي توفرت له .. كان اقترابا غير منظم من مجموعة من الأماني العامة ليس لها منهاج تفصيلي تلتقي عنده جهود جماعية على أساس فكري واضح لتصدر عنه ارادة شعبية عميقة ومؤثرة .

الثاني : ان الفكر الثوري في تلك الفترة وهو يتطلع الى الوحدة الوطنية ،

ويدرك ضرورتها الحيوية داخل الوطن ، وفي مواجهة الظروف المحيطة به وقع في الخطأ حين توهم ان الطبقة المحتكرة التي كان لا بد أن تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكن أن تقبل الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحبة المصلحة في الثورة .

ولقد كان من أثر ذلك ان محاولات التنظيم الشعبي التي جرت في ضباب هذا الوهم حدث في داخلها من عوامل الصدام بين القوى الثورية بالطبيعة ، والقوى المضادة للثورة بالطبيعة ما أصابها بالشلل وأقعدها عن الحركة ، بل وكاد أن ينحرف بها في بعض الأحيان عن الاتجاه الثوري الاصيل .

الثالث : انه نتيجة لما سبق من غياب دليل العمل الثوري، ومن خطأ تجميع المصالح المتصارعة في وحدة وطنية موهومة ضاع عنصر الالتزام في التنظيمات الشعبية .

غير أننا اذا نظرنا الى النواحي الايجابية، نجد الاتحاد القومي قد استطاع أن يحقق نتائج ايجابية في مجال تنظيم قوى الشعب ونشر مناخ اشتراكي عام، وبدء وضع اللمسات الأولى للممارسة الديمقراطية في نطاق الجماهير . ومن هنا فان الاتحاد القومي كان يمثل جزءاً من مرحلة انتقال لها دوافعها وظروفها وتناقضاتها .

وعلى أية حال فلقد ظهر بعد التحولات الاشتراكية العميقة في المجتمع بعد يوليو عام ١٩٦١ ، وخاصة بعد أن حدثت نكسة الانفصال ، ان مرحلة التحول الاشتراكي بحاجة الى تنظيم شعبي اشتراكي يكون هو صاحب المصلحة الحقيقية في حماية الثورة والسهر عليها والالتحام معها وبذل كل طاقاته من اجل الاندفاع بها .. فاذا كانت قوانين يوليو ١٩٦١ قد اسقطت تحالف الرجعية والرأسمالية فإنها في الوقت نفسه قد عبرت عن نجاح تحالف قوى الشعب

العاملة واظهرت ضرورة تنظيم هذا التحالف . وعلى هذا الضوء ، وبجانب استقرار الوقائع التاريخية ، وانتقال الثورة الى مرحلة الحياة الاشتراكية الكاملة ، كان من الضروري تنظيم الشعب من جديد بحيث تصبح القوى العاملة فيه داخل اطار تنظيمي قادر على الحركة وقادر على مواجهة القوى الرجعية التي تحاول ان تتجمع لحماية الأوضاع والعلاقات الاجتماعية القديمة القائمة على الاستغلال ، وتحاول أن تعوق اتمام التحول الاشتراكي .

وهكذا تم تنظيم الشعب للمرحلة الثالثة على طريق الثورة .. في الاتحاد الاشتراكي العربي ليكون الاطار الذي يضم قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية في الاشتراكية ، ولينقلنا من مرحلة التحالف بين القوى الوطنية أياً كانت اوضاعها الطبقية ، الى مرحلة التحالف بين القوى الشعبية العاملة التي لا تسمح العلاقات فيما بينها بأي لون من ألوان الاستغلال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ الاتحاد الاشتراكي العربي :

لقد تم تكوين الاتحاد الاشتراكي في ظل اوضاع اجتماعية جديدة تتشكل مع مسيرتنا على طريق التحول الاشتراكي :

أ ـ فقد تم تثبيت الاستقلال السياسي والاقتصادي .

ب ـ وتم عزل ملاك الأراضي وكبار الرأسماليين عن السلطة السياسية ، وكذلك تمت تصفيتهم اقتصادياً .

وبتكوين الاتحاد الاشتراكي وصلت قوى الشعب العاملة الى السلطة السياسية .

وإذا كان الميثاق قد نص على أن يكون للعمال والفلاحين ٥٠٪ على الأقل، من المقاعد في التنظيمات الشعبية السياسية على جميع مستوياتها، فلقد كان ذلك ضماناً لاستمرار التحول الاشتراكي في الاتجاه الذي يحقق مصالح الشعب. وكما يقول الميثاق فإن هذا، فضلاً عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية، فهو ضمان أكيد لكي تكون قوة الدفع الثوري نابعة من مصادرها الاصيلة.

وإذا كانت قوانين يوليو عام ١٩٦١، وأغسطس ١٩٦٣، ومارس ١٩٦٤، قد غيرت ملامح المجتمع اجتماعياً واقتصادياً ونقلت وسائل الانتاج الى الملكية العامـــة للشعب، وخلقت قطاعاً عاماً مسيطراً يتحمل مسؤولية التنمية وصنع التقدم، فلقد جاء الاتحاد الاشتراكي ليعكس الآثار العظيمة لهذا التغيير في المجال السياسي:

أ) فحدد تحديداً قاطعاً قوى الشعب العاملة حتى لا يتسلل بينهـــا الرجعيون والانتهازيون.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب) ووضع قوى الشعب العاملة في السلطة وفي مواقـــع القيادة للعمل الوطني.

جـ) وهيأ للقاعـــدة العريضة من قوى الشعب العاملة فرص الممارسة الديمقراطية السليمة بالمشاركة المتصلة في العمل السياسي اليومي، وبالتعبير عن ذاتها وآرائها وطاقاتها بحرية تامة.

د) وكما وسع الاتحاد الاشتراكي قاعدة الديمقراطية فانه كذلك أدخلها الى ميادين جديدة في المصانع والقرى والأحياء والمؤسسات.

والحقيقة أن التناول العلمي لصيغة الاتحاد الاشتراكي من الوجهة التنظيمية يتطلب فحص أبرز المسائل المتعلقة به ، وتتركز هـــذه المسائل في اثنتين أساساً :

- صيغة تحالف قوى الشعب العاملة .
- الطبيعة المزدوجة للتنظيم : شعبي وطليعي .

وفيما يلي نتناول كلًا منهما :

أولاً : تحالف قوى الشعب العاملة

على طول مراحل النضال ضـد الاستعمار والاستغلال كان الفلاحون والعمال والمثقفون يقفون في جبهة واحدة ، بينما الأقطاعيون والرأسماليون يقفون في الجبهة المضـــادة تساندهم سلطة الدولة . وبينما كانت الثورية هي طابع النضال الشعبي ، كانت المساومة ، بل والخيانة ، أسلوب القيادات السياسية بحكم مصالحها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانعكاساً للأوضاع والظروف المادية الجديدة تحتم ان يكون تحالف الشعب يضم خمس قوى اجتماعية دون غيرها وهي : العمال ، والفلاحون ، والمثقفون ، والجنود ، والرأسمالية الوطنية غير المستغلة . فهم وحدهم اصحاب المصلحة الحقيقية في المضي بعملية تطور المجتمع وتغييره اشتراكياً . وهؤلاء هم الذين يمارسون عملًا لايقوم على استغلال جهد الآخرين ، والذين يتفهمون سير الحركة التقدمية في المجتمع ، ويندفعون ضمن تيارها لاقامة مجتمع الكفاية والعدل .

ونتيجة لوضوح مفهوم التحالف وضحت أيضاً فكرة الصراع بين الطبقات والتعاون بينها . فالتناقضات بين قوى التحالف ليست الا تناقضات ثانوية غير عدائية ، يتم ذوبانها مع تذويب الفوارق بين الطبقات ويتم حل الصراع الناشىء عنها سلمياً .

اما التناقض مع الطبقات المعادية للاشتراكية من جهة أخرى ، فهو تناقض رئيسي وعدائي. وقد واجهته الثورة باسقاط التحالف بين القوى المعادية وعزلها عن التنظيم السياسي وبالتالي عن مراكز القوة والسلطة .

ويمكن القول إن التحالف الطبيعي بين قوى الشعب العاملة لم يستطع ان يصبح فعالاً وقادراً على الحركة الا حين انضم اليه الجنود وخاصة في اليوم التاريخي الحاسم في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

ويرجع هذا الى انه كان من المستحيل على القوى الشعبية أن تواجه تحالف الاقطاع والرأسمالية الذي يملك السلطة والقوة بدون قوة أكبر، وهذه القوة لا تتمثل في غير الجنود .. أبناء الفلاحين والعمال والمثقفين .

وهكذا كما قال الميثاق أصبح الجيش - بالثورة - في المكان الطبيعي تحت قيادة الشعب وفي خدمة أمانيه . وبذلك سلب النضال الشعبي قوى الاستغلال الداخلي أداتها التي كانت تهدد بها ثورة الشعب .. كذلك فانه سلح النضال الشعبي بدرع من الصلب قادر أن يصد عنه ضربات الغدر والخيانة .

ثانياً : التنظيم الطليعي وعلاقته بالتنظيم الشعبي

السمة المميزة للاتحاد الاشتراكي هي الاتساع والشمول بحيث لا يصبح خارج اطاره الا الذين تتعارض مصالحهم مع الاشتراكية، وبالتالي لا يمكن ان يصبحوا جزءاً من التحالف بين قوى الشعب العاملة . ولكن هذا الاتساع ، رغم انه يوسع قاعدة الديمقراطية ويضع امام الجماهير العريضة فرصة الممارسة الديمقراطية المتصلة لا مجرد التصويت مرة كل عدة سنوات ، الا انه يصبح محتاجاً الى عمود فقري يضمن تماسكه وتكامله ، والى كادر قيادي على كافة

مستوياته يدفع الحركة في داخله حتى لايقع في احد النقيضين : التجمد أو ميوعة الحركة .

ان الاتحاد الاشتراكي يحتاج اذن الى تنظيم ثوري في داخله لايحرص على حشد الجماهير، وانما ينتقي من بينهـــا الأصلب عوداً والأعمق وعياً والأكثر حركة والتزاماً .

وهنا لاتصبح « المصلحة في الاشتراكية » هي الشرط الوحيد المطلوب، بل يضاف اليها ان يكون العضو قد أثبت جدارة في العمل السياسي وقدرة على العمل التنظيمي ووعياً كاملاً لطبيعة الثورة وأهدافها وبالمسؤوليات والالتزامات التي تقع على عاتقه .

وهذا التنظيم الطليعي لايمكن ان يذوب في الاتحاد الاشتراكي، ولا يصح ان ينفصل أو ينعزل عنه . ان الاتحاد الاشتراكي هو الذي يعبيء وينظم قوى قوى الشعب في نطاق القاعدة العريضة والتنظيم الطليعي، وهو الذي يضم طليعة هذه القوى وقيادتها الثورية الحركية .

وعلى هذا، فاذا كان الاتحاد الاشتراكي منظمة جماهيرية يزيد حجم العضوية فيها عن خمسة ملايين عضو ، لاتستلزم قدراً كبيراً من الانضباط بالنسبة لهم ، فان التنظيم الطليعي يقوم على مجموعة من المناضلين الثوريين لابد وأن تصل درجة الانضباط عندهم الى حد الانضباط الحزبي .

بقي ان نتحدث عن منظمة الشباب الاشتراكي ، وهي التنظيم السياسي للشباب الذي يعمل بقيادة الاتحاد الاشتراكي العربي ، أو هي كما نعبر في مصر : الجناح الشبابي للاتحاد الاشتراكي .

لقد بدأ الاعداد لبناء المنظمة في عام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ثم أعلن قيامها في ٢١ يوليو ١٩٦٦ . وكان الهدف الرئيسي من انشائها هو إعداد جيل جديد من شباب الثورة العربية في مصر ، قادر على اتمام التحول الاشتراكي وبنـــاء صرح التحرر والوحدة العربية ، أي بناء جيل جديد قادر على الاسهام الجاد في معركة آمنة من اجل الحرية والاشتراكية والوحدة .

ولن نفصّل في بيان المراحل التي قطعتها منظمة الشباب في بنائها ، فليس ذلك صميم موضوعنا اليوم ، انما يهمنا أن نقدم ماتحتويه من عطاء جديد لعملية بناء الوعاء التنظيمي لحركة الشباب العربي في مصر ... ونلخص ابرز خصائص هذا العطاء فيما يلي ، مؤكدين بادىء ذي بدء أنها انعكاس خاص لواقع خاص ، هو الواقع العربي المصري .

أولاً : التوفيق بين الكم والكيف . فظروف الشباب المصري وبعده عن تجربة العمل الحزبي ، ثم بروزه كجيل من خـــلال تحولات ثورة ٢٣ يوليو ومنجزاتها ، قد ألحت بضرورة شمول المنظمة لأكبر عدد ممكن من الشباب الراغب والقادر على خدمة قضية المجتمع . وقد تطلب ذلك بطبيعة الحال التركيز على بناء الكادر ، وهو ماتم ويتم عن طريق معاهد متخصصة وبرامج تثقيفية خاصة ودورات تدريبية .

ثانياً : التركيز على اسهام الشباب في خدمة قضايا المجتمع الرئيسية وعلى رأسها قضيتان رئيسيتان :

أ) قضية المعركة .

ب) قضية التنمية الاقتصادية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبالنسبة لقضية المعركة ، فإن هناك برامج تطبيقية ، بعضها منفذ وبعضها قيد التنفيذ .

وهي برامج :

فصائل خدمة الجبهة .

الدفاع الايجابي الشعبي .

الدفاع المدني ..

خدمة المهجرين ...

رعاية أسر المجندين ..

العمل الفكري والفني المحارب ..

وتتجه المنظمة لربط كافة نشاطاتها وبلجان المعركة ، التي سوف تقوم في وطننا صيغة لتعبئة الشعب العربي في مصر لمعركة المصير القومي ..

وفيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية ، فان هناك برنامجا تطبيقيا لاستصلاح الأراضي واستزراعها ، وآخر لزيادة الانتاج الصناعي ، وثالث لمكافحة الأمية ، ورابع لمكافحة آفات المحصولات الزراعية .

ثالثا : برنامج للتثقيف السياسي والعقائدي ، ينطلق من خدمة الأهداف الاستراتيجية البعيدة للثورة العربية (أهداف الحرية الاشتراكية والوحدة) ، والهـــدف الاستراتيجي القريب (ازالة آثار العدوان الاسرائيلي) . وذلك ارتكازا الى مجموعة ادوات فنية للتفاعل والتواصل الفكري بين الشباب الاشتراكي جماهير وقيادات .

رابعا : العمل على الصياغة الاجتماعية لشخصية الشباب المصري ، بحيث تكتمل هذه الشخصية بمقوماتها الانسانية المتكاملة . ومن أجل ذلك في النهاية الى تأسيس

« بناء نفسي اجتماعي جديد » للشباب يقوم على التكامل والابداع ويرتبط ارتباطا كاملا بالمعركة .

خامسا : اقامة حوار دائم وخلاق مع التنظيمات الشبابية التقدمية باعتبارها مدخلا لقطاعات أعرض من الجماهير ، يمكن من خلال اقناعها بأسباب الصراع وعدالة الحق العربي ان تشكل رأيا عاما يرفع صوته الى مراكز التأثير في الاجهزة الرسمية .

سادسا : اقامة جسر متصل بين مبعوثينا في الخارج ، وبين قضايا وطنهم المصيرية ليتمكنوا من عرض مشكلاتنا وقضايانا على أساس من الفهم العميق .

هذا كله عن العنصر الاول من عناصر التجربة التنظيمية العربية .

اما العنصر الثاني فهو الاحزاب العربية التي رفعت شعارات الثورة على الواقع العربي الفاسد ، والتي أدت دورا رئيسيا في التمهيد لانطلاقة المد الثوري العربي ، وذلك باشاعة الفكر العربي ، وفي تعبئة الشباب العربي لبعض المعارك.

لننتقل بعد ذلك الى العنصر الثالث من عناصر التجربة التنظيمية العربية وهو : المقاومة الفلسطينية .

ولسنا هنا أيضا بصدد تفصيل للمقاومة الفلسطينية كوعاء للثورة العربية الفلسطينية الآن ، لكنه يهمنا ان نقدم نقاطا مختصرة تجسد ما أحرزته المقاومة من تقدم كيفي على صعيد التجربة التنظيمية العربية يمثل في حد ذاته مجموع الدروس المستفادة الثمينة والتي لا بد ان تندرج في اطار أي فهم عربي جديد للمسألة التنظيمية وأي توجه حقيقي لحلها . ونبلور ذلك في النقاط التالية :

آ - ان المقاومة الفلسطينية قد زرعت في الحقل العربي وفي الذهن العربي حقيقة رئيسية مؤداها ، أن الصيغة التنظيمية الفعالة لتعبئة الشعب هي الصيغة

التي تتوجه بالجماهير نحو المواجهة المسلحة مع العدو المغتصب ، وتوفر لها أدوات الانتصار الجذري عليه .... أي ان المقاومة قد ربطت بشكل جازم بين « التنظيم » و « الفعالية » ..

ب ـ حققت المقاومة تقدما جديا على الصعيد التنظيمي من زاوية البنية الاجتماعية .. وبغير دخول في المناقشة حول « التركيب الطبقي الداخلي لبنية المقاومة » وكيف تكون ، فانه يمكننا ان نؤكد باطمئنان ـ وبصفة عامة ـ ان تنظيمات المقاومة بشمولها لجماهير اللاجئين المسحوقين ، انما تقدم مؤشرا حاسما على ربط العمل التنظيمي الثوري بقاعدته الجماهيرية المؤهلة للفعل الثوري المنتج .

ج) ان المقاومة ـ على صعيد فكر التنظيم ـ انما قدمت الدليل الملموس على الرباط الوثيق بين « الأفكار » و « الممارسات » ، وهي هنا الممارسات القتالية ، وذلك عطاء جديد ثمين ينبغي أن تهضمه الحركة الثورية العربية في سعيها الجاد لإقامة وعائها التنظيمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحو وعاء تنظيمي للثورة العربية :

بذلك استعرضنا مفردات التجربة التنظيمية ، سواء تجربة ثورة ٢٣ يوليو في الجمهورية العربية المتحـــدة ، أو تجربة المقاومة العربية الفلسطينية . وبذلك تتأكد الصلة بين التفكير في « **الوعاء التنظيمي للثورة العربية** » وبين خصائص التجربة التنظيمية العربية . وهذا ما ينقلنا لأن نتناول مباشرة مسألة « الوعاء » .

إن التفكير في مسألة « **الوعاء التنظيمي للثورة العربية** » ليس جديداً ، وإنما وجدت الفكرة وتطورت مع تطور الواقع العربي والثورة العربية .

لقد بدأ الرئيس جمال عبد الناصر بطرح المسألة ، حين تحدث في ٢٦

يوليو ١٩٦٣ عن ضرورة قيـــام « الحركة العربية الواحدة » كرد على التجزئة والتشرذم التنظيمي العربي .. واعقب ذلك نشاط فكري وسياسي بين المثقفين العرب لتداوس الشعار ، وبلورة فكرته والوصول به الى مضمون محدد ..

وفي فبراير ١٩٦٧ تحدث الرئيس جمال عبد الناصر عن ضرورة « وحـدة القوى الثورية العربية » كشعار ينبغي أن يخرج الى حـــيز التنفيذ في مواجهة التحديات الاستعمارية والصهيونية التي كانت تتجمع في الأفق العربي .

بعد العدوان وعقب النكسة تحدث الرئيس عن ضرورة حشد قوى الامة العربية نحو هدفها الأول « المعركة » باعتبارها الحقيقة التي تتمتع بالأولوية المطلقة على رأس مهام حركة الثورة العربية المعاصرة .

هكذا تم الربط الكامل الحاسم بين « المعركة مع اسرائيل والامبريالية العالمية » وبين اي تفكير جاد في « الوعاء التنظيمي للثورة العربية » ، وتأكدبصفة نهائيـــة ان المعركة ، والمعركة المسلحة ، هي التي تقرر أشكال مضمون التعبئة العربية الثورية ، للجماهير الشعبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبهذا يمكن تحليل مسألة « الوعاء التنظيمي للثورة العربية » الى أجزائها الاولية باعتبارها « مسألة تعبئة الجماهير العربية من أجـــل المعركة » اي مسألة « تنظيم توجهها للمعركة » .. ويصبح السؤال الرئيسي هو : **كيف يمكن بناء الوعاء التنظيمي للثورة العربية في ظل المعركة ؟**

إن الاجابة عن هذا السؤال يمكن تركيزها في النقاط التالية :

اولاً : ان المعركة مع اسرائيل والامبريالية هي الحقيقة الأولى التي يجب أن تحكم بناء الوعاء التنظيمي ..وهذا يتطلب الوعي بأن النصر في المعركةالرئيسية ضد العدوان الاسرائيلي المتجدد ، هو الذي يفتح الباب أمام الانطلاق الأعظم

والأشمل للثورة العربية الاشتراكية . ومن هنـــا يصبح محك الاخلاص لقضية الثورة في هذه المرحلة هو الاخلاص بلا حدود لقضية المعركة . .

ثانياً : إن المعركة هي الفرصة التي لاتعوض لبنـاء وعاء تنظيمي عربي كفء . فمن خلالهـــا تتوفر المحكات الطبيعية التي تمكن من فرز المناضلين وصقلهم وتعبئتهم ودعم وحدتهم الكفاحية . وبذلك تتهيأ الظروف لأول مرة في التاريخ العربي المعاصر لتأسيس بناء تنظيمي يستجيب لحاجات الشعب العربي من جهة ، وللشروط السليمة لبناء الوعاء التنظيمي الناضج من جهة اخرى .

ثالثاً : ان المعركة لابد ان تسفر عن بناء وعاء للثورة العربية . لكن هذا الوعاء لايبنى فجأة او بالطفرة ، وانما عليه ان يستفيد من كل دروس التجربة التنظيمية العربية التي تلح باستبعاد السرعة والعجلة والارتجال . وهذا يفرض في بناء الوعاء التنظيمي مواجهة معادلتين صعبتين حقاً :

المعادلة الاولى هي :

كيف نوفق ـ في بناء الوعاء التنظيمي ـ بين ضرورات المعركة، ومقتضيات الثورة العربية الشاملة .

المعادلة الثانية هي :

كيف نوفق بين ضرورات الانطلاق من الواقع المحلي في كل قطر عربي لبناء الوعاء التنظيمي للثورة ، وبين مقتضيات وحدة الثورة العربية . ولسنا في حاجة الى جهد شاق لنصل الى ان حل المعادلة الاولى هو بالاقتناع بان «المعركة» و «الثورة» هما في هذه المرحلة مفهومان مترادفان ، وان الاخلاص للثورة العربية الاشتراكية الشاملة يعني الآن الاخلاص للمعركة ضد العدو الاسرائيلي الاستعماري . .

أما المعادلة الثانية ، فإن حلها ، في نظرنا ، يكون بالانطلاق من تحقيق الوحدة الوطنية التقدمية الفعالة في كل قطر عربي مؤهل لذلك. وذلك يوفر أفضل الشروط لبناء وحدة تقدمية عربية شاملة . ولكن يبقى ان نذكر على وجـه التحديد ماهية « الشكل التنظيمي » الذي يلبي هذين الشرطين ، محققاً الاهداف الاستراتيجية ، البعيدة والقريبة ، للامة العربية ..

رابعاً : الشكل التنظيمي . في اعتقادي الشخصي - وعلى ضوء تجارب الشعوب في معارك التحرير - يمكن التفكير في اقتراح تكوين « لجان الجماهير من أجل المعركة » على اساس المقومات التالية :

ا - ان يبدأ تكوينها في نطاق دول المواجهة : سوريا - العراق - لبنان - الاردن - مصر - السودان - ليبيا .. وذلك باعتبار ان منطقة المواجهـة هي (الساحة الصدامية الساخنة) للمعركة ، وهي القادرة على أن تعطي الدفع الأكبر للمعركة في هـذه المرحلة ، وأن تحرك سائر الوطن العربي للانخراط فيها .. كما ان اللجان وخاصة على مستوى « مصر - السودان - ليبيا » تؤهل للتوفيق الكامل ، بل والتطـابق ، بين مقتضيات المعركة واهداف الثورة العربيـة في الحرية والاشتراكية والوحدة الكاملة .

ب- ان برنامج العمل في هذه اللجان يمكن ان يتحدد في نقاط رئيسية تتصل بالمعركة وابرزها :

- تدعيم الجبهة الشرقية للالتحام الكامل بآفاق المعركة .

- دعم المقاومة الفلسطينية وتأمين ظهرها من كل محاولات التخريب الاستعماري الرجعي .

- دعم جبهة الثورة والصمود العربي في (السودان - ليبيا - مصر) ارتباطاً كاملا بالمعركة .

- ربط الجماهير العربية عموماً - فكرياً وعمليا - بالمعركة العربية بوصفها حربا طويلة الامد ، لن تنتهي بين يوم وليلة ، وانما هي طريق صعب تشقه الأمة العربية ، وظهرها الى الحائط فوق بحر من الدم وتحت افق مشتعل بالنار .

ج - ان اشتداد المعركة وشمولها وعمقها سوف يعمق - ويجب ان يعمق - من الرباط القومي بين الجهد الجماهيري العربي من اجل المعركة ، بحيث يزيد من اشكال التنسيق والتوحيد التدريجي الفعال بين اجزائه العديدة ، ويقود الجماهير العربية من خلال بذلها ونضالها لتأسيس الوعاء التنظيمي الكفء للثورة العربية ، وبذا يمكن ان تسفر المعركة عن بناء وعاء الثورة .

*

ان تعبئة جماهير شعبنا العربي للمعركة ، وبذل الجهد من اجل تعبئة طاقات الوطن العربي كله وبث روح الوحدة في كل جهد مبذول .. ان ذلك كله في النهاية هو التعبير الصحيح - الآن - عن الآفاق الرئيسية للثورة العربية .

وبعد ،

فان الحوار الخلاق بين المثقفين الثوريين العرب ، وتعميق التواصل الفكري فيما بينهم ، ونقل الحوار والتواصل الى القاعدة الجماهيرية العريضة من شعبنا العربي المناضل ، هو وحده الكفيل بأن تأتي هذه الصيغ معبرة في النهاية عن طموح امتنا لتأسيس مجتمعنا الحر الاشتراكي الموحد . اننا نأمل ان تكون هذه المبادرة الفذة التي تتم اليوم في ربوع سودان الثورة - سودان ٢٥ مايو - خطوة اولى ، تتلوها خطوات ، حتى تتبلور - بوحدة الفكر - الصياغة النظرية لاهداف امتنا

بحيث يتوصل الاشتراكيون العرب الى «اساس فكري» يوحد فهمهم المشكلات القومية ويبلور حوافزهم الثورية .

ولتتفتح كل زهرات الفكر الواعدة فوق الارض العربية ، ولتنطلق كل الجهود البناءة المناضلين ، تبث روح الثورة في ارجاء الحياة العربيـــة ؛ وتنطلق بالجماهير ـ في قلب الجماهير ـ تحقيقاً لآمالها الكبار في الحرية والاشتراكية والوحدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإنسان
* للعالم الفيلسوف : جان روستان
ترجمة : د. عدنان التكريتي — مراجعة : د. بشير العظمة
كيف نعصم الجنس البشري مـن التـردي البيـولوجي ؟
منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ سعر النسخة ٢٠٠ ق.س

المناقشات

(خلاصة مكثفة)

اشترك في مناقشات الموضوع الخامس كل من السادة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- كمال فاخوري (العراق)
- فوزي الكيالي (ج.ع.س)
- ميشيل كامل (ج.ع.م)
- د. أحمد عبد الحليم (السودان)
- عمر مصطفى مكي (السودان)
- عزيز السيد جاسم (العراق)
- بدر الدين المدثر (السودان)
- فاروق قدومي (فلسطين)

كمال فاخوري (العراق) :

ينبغي التفريق بين : الثورة العربية الشاملة ، وبين الوضع الثوري لقطر ما أو حركات الفكر التقدمي لوضع ما .

ان مواجهة احتياجات الثورة العربية في مرحلة من المراحل لايمكن أن تكون بالقفز على المرحلة التي سبقتها . بل ينبغي اجراء دراسة موضوعية نقدية للمرحلة التي سبقتهـــا فكراً وثورة : أين جوانب الخطأ فنجنبها ، وأين جوانب الصواب فنكملها .

ان علينا أن نتجنب الانزلاق الى رد مشكلات الثورة العربية الى سبب واحد ، أو الى عامل واحد . ثم ان الثورة ليست مجرد عملية تبديل للاشخاص او لمراكز السلطة السياسية . ان ما يحدد عملية التبديل هو ما تحدثه القوة الثورية من فعل جذري . ان هزيمة ٥ حزيران قد أسقطت كثيراً من الأوهام التي كانت تمتلىء بها الحياة السياسية العربية . كما أنها أبرزت جملة حقائق ، أهمها :

١ ـ إن الشعب العربي كان خارج المعركة ، لأنه أريد له أن يوضع خارج المعركة ، بما أدى الى الهزيمة . فالحروب لاتكسبها الا شعوب حرة واعية معبئة . لقد كان العرب في ٥ حزيران مؤلفين من جماهير ١٠٠ مليون ترانزيستور ، وكانت معظم الجيوش العربية مهتمة بكل شيء الا الاعداد للمعركة .

٢ ـ ان المواجهة العسكرية العربية مع اسرائيل لم تحدث بالمعنى الحربي للكلمة . فمن الجانب العربي كان كل شيء موجهاً الى نقيض الحرب . وكان كثير من الجيوش العربية مشغولاً باستلام السلطة . وكانت المخابرات العربية مشغولة بالمواطنين العرب . وازاء هذا الواقع لابد أن تقع الهزيمة . وفي هزيمة حزيران سقط منطق الملائكة والشياطين ، سقط منطق الأحكام الجاهلة . ان الحقيقة كل الحقيقة ليست في جانب واحد .

٣ ـ كل سياسة لاتستهدف زج الأمة العربية كلياً في مواجهة عربية شاملة ضد الامبريالية واسرائيل هي سياسة خاطئة .

٤ ـ لاثورة يمكن أن تحدث بالنيابة عن الجماهير أياً كانت النوايا .

والحقيقة الكبيرة هي أن الصراع الذي كان دائراً بين الحزبية واللاحزبية قد انتهى بسقوط شعار الحزبية الثورية . ان الحديث عن الحزبية يجب ألا يخضع للتعصب . والأحزاب تعاني من ضعف فكري ثوري عقائدي . ويتطلب ذلك المعالجة لا الالغاء . يجب ايجاد صيغ تنظيمية لتعبئة الجماهير والثورة . ان المنطق الذي يرفض الحزبية ويطالب بنشاط الشعب هو منطق خاطىء يخدم الرجعية . ينبغي تنظيم الحزبية الثورية .

فوزي الكيالي (ج . ع . س) :

ان الحياة العربية قبل هزيمة حزيران كانت أمام تيارين مختلفين : التيار الأول يتمثل في محاولة السلطة بناء التنظيم السياسي بوسائلها الخاصة . والتيار الثاني يتمثل بالعمل الحزبي وبخوض معركة مع الأنظمة الرجعية . ولذا فإن الثورة

لايمكن أن تحدث نيابة عن الجماهير ، ولا بد من الثورة بواسطة الشعب المنظم تنظيماً سياسياً .

ميشيل كامل (ج . ع . م) :

ان تعدد المنابر وحرية التعبير عن مختلف القوى الثورية والصراع فيما بينها أمر صحي وضروري ، وهو ضمان لأن تدور هذه القوى في إطار سلمي بناء. غير انه ينبغي الانتباه الى الحساسيات بين الأحزاب الثورية والوطنية في العالم العربي ، والحذر من نفور هـــذه الاحزاب من التعاون فيما بينها ، وخاصة عندما تصبح وحدها متسلمة زمام السلطة .

طبعاً ان اختيار طريق تعدد الأحزاب،أو التنظيم الواحد المتعدد المنابر يتوقف على الظروف الخاصة بكل بلد .

د . أحمد عبد الحليم (السودان) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان التنظيم الجماهيري الشعبي هو أساس بناء الثورة واستمرارها . ان تجارب الثورة العربية ،ومنها تجربة الجمهورية العربية المتحدة،توضح الأهمية الكبرى لوجوب قيام تنظيم طليعي يقود التنظيم الشعبي من الداخل . ثم ان التجربة خاصة بكل قطر عربي ، ومن الضروري ألا تفرض فرضاً على قطر عربي آخر ، بل ينبغي ترك كل بلد عربي ينظم ثورته . على أنـــه يجب في الوقت ذاته التقاء جميع التنظيمات الثورية العربية لكي تضع صيغة مناسبة ومشتركة يتم بموجبها تنظيم الثورة العربية ككل .

مرة اخرى يجب الاعتماد على التنظيم الجماهيري لأنه أبقى ، ولأن الشعب هو الذي يفرض ارادته في النهاية .

عمر مصطفى مكي (السودان) :

إن المطلوب هو البحث عن أفضل السبل والوسائل لحماية النظم التقدمية العربية ، أما الدعوة الى اسقاط هـذه النظم فمعناها الالتقاء مع أقصى الرجعية واليمين ، والالتقاء مع الصهيونية . ان ما سقط فعلاً في ٥ حزيران لم يكن هو النظم التقدمية ، بل خصومها . ولذا فان علينا أن نحذر من أحكام اليسار العربي المتطرف الذي يدعو باسم الثورة العربية الى سقوط الانظمة التقدمية .

فالدعوة الى تصفية نظام البورجوازية الصغيرة في البلاد العربية (أي العمال وصغار الكسبة) ليست دعوة ماركسية لينينية ، بل تشويهاً الماركسية اللينينية . كما أنها ليست دعوة مع الثورة العربية . ان الطبقة العاملة لاتؤهل للقيادة عن طريق التشكيك بالانظمة التقدمية ، بل بنقد هـذه الانظمة بصورة موضوعية وبأخوة مع دعمها وتحليل أوضاعها تحليلاً تقدمياً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عزيز السيد جاسم (العراق) :

ان دور الفكر في التاريخ هو دور الموجه لادور الاعـــلام ، دوالوعاء التنظيمي للثورةالعربية ،لايتحدد الا بعدتحديدوتوضيح معالم الثورة ذاتهاومفهومها ان الثورة العربية تعاني من التجزئة موضوعياً وتاريخياً ، كما أنها تتحرك في مستويات مختلفة من التنظيم خاضعة لظروف كل قطر . على أن هناك أشكالاً من التنظيم تعبر عن الخصائص المشتركة والعامة على نطاق الوطن العربي كله . ان الصراع الطبقي في الوطن العربي قد بدا واضحاً كل الوضوح ، غير أن عدم نضج الصراع الطبقي هو الذي أدى الى اختلاف التنظيمات الثورية ، والى قيام الاحزاب التي لم تحسن وضع صيغة للقاء فيما بينها . ينبغي الاعتراف بتعدد الأحزاب الثورية العربية .

واستناداً الى ذلك ينبغي قيام جبهة شعبية قومية في صيغة ائتلاف بين القوى التقدمية التي يعتبر الكفاح الفلسطيني طليعتها . كما ينبغي أن تكون الجماهير العربية هي المرتكز لهذا الائتلاف . ان اللاحزبية في حد ذاتها هي تيار حزبي بورجوازي يناقض الواقع ويحمل مشاعر الذعر والخوف من الجماهير .

بدر الدين المدثر (السودان) :

مرت الثورة العربية بمرحلة الثورة الديمقراطية الوطنية التي حملتها البورجوازية الصغيرة . وهي ذات برنامج تقدمي وطني يستهدف تصفية الاقطاع والرأسمالية المرتبطة بالاستعمار ، وصيانة مصلحة الفئات البورجوازية الصغيرة . ولكن نضال هذه البورجوازية الصغيرة سرعان ما ظل نضالاً قطرياً ، كما أن نشاطها أصبح مصلحياً . إن الحزب القومي العمالي المستند الى نضال الأمة العربية هو القادر على حسم أزمة البورجوازية الصغيرة ، والاندفاع بالنضال العربي الى تحقيق الوحدة والاشتراكية .

ينبغي كشف عقلية ونفسية وسلوكية البورجوازية الصغيرة التي تؤدي الى توقف النضال الوحدوي العربي وتطويره الى آفاق الثورة النهائية .

وينبغي الاعتراف بتعدد الحركات الثورية العربية ، لأن هذا أمر واقع . إن التهجم على الحزب والحزبية خطأ ، ولا يؤدي الى خدمة الثورة العربية التقدمية .

وما يلزمنا من الناحية المرحلية الآن هو موقف عام وبرنامج مشترك بين القوى الثورية . وإن محك الثورة العربية هو معركة فلسطين .

فاروق قدومي (فلسطين) :

إن تجربة النضال الفلسطيني المسلح يمكن الخروج منها بالنتائج التالية :

- إن العمل الفدائي هو نواة حرب التحرير الشعبية ، وإن هذا العمل الفدائي استراتيجي وليس مرحلياً .
- إن الشعب الفلسطيني يمارس نضاله دون اعتبار لأية حلول مرحلية .
- إن الوحدة الوطنية ضرورية لتطوير الثورة الفلسطينية الى حرب تحرير شعبية .
- الأرض العربية المجاورة لفلسطين قواعد ارتكاز وحماية للثورة الفلسطينية المسلحة .
- الجماهير العربية بقواها الثورية جبهة تدعم الثورة الفلسطينية وتحميها من القوى المعادية .
- إن التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني الامبريالي يفرض علينا دفع تناقضات القوى الوطنية الثورية الى الخلف في هذه المرحلة الحالية من نضالنا .

ARCHIVE

صدر القسم الأول من :
الحماسة الشجرية
لابن الشجري
هبة الله بن علي حمزة العلوي الحسني
تحقيق : عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي
منشورات وزارة الثقافة - دمشق سعر النسخة : ٧٠٠ ق.س

حديث عن فيتنام

يتناول تاريخها القديم ومجرى حرب التحرير المستمرة فيها ومحاولة الأمبريالية الأميركية تقويض أسس الثورة

مسرحية وثائقية للكاتب الألماني

بيتر فايس

ترجمة: ابراهيم وطفي

منشورات وزارة الثقافة - دمشق • سعر النسخة ٣٠٠ ق س

القسم السادس

الجيش ومكانه في الثورة العربية

البحوث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- محمد شريف مساعدية (الجزائر)
- منصور خالد (السودان)
- طارق عزيز (العراق)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجيش ومكانه في الثورة العربية

بحث : محمّد شريف مساعدية

اخواني العرب المناضلون

ان لقاءنا اليوم هنا ، وعلى ارض السودان الذي وضعته انتفاضة ٢٥ مايو ١٩٦٩ في مكانه الحقيقي من معركة الأمة العربية ، لهو حدث هام ومبادرة ايجابية تستحق منا متابعتها جميعاً ، من أجل مد جسور التعارف والتعاون والتفاعل ، واقامة حوار مجد وفعال بين الطلائع المناضلة العربية التي تخوض معركة مشتركة ، سواء على صعيد الجبهة الداخلية ، والمتمثلة في اقامة مجتمع اشتراكي متحرر من جميع علاقات الاستغلال ، او على صعيد الجبهة الخارجية ، حيث تواجه معركة مصيرية ضد الصهيونية والامبريالية والتخلف .

وفي تقديرنا ، وحتى يكون لمثل اللقاءات ما بعدها ، سواء على صعيد الفكر او المناهج او الأساليب ، وحتى لا تتحول الى مجرد حوار أكاديمي لا تتجـــاوز

اصداؤه جدران هذه القاعة ، ولا يجد طريقه الى جـذور تفكيرنا ومناهجنا في سيرنا الطويل الى اهدافنا الكبرى ، فانه يجب ان نستفيد من بعض الدروس التي تعلمناها من الثورة وهي الجدية والوضوح .

ان الحوار يفترض بالضرورة التفاعل والانفتـاح ، وألا يكون مجرد استعراض لوجهات الرأي فقط ، او محاولة لتأكيـد مواقف سابقة ، وإلا تحول لقاؤنا من لقاء مناضلين يستطيعون صنع الاحداث وتحديد مجراها ، الى مجمـــع أكاديمي لا يملك ازاءها الا تسجيلها فقط .

واذا كان يحلو لبعض مفكري الغرب أن يسموا عصرنا هـذا بأنه عصر « الثورة التكنولوجية » والغاء المسافات» ويعطونه طابعاً تكنولوجياً آلياً ، وهم على حق في ذلك ، فإن هذا لا يمنعنا نحن الذين عشنا ، ونعيش تجربة الانسان المتطلع الى الحق والحرية والعدل ان نقول : ان عصرنا هذا هو ، قبل كل ذلك ، عصر الثورات التحررية وسيادة الجماهير والشعوب .

والوطن العربي بحكم اعتبارات وعوامل جغرافية واستراتيجية وحضارية كان ولا يزال من بين الساحات العظيمة التي شهدت وتشهد اعنف المواجهات بين قوى التحرر وقوات الاستعمار والامبريالية العالمية . وقد قدم ولا يزال يقـدم أغلى المساهمات في معركة التحرر والتحرير التي تخوضها الشعوب .

ولا شك ان طبيعة أية معركة تحدد حتماً اسلحتها ووسائل مواجهتهـــا ، الكفيلة بتحقيق الانتصار فيهـا .

والطابع الشمولي لمعركة أمتنا اليوم يحدد بالتالي اسلحتها ونوعيـة القوى التي يجب حشدها .

وقبل ان نحدد دور الجيش ومكانته في التنظيم السياسي للثورة العربية، باعتباره يحتل الصف الاول في المعركة من أجل تحقيق آمال الجماهير وحمايتها ، يتحتم علينا ان نميز بين نوعين ومفهومين للجيش : الجيش الكلاسيكي ، ثم الجيش الثوري الشعبي .

وعبر كل هذا ، لا بد من الاقرار بهذه الحقيقة العلمية وهي : ان التنظيم السياسي في اي بلد هو انعكاس مباشر للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة فيه .

وعندما نراجع تاريخ نشأة الجيوش الكلاسيكية، نجد انها كانت صورة للأنظمة السياسية القائمة ، فهي وجدت اساساً كأداة تستخدمها الطبقة الحاكمة للمحافظة على امتيازاتها الطبقية والدفاع عنها في وجه كل تهديد يوجه الى مصالحها ، سواء من الخارج او الداخل . فالجيش بحكمه هذا ، وبمقدار مايكون جهاز دفاع عن النظام القائم او توسيع نفوذه ، يكون كذلك أداة ارهاب واخضاع للجماهير ومناهضة أمانيها .

مثل هذا الجيش ، منفصل عن الجماهير لاتحكمه أية عقيدة او مذهب ، ولا يدين الا لرغبات واهواء من بيدهم السلطة ، يتأثر بما يتأثر به الحكم القائم ولا يتأثر بالجماهير ، ويشكل طبقة مميزة عن الشعب وممتازة عليه . فجذوره ليست ممتدة الى تربة الجماهير ، بل هي لاصقة بسطح السلطة والحكم . واذا كان يظهر احياناً بمظهر القوة والايجابية في الدفاع عن الوطن ، الا ان هذا المظهر الخارجي يحمل في داخله عامل ضعفه ، وهو افتقاره الى الدعامة الشعبية . وهذا يعود الى كون تركيب هذا الجيش لم تراع فيه البنية الاجتماعية ، ولا يحمل عقيدة الجماهير .

ويحكم هذه النفسية المسيطرة عليه ، يشخص كل قضايا الوطن في كيانه ومصالحه . فأي انتصار يتوقف عليه ، وأي هزيمة له هزيمة للامة كلها . ويبلغ هذا الوضع حداً خطيراً لدى بعض الجيوش ، بحيث يؤدي في النهاية الى احتقار الجماهير وإهمالها وعدم اعطاء اي وزن لها في المعركة ، ويصبح دورها عبارة عن مصدر لتموين هذا الجهاز الارهابي الطفيلي الذي يعيش من عرق الشعب ، دون أن يكون أداة بناء وتقدم . وهو فوق ذلك يتحول الى مصدر خطر على الأمة ، ويصبح مجالاً خصباً للمناورات والتآمر وأداة طيعة وسهلة في متناول القوى الاجنبية الطامعة .

حتى ان هذا الجهاز المتشبث بامتيازاته يأسر الحكم القائم ويقف بينه وبين أية محاولة للانفتاح على الجماهير ، وذلك خوفـــاً على امتيازاته التي سيفقدها حتماً في المعركة .

وأكبر مظهر يتبين فيه خطر هذا الوضع ، هو انه عندما يتعرض الوطن الى تهديد خارجي ، نصطدم بتلك الحقيقة القائلة ، الا وهي صعوبة ايجاد التنسيق والتكامل في المعركة وتوحيدها بين الجيش والجماهير ، بحيث يبقى هنـــاك فراغ رهيب بين الجيش المقاتل وبين الجبهة الداخلية التي تمثلها الجماهير . فاذا دفعنا الجيش الى المعركة فان الجماهير تبقى معزولة ومتفرجة .

وهذا النوع من الجيوش الذي يفتقر الى الوحدة السياسية ويعتمد على العلاقة النظامية وحدها ، يعلم الشعوب اقسى وأبشع درس عن فقـــدان الثقة بالنفس والاتكال على الغير في القضايا التي تمس مصيرها ووجودها .

وبالرغم من ان كثيراً من البلدان التي اختارت هذا الأسلوب في التنظيم حاولت ان تقلل من هذه العيوب والنقائص ، وتخفف من هـــذا الانفصال بين

الجيوش والجماهير ، وذلك بالاجوء الى الاجراءات الاستثنائية التي تتخذها اثناء الحرب ، والنص في دساتيرها على تعبئة جميع موارد الأمة وجعلها في خدمة الحرب فان هذا الاجراء المؤقت ، وهذا التكامل المتضمن في الدستور وحده ، لا يمكن أن يكون بديلا لذلك التلاحم والتفاعل العملي ، الذي يكون اساسه الاحساس بالمصير المشترك والقائم على وحدة الفكر والعقيدة .

ورغم أن هذا النوع من الجيوش لا يهمنا كثيراً في بحثنا هـذا ، لأنه يتناقض كل التناقض مع المفاهيم الثورية ، فان هذه النظرة ضرورية لتوضيح أي نوع من الجيوش نريده ، ليكون حقاً قوة دفع ودفاع ، وأداة حماية وأمن للثورة العربية الشاملة التي نطمح إلى تحقيقها .

وان ما يهمنا في موضوعنا اليوم ، هو الجيش الثوري الشعبي ، الذي هو وليد الثورة وجزء منها، وليس جسماً غريباً وافداً عليها ، ولهذا يجب سلفاً تحديداً مفهومنا للجيش الثوري الشعبي ، قبل البحث عن دوره ومكانته في التنظيم السياسي للثورة العربية .

وقد يبدو من الصعب إعطاء تعريف جامـــع ودقيق لمفهوم « **الجيش الثوري الشعبي** » لأنه يختلف من ثورة الى أخرى ، ولكن هذا لايمنعنا من محاولة ايجاد صيغة واضحة تكون منطلقاً لنا الى مفهوم مشترك .

ويمكننا تعريف **الجيش الثوري الشعبي** بأنه : **القوة الطليعية المنظمة عسكرياً ، النابعة من وسط الجماهير الشعبية ، والمسلحة عقائدياً ، والمتشبعة بمبادىء الثورة والمجندة لتحقيق أهدافها والدفاع عنها .**

وإذا قبلنا هذا التعريف للجيش الثوري الشعبي ، فإن مهمته وتركيبه

الاجتماعي يتنوع في مرحلتين مختلفتين ولكنهما متتاليتان ومتواصلتان وهما : مرحلة الثورة التحررية ، ومرحلة الثورة الاشتراكية . وهذا التمايز ناتج عن المعطيات التي تقدمها كل مرحلة .

ففي مرحلة الثورة التحررية ، يتميز هذا الجيش بكونه يتألف من متطوعين ، ومن هم أكثر استعداداً للتضحية وبذل الأرواح عن طواعية واختيار في سبيل انتصار المبادىء التي آمنوا بها ، أي من أولئك الذين تطهرت أرواحهم وتعلقت قلوبهم بهدف واحد ، هو الانتصار أو الاستشهاد . وجنوده لايحملون في معركتهم سلاحهم فحسب ، بل عقيدتهم ووعيهم بمبادىء وأهداف الثورة .

وأرضية هذا الجيش الصحيحة هي الجماهير ، التي ينطلق من وحي ارادتها ، محققاً لأهدافها ، فهي تمده وتحرسه ، ولقف وراءه كحارس يقظ مسلح في كل مكان .

أما قيادته فليست كتلك القيادات الكلاسيكية الأسيرة لمعلوماتها وأساليبها الأكاديمية ، وإنما هي تمتاز بالقدرة على المبادرة والابتكار والخلق في أساليب القتال ، والتكيف السريع مع الحقائق والمعطيات الجديدة والعمل المتواصل على ربطها بالتشكيلات النظامية على مختلف مستوياتها ، وتستفيد من الرأي والحكمة أينا وجدا داخل القوات المقاتلة .

كما يتميز هذا الجيش بالطاعة والانضباط الدقيق ، الناتجين عن الاحساس العميق بالمسؤولية والولاء الصارم للثورة ، كما يتميز بالحرص الشديد على الاحتفاظ بعلاقات ثقة لا تنفصم مع الجماهير ، يشاطرها كل صعوبات المعركة ، لا يترفع عنها ولا يمن عليها .

فالجيش الشعبي الثوري يشخص في سلوكه حقيقة القيم الثورية والاخلاقية

التي تطوع للدفاع عنها ؛ فهو بهذا يحقق مع الجماهير وحدة رباطها الألم والدم .

واسمحوا لي أن أوضح لكم ، أيها الأخوة المناضلون ، انني هنا لا أرسم صوراً ونماذج مثالية ، وانما أنقل لكم تجارب وحقائق عشناها في لظى المعركة ، وعرفنا فيها مرارة الهزيمة وحلاوة الانتصار .

فقد كانت هذه المبادىء والقيم ، تدفع جنودها للتسابق إلى التضحية والاستشهاد ، ملحقين الهزيمة بجيش استعماري يضم أغنى الخبرات العسكرية والعالمية .

كما أن هذه الأمثلة ، يمكننا استخلاصها من تجارب ثورية عديدة في العالم ، وخاصة ثورة اكتوبر السوفيتية ، والمسيرة الطويلة للصين ، وكوبا ، وثورة الفيتنام التي لازالت تشتعل الى يومنا هذا .

وبناء على التعريف الذي قدمناه لمفهوم الجيش ، واستناداً الى التجربة التي عشناها ، فإن كل هذا سيمكننا من تقديم تصور واضح لمكانة الجيش في التنظيم السياسي للثورة العربية .

وأود أن استدرك سلفاً ، وبدون أن يعني هذا ، تفضيل دراسة تجربة عربية على أخرى ، رغم الانعكاسات التي يضيفها كل نظام سياسي في اقليم من أقاليم أمتنا العربية ، واختلاف الظروف التي نشأ فيها كل جيش ، والمراحل التي مر بها في تطوره من حيث مجابهته للصعوبات الداخلية أو للأخطار الخارجية ، فان أقرب الجيوش الى موضوعنا هذا ، والذي يمكن من خلال تقييمه تكوين فكرة واضحة نهتدي بها في دراستنا وتحليلنا لايجاد صيغة ملائمة ، وتحديد مكان الجيش في التنظيم السياسي للثورة العربية ، أرى أن هذا الجيش : هو جيش التحرير الوطني بالأمس القريب ، والجيش الوطني الشعبي في الجزائر اليوم .

ودفعاً لكل التباس بالتحيز لتجربة معينة ، أقول إن الظروف قد سمحت لي أن أعيش الثورة الجزائرية في الميدان ، واستوعب حقيقتها واستخلص كل مافيها من ايجابيات وسلبيات .

وبدون أن نتقيد بتجارب ثورية مستوردة ، وبدون أن نطبق تطبيقاً آلياً التجارب التي مرت بها الشعوب الأخرى ، وبدون أن نتيه في تحليلات لفلسفات قد لا تعكس واقعنا الاجتماعي والحضاري ، فإن التجربة الجزائرية العربية الأصلية ، يمكن أن تكون لنا نقطة انطلاق في تحليلنا ، لأن أرضها وشعبها بتاريخه ومقوماته يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأقاليم العربية الأخرى .

لهذا نرى من الضروري أن نضع بين أيديكم وندرس معاً بعناية ، هذه التجربة التي تعلمناها في الميدان ، إيماناً منا بأن رصد هذه التجربة وانتصاراتها ليس كسباً للجزائريين وحدهم ، بل هي ملك للامة العربية كلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها الإخوة المناضلون .

ان تجربة الكفاح المسلح في الجزائر جسمت الانتقال من مرحلة النضال السياسي الى مرحلة الكفاح ، وكانت تهدف بذلك أساساً الى القضاء على وضع قديم وخلق وضع آخر جديد ، ولذلك كان هذا الانتقال مصحوباً بعملية صهر حقيقي وتحول جذري على مستوى الفكر والعمل والتنظيم معاً .

وكان ذلك بمثابة تفجير جديد للحركة الوطنية حقق لها استمراريتها من جهة، وربطها بحلقات الكفاح السابقة عبر حقب وأجيال ، وحمل معها، من جهة ثانية،سمات جديدة ، وابرز خصائص ثورية تجلت في وحدة الهدف ووحدة الاسلوب .

ومنذ اللحظة الأولى وضع الكفاح من أجل التحرير في خطه الصحيح ،

وجرت التصفية المطلوبة على أساس مقياس واضح بين المستعدين لخوض المعركة المسلحة لمحاربة الاستعمار حتى النصر، وبين المتخاذلين والانهزاميين والمترددين الذين يفضلون العمل في دفء المناخ السياسي ويحتمون بمواقعه الحصينة.

ونقول هنا، بأن الانتصار الأول الذي سجلته طلائع الثورة المسلحة تمثل في تحقيق تلك الرؤية الواضحة للأسلوب وهدف النضال، وفي تجسيم تلك الوحدة الوطنية الحقيقية التي قادت معركة سبع سنين ونصفاً، والتي عبرت عن خطوط عملها الكبرى باسم جبهة التحرير الوطني في بيانها الواضح المختصر الذي وجهته الى الشعب الجزائري في ٢ نوفمبر ١٩٥٤.

والانتصارات التي توالت بعد ذلك ثمرة لمجموعة من الخصائص الجوهرية، التي تميز بها هذا الأسلوب، وتميز بها المكافح في صفوف جيش التحرير الوطني. كما كانت جزءاً قيماً للاخلاقيات الثورية العالية التي كانت توجه سلوك المناضلين في معركة التحرير مدنيين وعسكريين على السواء. وليس بوسعنا في مثل هذه العجالة تفصيل القول في تلك الخصائص المميزة، ولكننا مع ذلك سنذكر بعضاً منها باختصار.

ان ايمان طلائع نوفمبر بالثورة المسلحة كأحسن وسيلة لتحقيق تطلعات الشعب الجزائري الى الاستقلال، والى مايتبعه من تغيير جــذري لواقع تلك المرحلة، وروح التضحية في سبيل الوطن والثقة العميقة في قدرة الشعب على تغيير الواقع الراهن، هي كل رأس مال الطليعة الثورية في فاتح نوفمبر ١٩٥٤.

لقد أقدموا على اعلان الثورة، وما كان بـين أيديهم من سلاح في تلك الفترة الا قدر ضئيل لا يستحق الذكر، ولا سيما حين يتعلق الأمر بمشروع

ثورة تحريرية شعبية ، لا رحلة صيد . ولكن روح التضحية التي يتمتعون بها قضت فيهم على كل بواعث الخوف من مفاجآت المعركة ، وقضت فيهم على الرهبة من تفوق العدو ، والخشية من تباطىء الجماهير الشعبية وتأخرها في الاستجابة لنداء الثورة .

كان ما في قلوبهم من رصيد الايمان بالثورة، وبأهدافها ، ومن الاستعداد للتضحية ، ومن الثقة بالشعب أقوى من التحفظات التي أظهروها في البدء أولئك الذين لم يفهموا روح الشعب ، وكانت أقوى من الامكانيات التي يملكها العدو الفرنسي ، وأقوى من الضعف البادي في أكثر من جانب في حياة الشعب . وقد عبروا عن ذلك التصميم بالجملة الأخيرة من بيان نوفمبر ١٩٥٤ بصورة واضحة ومباشرة وحين قالوا : اننا قد وهبنا كل ما عندنا للوطن ، وهو حياتنا .

وبدأوا الكفاح المسلح وهم على وعي تام بالظروف المحيطة بهم في الداخل وفي الخارج . وكانوا أيضاً على وعي كامل بأن الشروط اللازمة لخوض حرب تحريرية ، تبعاً لحسابات العسكريين الكلاسيكيين ولمنطق السياسيين التقليديين ، غير كاملة ، إذا لم نقل بانها معدومة تماماً . بيد أن الحاسة الثورية لدى طلائع الكفاح المسلح في تلك الفترة ، أرشدتهم في زحام العراقيل والعقبات الى حقيقة هامة ، وهي أن الثوريين الحقيقيين هم الذين يخلقون تلك الشروط اللازمة لخوض المعركة ضد العدو ، ويخلقونها من قلب المعركة نفسها ، إذ لا يمكن – بل ان هذا ليس من طبيعة الثورة أصلاً – ان توضع كل الشروط بين أيديهم للوهلة الأولى كهبة تأتيهم من خارج الميدان . وبعبارة أكثر تبسيطاً ، فإن التنازل عن الشروط القبلية ، والانطلاق الى ميدان العمل الثوري بالعقيدة وحدها يعني منذ

البدء تملكاً كاملاً لمصدر كل الشروط المطلوبة ، بل كل أدوات المعركة : وهي الاعتاد على النفس . وليس هذا من قبيل الانبهار بالجانب الرومانسي في الثورة ، كما انه ليس ضرباً من اضفاء الجلال على ما يفتقر في واقعه الى هذه الخاصية ، بل ان الاعتاد على النفس كأداة سابقة عن كل أدوات وأسلحة المعركة في الثورة التحريرية خلق من الانتصارات في غير واجهة واحدة ما لم تستوعبه بعد أجود أساليب التعبير والتحليل .

وبالفعل ، كان شعار الجندي في جيش التحرير الوطني من الانطلاقة الأولى حتى الاستقلال هو الاعتاد على النفس في توفير شروط العمل الثوري ، والاعتاد على النفس في استجماع أسباب النصر ، وتحول هذا الشعار بالتدريج خلال المعركة المسلحة الى خاصية ثورية طبعت الوحدات والأفراد المكافحين جنوداً ومدنيين فاتخذوا من أنفسهم حماة لما بين أيديهم من أسلحة ، وظلوا ينظرون اليها دائماً على أنها مجرد وسيلة لاقتناص سلاح جديد من العدو نفسه . ولم يكن في تقدير المكافح في صفوف جيش التحرير ان الغرض من توفير الأسلحة وتحسين وسائل الدفاع والهجوم ، وتطوير أساليب المواجهة ، هو من أجل حماية النفس بالدرجة الأولى ، بل ان ما يحتل الصدارة في تقديره هو ضمان استمرار الثورة وتدمير العدو لتحقيق الاستقلال .

فاذا كان الجندي في الجيوش الكلاسيكية - عادة - يضع ثقته أساساً في الرشاش والمدفع ، فان الجندي في الثورة التحريرية يضع ثقته في شخصه بالدرجة الأولى ، ويستمد قوته طوال مسيرة الكفاح من عقيدة وأهداف الثورة نفسها ، ومن مجموع العناصر التي تشكل قوتها ، وهو نفسه أحد تلك العناصر ، وخاصية الاعتاد على النفس هذه عززت صفوف الثورة وأعطتها طاقة ظلت تتجدد وتنمو

وظلت تدفع المعركة في طريق التطور والتفوق والانتصار. انها أحد الشروط التي كانت تطلب من المنخرط الجديــــد في كتائب جيش التحرير ان يهجم على ثكنات العدو ومعسكراته ليقتنص منه قطعة السلاح التي يخوض بها المعركة، ثم يأتي للانخراط في الوحدة المقاتلة.

وكشاهد عيان، اؤكد لكم أن أغلب الأسلحة التي انتصرت بها الثورة الجزائرية اقتنصت من العدو، وهكذا كان الاعتماد على النفس في أوسع وأعمق معانيه أحد المقومات الأساسية لجيش التحرير الوطني وللثورة الجزائرية.

وجيش التحرير الوطني تكوّن بالتدريج من مجموع المناضلين الواعين المؤمنين بعقيدة الثورة ومبادئها وأهدافها، والمندفعين الى ميدان التضحية بدون تحفظ، وبالتزام غير مشروط الا بتحقيق الهدف المشترك. أي ان الانضمام الى صفوف الثورة كان على أساس التطوع والاقتناع الكامل بضرورة تحرير الوطن بالسلاح. وبفضل هذا الانخراط الاختياري جمعت الثورة حولها - بواسطة الاعتماد على النفس - عناصر من الأنصار الحقيقيين الذين بلغوا الحد الأقصى من الايمان والالتزام، وبنت عملها في جميع مراحلها التالية على أساس متين لم تؤثر فيه متاعب الرحلة الطويلة وأخطارها وما يترتب عليها من صدمات نفسية وخيبات أمل.

ثم ان التركيب الاجتماعي للمحتوى البشري في جيش التحرير الوطني حفظ للثورة احدى الخصائص الهامة وهي «الشعبية»، وأمدّها بقدرة هائلة: قدرة على تشكيل العناصر التي تنخرط فيها، لإعادة صياغتها ذهنياً ونفسياً وسياسياً وعسكرياً في قوالب الثورة.

فمها تكن المواقع الاجتماعية للعناصر الجديدة التي تنضم الى الثورة، فإن

الانتماء الكامل الى صفوف المعركة على أساس الكفاح تحت راية جبهة التحرير الوطني ظل مشروطاً، طيلة حرب التحرير ، بالتخلي عن كل الالتزامات الأخرى غير الالتزامات التي تتطلبها الثورة .

ولذلك لم تستطع أية فئة اجتماعية معينة ان تؤثر في الثورة تأثيراً يتنافى مع مسيرة الثورة .

وهذه التغطية الكاملة التي حققتها الثورة المسلحة بالنسبة لمحتواها البشري بعد فترة قصيرة من اندلاعها ، ادخلت الرعب في قلب العدو الذي راح يضع استراتيجيته على ضوء هذا الانتشار الأفقي لعمل الثورة وعلى ضوء عمقه .

وكما حققت الثورة المسلحة منذ البداية تغطية كاملة بالنسبة للعامل البشري ، فقد حققت كذلك تغطية للقطر كله ، وأصبح مجموع التراب الوطني ميداناً لمعارك التحرير . وبذلك استكملت الثورة الجزائرية الشرطين الأساسيين لإحراز النصر على العدو ، وهما : الشعب كله ورقعة الأرض كلها .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ان توفر هذين الشرطين في الثورة الجزائرية ابرز خاصية جديدة وهامة غرست في نفس كل مكافح في صفوف جيش التحرير الوطني عسكريا كان أم مدنياً . تتجلى هذه الخاصية في الاستعداد الدائم لدى المكافح لمواجهة كل مفاجآت المعركة ، واندماجه في جو الحرب بحزم كامل ، مبعثه الشعور بأن الحرب التحريرية هي في كل مكان ، وبأن الثورة لاتبني من حولها خطوطاً خلفية آمنة تحتمي بها الكتائب المقاتلة في وقت الشدة ، وان منطق الثورة التحريرية لايقر وجود مناطق جغرافية مسالمة ، ولا جزءاً من الشعب معزولاً متفرجاً خلف أسوار المعركة الوطنية . وهذه الاستراتيجية جعلت كل افراد الشعب يعيشون الحرب ، كما جعلت العدو يخضع لهذا الواقع .

ان العنصر الاساسي في استراتيجية الثورة التحريرية هو نقل المعارك الى كل مكان ، وتوسيع ميدانها . فقد عرفت ارض فرنسا نفسها أنواع العمليات الفدائية في قلب عاصمتها باريس . وذلك ما كان يقوم به جيش التحرير الوطني . لقد جر قوات العدو الى كل نقطة من مساحة الوطن ، وكان هو الذي يفرض ارض المواجهة ويخلق خططها من طبيعة الاقليم نفسه ، ومن طبيعة الاسلحة التي بين يديه ، وتبعاً لقواته العددية . فلم تكن العوامل الجغرافية ولا تنوع الاقاليم في الجزائر بقادرة على ان تلعب دور العائق في انتشار الثورة المسلحة ، بل ان تنوعها هذا تحول في يد الثورة الى احد الاسباب الرئيسية في تفوقها على العدو .

ايها الاخوة المناضلون

ان بيان اول نوفمبر ١٩٥٤ كان متواضعاً جداً ، فلم يكن في وسع الثوار آنذاك ان يقدروا الحساب سلفاً لجميع متطلبات المعركة ، بوضع تفسير شامل للثورة بصورة تنبؤية .

وفقدان نظرية متكاملة للمعركة المسلحة عندنا يعتبر نقطة ضعف هامة . وهذا يرجع الى ضعف العنصر الفكري في حركاتنا السياسية والاجتماعية ، بفعل الاكتساح والتغريب الفكري الذي ظلت تمارسه السلطات الفرنسية على الشعب بواسطة التجهيل المنظم وافقار الشخصية المعنوية في مقوماتها القومية والفكرية الدينية ، والقضاء على كل معالم تراثها الثقافي والحضاري .

وكانت الافكار المتكاملة الخلاقة تنحصر فيما تلقنه لنا ممارستنا للكفاح . ومع ذلك استطاعت الاطارات المتوسطة ان تفرض مواجهة العدو في جبهات

القتال ، والعمل السياسي بالتوعية والتوجيه في صفوف الشعب ، وخلق الشروط الضرورية لاستمرار النشاط اليومي للمواطنين في مختلف مجالات الحياة ، مع ربط هذا النشاط دوماً بعجلة الثورة التحريرية ، مع النشاط السياسي على الصعيد الدولي .

وهكذا تشكلت المجالس الشعبية التي كونتها الثورة في الارياف والمدن منذ عام ١٩٥٦ — اثر مؤتمر وادي الصومام — التي كانت بمثابة اعلان عن نهاية الارتباط بالادارة الاستعمارية ، وبداية حقيقية لممارسة الشعب لتسيير شؤونه بنفسه .

ان المهام الاجتماعية والاقتصادية والادارية والقضائية التي كانت هذه المجالس تقوم بها خلال حرب التحرير ، هي أروع تطبيق لمبدأ السلطة الجماعية ، وكانت نواة لحكم ثوري شعبي في ظل مجتمع اشتراكي .

ARCHIVE

والواقع انه قد اصبح من العسير ، وخاصة بعد تجربة معارك الشمال في ١٩٥٥ ، وبعد مؤتمر الصومام في آب ١٩٥٦ ، ان نرسم الفواصل بين دور جيش التحرير ، ودور الشعب في الارياف والمدن .

فالعمل الثوري كان وحدة متكاملة يتحقق بفضل سلسلة من المبادرات على مستوى الفرق المقاتلة والاجهزة السياسية والمجالس الشعبية على السواء . فالتموين وايواء المجاهدين واعداد الطعام ، وتتبع تحركات العدو ، والاشراف على شؤون المواطنين ، واعانة المحتاجين والمتضررين من الحرب ، ومساعدة الفلاحين في الحرث والحصاد ، والتعليم ، وجمع التبرعات والاشتراكات وتخزين المؤونة ، والفصل في الخصومات ، والقيام بحملات الدعاية ، وتوعية الجماهير ،

ونقل الاخبار والمعلومات ، وتعليمات القيادة ... كل هذه المهام كانت مشتركة بين اجهزة الثورة عسكرية ومدنية ، وكانت ضمن النظرية الثورية المتكاملة التي ولدت في قلب المعركة .

وهكذا كان دور جيش التحرير في الثورة الجزائرية متعدد الجوانب . فقد قاد مجموع الشعب في معركة التحرير ، وقام بعمليات التدمير الشاملة للوجود الاستعماري ، كما قام بمهام البناء في مرحلة الثورة المسلحة نفسها .

الا ان مرحلة الاستقلال – وهذا تطور طبيعي – طرحت علينا مفاهيم جديدة فيما يتعلق بالثورة ودور ادوات تطبيقها ، من تنظيم سياسي ، وادارة ، وجيش ، والتي يجب لكي تنجح في مهمتها أن يكون عملها منسجماً : اي حزب ثوري يقوم على وحدة الفكر والهدف ، وادارة فعالة منسجمة مع سياسة الثورة ، وجيش يكون الدرع الحامي للثورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فبالنسبة للتنظيم السياسي ، كان من الضروري البحث عن صيغة اخرى تكون منسجمة مع المبادىء والاهداف التي تتطلبها المرحلة الجديدة من الثورة . وكان شعار « الوحدة الوطنية » ضروريا لتعبئة كل الطاقات الوطنية في معركة الاستقلال السياسي ، ولكنه لم يعد قادراً على الاستجابة لمتطلبات مرحلة الثورة الاشتراكية ، ولذا كان لابد من القيام بعملية فرز صحيحة وسليمة ، وتطهير صفوف الثورة من التناقضات والتخلي عن العناصر التي لاتلتزم بالاشتراكية ، والتي لم تستطع ان تتطور وتتفاعل مع تيار الثورة العميق . فالثورة في حاجة الى محرك سياسي ، ومحركها هو الحزب الذي لابد ان تكون بنيته متجانسة وسليمة حتى يستطيع قيادة الثورة بكل نجاح .

وبالنسبة لميدان الادارة ، فانه كان من الضروري القيام بعملية مزدوجة

أولاً : العمل على تخريب الجهاز الموروث عن الاستعمار بقوانينه وهياكله ، والقيام بتحويل جذري في عقليات العناصر الادارية .

يستحيل توجيه ومراقبة ادارة لا تطابق هياكلها ومكوناتها الاجتماعية والبشرية سياسة الثورة مطابقة تامة ، ولأنه أصبح من غير المعقول استخدام أدوات وعقليات قديمة في تنمية مجتمع جديد . ويستحيل الانطلاق من اساليب وهياكل تشكل جزءاً من الادارة الاستعمارية الرأسمالية ، وتتعارض كل التعارض مع اختياراتنا الأساسية ، فهذا فالجهاز الاداري كان قــد استخدمه الاستعمار أساساً كأداة لارهاب الجماهير ، وكبت ارادتها في التطور والتقدم ، وعزلها عن كل احتكاك بالحكم والسلطة .

ثانياً : وضع أسس دولة شعبية في مفاهيمها ورجالها ، تخدم أهـداف المجتمع الجديد ، وجعل الادارة أداة لخدمة الجماهير وليس سلطة فوقها . وهـذا باختصار ما تمثله المجالس الشعبية البلدية ، والمجالس الشعبية للولايات ، والتي تقوم بمهام مختلفة في تنمية البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً على غرار المجالس الشعبية التي أسست أيام معركة التحرير ، والتي كانت تمثل خطوتنا الأولى نحو بناء الدولة الشعبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبالنسبة للجيش ، فان رصيــده من تجربة الكفاح المسلح رشحه مرة أخرى لمواصلة نضاله في المرحلة الثانية للثورة .

وبطبيعة الحال فإن أهداف الثورة واساليبها في هذه المرحلة تختلف عن اساليبها وأهدافها في التحرير .

ولكي يقوم الجيش بمهامه الجديدة ، كان من الضروري أن يتكيف مع طبيعة المرحلة التي نجتازها .

وقد طرأ على جيش التحرير الوطني ذلك التحول المطلوب بعد الاستقلال، فانتقل الى جيش وطني شعبي . ولم تكن عملية التحويل هذه سهلة ، بل احتاجت الى رؤية واضحة لأهداف الثورة في الحاضر وفي آفاق المستقبل ، وفهم شامل لدور الأجهزة المختلفة في معركة بناء الاشتراكية ، وتطلبت كذلك تقديراً سليما لمكانة الجيش وموقعه في مجموع العمل الثوري .

ونوع آخر من الصعوبات ، اعترض سبيل الثورة في عملية تحويل جيش المعارك المسلحة ، الى جيش يحمي مكاسب الاستقلال ، ويساهم في البناء والتطبيق الاشتراكي ، فلقد كان على الثورة ان تعمل لرفع عملية التحويل الى مستوى تتكامل عنده الخصائص السابقة لجيش التحرير ، وخبراته التي اكتسبها من المعركة مع معطيات المرحلة الجديدة وشروط مواجهتها ، حتى تسلم عملية التحويل من عيبين كلاهما يشكل خطراً على الجيش وعلى الثورة بالخصوص . أحدهما الاكتفاء بالانتقال الشكلي الى المرحلة الجديدة ، بنفس العتاد المادي والفكري وبنفس المستوى الفني . وثانيهما المبالغة في التجديد بالجري وراء الفنيات الحديثة وتقديم الاعتبارات العسكرية وتقاليدها الكلاسيكية على المهمات الاساسية لهذا الجهاز . لذلك فان الخوف من الوقوع في مثل هذا الخطأ دفع الثورة الجزائرية بعد الاستقلال الى الحرص الشديد على توفير المناخ الملائم والشروط الضرورية حتى تتم عملية التحويل في اطارها الحقيقي وفي الاتجاه المطلوب .

والخطوة الأولى التي تمت في عملية تحويل جيش التحرير تمثلت في نقل هذا الجهاز من الوضع الذي كان فيه كوحدات وفيالق على مستوى الولايات، حسب مقتضيات الحرب التحريرية، الى وضع جديد كجيش عصري منظم. وانتقل الى هذا المستوى دون أن يتزلق في طريق الجيوش الكلاسيكية، بحيث ينغلق على نفسه ويتيه في الاعتبارات الفنية، ودون ان يصبح اسيراً للشكليات العسكرية التي مابرحت تعاني منها الجيوش التقليدية، وذلك بفضل الشروط التي روعيت في هذا التحويل. وأفسحت الثورة مجالاً واسعاً للجيش الوطني الشعبي ليساهم في جميع النشاطات الوطنية، وهيأت لهذا الاسهام وسائله الضرورية. فإجراء عملية الفرز كان امراً لازماً لتخليص جهاز الجيش من عناصر فقدت قدرتها على التكيف مع التحولات الجذرية في المرحلة الاشتراكية.

لقد عجز البعض عن مواصلة الكفاح لأسباب صحية، ذلك لأن قساوة معركة التحرير ومتاعبها الكثيرة انهكتهم وامتصت ما لديهم من طاقة على العمل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبالنسبة للبعض الآخر، فإن فقدان القدرة على التكيف مع المرحلة الجديدة كان مصدره سوء فهم طبيعة الثورة، ونقص تصوراتهم عن مهامها في مرحلة الاستقلال، إما بسبب منابتهم الاجتماعية وانتماءاتهم الطبقية، فتتناقض مصالحهم مع استمرار العمل الثوري، واما بسبب خضوعهم لمفاهيم سياسية وعقائدية ترسبت في أذهانهم فبرزت على السطح بعد معركة التحرير.

ولقد استطعنا بفضل عملية الفرز هذه، ان نحفظ للجيش الوطني طابعه الثوري الشعبي، لتظل علاقته بالجماهير الشعبية متينة تتسم بطابع الأخذ والعطاء، وبالنضال المشترك لتحقيق الأهداف المشتركة. كما كانت العلاقة على هذا النحو في

حرب التحرير . إن الشعار الذي رفعه جيش التحرير هو ان « صديقه الوحيد هو الجماهير الشعبية » ، بل هي مصدر حياته ووجوده .

ولما كانت عملية الفرز شرطاً لإنجاح التحويل ، فان برامج التكوين الفني والثقـــافي والسياسي للجيش الوطني الشعبي ضرورية هي الاخرى ، إذ لا يمكن مواجهة المعركة بدون سلاح . ومن ضمن اسلحة الجيش في المرحلة الجديدة ، الثقافة والكفاءة الفنية والوعي السياسي .

لهذا كان لزاماً علينا ان نجعل تعليم افراد الجيش الوطني الشعبي اجبارياً ، والتدريبات العسكرية على مختلف الأسلحة وفي جميع المستويات احدى النقاط الرئيسية في برنامج العمل . وتكتسي الجيش الوطني الشعبي هي مدارس وورش للتكوين والتعليم ورفع مستوى التقنيات الحديثة في اطـــار البرنامج العام للثورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتأكد هذا الطابع الخاص ، الذي يمتاز به الجيش الوطني الشعبي ، بالفهم العميق لمطالب الثورة الاشتراكية ، حين فتح الباب واسعاً أمام الأجيال الصغيرة لكي تصعد فتنضم الى الصفوف لتواصل الكفاح ، فتضمن استمرارية الثورة وتضمن لهذا الجهاز حيويته وقدرته على التجديد . ولقد طبقت القيادة العامة للثورة مبدأ الاستخلاف ، والمعارك المسلحة مازالت في اوجها ، حين جمعت ابناء الشهداء وابنـاء الفقراء من العمال والفلاحين فوضعتهم في مدارس الثورة منذ الصغر ، فكانت هذه الانطلاقة تمهيداً للخطوات الواسعة التي تمت في عهد الاستقلال ، والتي شملت اغلب ابناء الشهداء ، وقسماً كبيراً من أبنـــاء العمال والفلاحين .

والنتائج الايجابية التي أثرتها تجاربنا السابقة في هذا الباب دفعت الى اصدار قرار الخدمة الوطنية .

وبموجب هذا القرار فإن الثورة تدعو الجيل الصاعد الى القيام بواجب الخدمة العسكرية بمفهومها الثوري ، في اطارها الواسع الذي يشمل التدريبات على الاسلحة المختلفة ، والتكوين المهني والتعليم ، ومحو الامية في الاتجاهين معاً : محو الأمية في اوساط الجماهير ، ومحو الأمية في اوساط المجندين انفسهم ؛ اولئك الذين فاتتهم فرصة الدرس .

ويرمي مبدأ الخدمة الوطنية كذلك الى تعميق خاصية « الشعبية » في الجيش الوطني ، ذلك لأن المصدر الرئيسي للمتطوعين والمنخرطين في مدارس ومراكز هذا الجيش هي الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين الفقراء ، وفتح الطريق بينهما بهذا الشكل يعني امتلاك الجيش لأغنى ينابيع الثورة ، بما يحميه من الأنزلاق فيما انزلقت اليه الجيوش التقليدية حين ادارت ظهرها لشعوبها وعاشت على حسابها كأجسام طفيلية غريبة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الطريق المفتوح بين الجيش الوطني الشعبي وبين القاعدة الجماهرية يحقق تفاعلاً كاملاً بين الطرفين لصالح الثورة على غرار ما تم خلال معركة التحرير . فالجيش يظل على صلة وثيقة بقاعدته الشعبية ، والمنخرطون الجدد يتحولون في اطار الجيش الى اداة منظمة وواعية تتعلم من ماضي الثورة ما يجعلها دائماً على استعداد للدفاع والتضحية عندما تتطلب الظروف ذلك .

والتوعية السياسية للجيش الوطني الشعبي هي أحد العوامل الرئيسية التي تجعل عملية التحويل نفسها كاملة وبجدية . ذلك لأن نجاح اي جهاز ثوري في المهام التي يقوم بها ، سيظل مشروطاً بالفهم الصحيح لاختيارات شعبه الأساسية ، وبالرؤية

الواضحة لمجال عمله ، وعلاقاته بالأجهزة الثورية الأخرى . ولكي تكتمل ابعاد التجربة الثورية الجديدة للجيش الوطني الشعبي فقد انشئت مصلحة خاصة ، وهي المحافظة السياسية ، مهمتها الأساسية توعية الجيش وتكوينه وتسليحه سياسياً وعقائدياً، وشرح وتبسيط مبادىء حزب جبهة التحرير الوطني وتعميقها في نفوس الجنود والضباط في جميع الوحدات .

ودخل الجيش الوطني الشعبي معركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية من بابها الواسع،فشرع يبني ويغرس ، ويقود الحملات التطوعية جنباً الى جنب مع العمال والفلاحين .

لقد ساهم الجيش الوطني في بناء المدارس ، والقرى ، واستصلاح وتعمير الأراضي البور ،وقام بحملات التشجير ، وشق الطرق ، وحفر الآبار ، وبنـاء المستشفيات ، وقام بجولات عديدة عبر انحاء الوطن للمساهمة في التوعية والتوجيه بواسطة الأفلام التربوية والتثقيفية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الانصهار الكامل للجيش الوطني الشعبي في بوتقة الثورة ، وهذا الالتحام الحقيقي بالقواعد الشعبية ، وهذا التحول الصعب والسريع في نفس الوقت من مواقعه في قلب معركة التحرير الى مواقعه في قلب معركة البناء وتطبيق الاشتراكية . هذه كلها شروط كانت تهدف الى ضمان لحم الجيش الوطني الشعبي بمجموع الجهود الوطني المبذول في ميدان البناء .

أن تقديرنا لدور الجيش في التنظيم السياسي للثورة العربيـة في جميع مجالاتها ، وايماننا بضخامة هذا الدور ، وتعدد أبعاده ، وحرصنا جميعاً على نقله من مواقع الهامش الى قلب المعركة الحقيقيـة بمفهومها العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي ، هو الذي دفعنا الى سرد هذه الحقائق عن واقع جيش

التحرير الوطني في المراحل المختلفة لتجربة الثورة الجزائرية استناداً الى تجربة عشناها بالفعل في كل تلك المراحل .

واستنادا الى التجربة المعاشة كذلك ، اقول إن الجهاز العسكري الذي يعيش على هامش التجربة ، والذي كان تركيبه الاجتماعي اساسا تركيباً غريبا عن طبيعة الجماهير الشعبية ، مفصولا عنها ، بمجموعة من الحواجز الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعقائدية التي تعبر عن نفسها دائما بسلسلة من الامتيازات مثل هذا الجهاز لن يستطيع ان يخدم الثورة ، لأن خدمة الثورة تعني خدمة الجماهير الشعبية ، وخدمة الجماهير تتطلب وجود تيار مشترك من الشعور بالحياة المشتركة ، والواقع المشترك والاهداف المشتركة والصراع اليومي المشترك على اكثر من صعيد .

ولكي يقوم الجيش الثوري بدوره كاملا غير منقوص ضمن التنظيم السياسي ، وحتى لا يشكل خطرا على الثورة نفسها ، لا بد من خلق المناخ الملائم وتوفير الشروط الحتمية التي تجعله لا ينعزل عن الجماهير في آمالها وآلامها . وهذا لا يتأتى بطبيعة الحال الا اذا كان هذا الجيش مقتنعا بهذه الحقيقة معتقداً بها عن عقيدة وايمان ، وممارسا لها في جميع مواقفه واعماله اليومية ..

حكايا مهاجرة
قصص للأطفال ، ترجمتها عن الروسية :
نجاة ابو سمرة
منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ سعر النسخة : ١٠٠ ق.س

الجيش ومكانه في الثورة العربية

بحث : د. منصور خالد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... لكي نحدد دور القوات المسلحة في الثورة العربية ، لابد لنا من ان نتعرف على الاطار الذي تتحرك فيه ، والارضية التي تقف عليها الثورة العربية ، سواء كان ذلك على الصعيد الاقتصادي ، او الاجتماعي، او السياسي . فالظواهر الاجتماعية لايمكن فصلها عن بعضها البعض ، والمجتمعات عندما تعالج لايمكن ان تحلل الا من خلال واقعها، لا من خلال تصورات تعيش بين دفتي كتاب ، او تعشش في اوهام مفكر نظري .

المجتمع العربي بين السلفية والتمزق الحضاري :

ان المجتمع العربي الذي نتحدث عنه مجتمع سلفي ، متخلف ، ممزق . . . مجتمع تعيش اليوم بعض أجزائه كما تركها ابن خلدون (البداوة اصل الدولة) وتعيش أجزاء أخرى منه في العصر الحجري ويمكن ان تنقل بحالها ، هذه الساعة ، الى متاحف التاريخ الطبيعي في اوروبا . ان الحقائق الاساسية عن واقع هذا المجتمع قد تاهت فيما يبدو لي ، في خضم الشعارات .

فالمجتمع العربي مجتمع يعيش في عصر التنوير الثاني. ونسبة الأمية في بعض اجزائه تبلغ التسعين بالمائة. والمجتمع العربي مجتمع يعيش في عصر الثورة الصناعية الثانية، ونظامه التعليمي يقوم على خلق ناشئة من الموسوعيين تجيد الخطابة اكثر مما تجيد الافتراض والتحليل والاستنتاج العلمي (في هذا تقول احصائيات اليونسكو لعام ١٩٦٦ ان نسبة الطلاب الذين يلتحقون بالمدارس والمعاهد الفنية التقنية تبلغ من بين نسبة مجموع طلاب المدارس الثانوية ٥و٤ ٪ في ليبيا، ٥،٤ ٪ في الكويت، ٣٪ في العراق، ٤،٩ ٪ في سوريا، ٦ ٪ في السودان و ١٨٪ في الجمهورية العربية المتحدة. وتقول نفس الاحصائيات ان متوسط الوقت الذي يفرد للدين واللغة العربية في فترة الدراسة الابتدائية، وهي الفترة التي توضع فيها الاسس لتكوين المواطن العربي المتعلم، يمثل ٤٤٪ من وقت الدراسة، في الوقت الذي يبلغ فيه الوقت المخصص للعلوم الطبيعية والعلوم البحتة (٢٥٪). والمجتمع العربي الذي يتحدث منظروه عن الثورة الاشتراكية دعائمها النظرية مجتمع عاجز في بعض أجزائه، حتى عهد قريب، عن استغلال اسهل ثرواته الطبيعية: الأرض والفلاحة. ولأضرب المثل بقطرين: العراق والسودان. فهما بلدان من اوسع البلاد العربية مساحة، ومن اقلها نقصاً في السكان، وأعلاها نسبة في حجم الارض الصالحة للزراعة بالقياس الى عدد السكان (احصائيات منظمة الزراعة والتغذية تقول بأن السودان فالعراق يجيئان بعد أمريكا الشمالية مباشرة في نسبة الارض الصالحة للزراعة بالقياس الى عدد السكان)... وتشقهما أكبر الأنهار، بل الأنهار التي ولدت حضارة الانسان الزراعية الاولى على شواطئها... بالرغم من كل هذه المعطيات فان السودان في عام ١٩٦٦ كان يستورد الذره (غذاء شعبه الرئيسي) من امريكا... وكانت العراق تستورد العلف... والبلدان يعانيان في ذات الوقت من نقص في العمالة في الريف... مما يدل على ان القضية لم تكن قضية امكانيات مادية او بشرية... او قضية إستقلال سياسي... أو قضية تآمر أمبريالي.. بل هي قضية ادراك أمين وموضوعي لجذور المشاكل.. ومحاولة جادة علمية لحلها.. والمجتمع العربي الذي أدرك أو قيل أنه قد أدرك – بعد حزيران – ان احدى مشاكله الكبرى هي القصور العلمي والتكنولوجي، والذي يعاني منه الآن تخلفاً اقتصادياً، واحتلالا مذلا، عجز حتى الساعة عن أن يخرج بخطة متكاملة للبحث العلمي وأن يطور جامعاته لكيا تكون مراكز لهذا اللون المتطور من المناشط الفكرية، ففي هذه الجامعات تولد الاجيال التي ستحقق الثورة العربية لا في حوانيت الفصاحة الخطابية.

صراع بين حضارتين :

ان تحليل مجتمع كهذا لا يمكن أن يكون تحليلا اقتصادياً فحسب، لأن الاقتصاد

المتخلف في هذا المجتمع ليس هو سبب التخلف الحضاري بل هو احدى سماته.. ولايمكن أن يكون تحليلا سياسياً ،لأن الاستقلال السياسي ليس هو وحده طريق التقدم ،بل ليس شرطاً ضرورياً له ، والا لما كانت اكثر البلاد في الوطن العربي حفاظاً على استقلالها عبر التاريخ هي أكثر البلاد العربية تخلفا ..

هناك اذن عوامل اقتصادية ، واجـــتماعيه ، وسوسيولوجية تلعب ادوارا هامة ومتشابكة في تركيب المجتمع وتحديد وظائفه الاجتماعية ، وتقرير انماطه السلوكية ، وتصنيف قيمه الخلقية ... لا بد من أخذها في الاعتبار ونحن نعالج قضية السياسة وممارسة الحكم في الوطن العربي .

ان الدولة الحديثة موضوع بحثنا ، انما هي مؤسسة غريبة ومفهوم وافد .. لايتفق مظهرها ولا جوهرها ، في شكلها الأوروبي المنقول ، مع التركيب الاجتماعي القائم ولا تصوره للسلطة .. ولا نظام القيادة فيه .... أعني بهذا أن العلاقات والولاءات تتخطى الولاء الاسري ، والعشائري ، والقبلي الى ولاء لمخلوق جديد اسمه الأمـــة والى احساس بمسئولية جديدة اسمها مسئولية المواطنة ... وهذا يعني بالضرورة أننا قد وجدنا أنفسنا أمام حضارتين تصطرعان ... الحضارة القائمة والحضارة المنشودة ... الحضارة الآنية- والحضارة المستقبلية .

السلطة العصرية .. ظل للسلطة التقليدية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في هذا الاطار ولدت السلطة السياسية الحديثة وأجهزتها الليبرالية،ولكن سرعان ما انحدرت هذه الاجهزة لتصبح ظـــلالا باهتة ، أو طبقا عصريا للسلطة التقليدية ... فالأحزاب السياسية التقليدية أصبحت واجهات للمؤسسات العشائرية أو الطائفية الدينية- **والأحزاب السياسية التقدمية أصبحت طائفية سياسية وأصبحت زعاماتها أبوة روحية لا قيادة ديمقراطيــة تمشيا بل انصياعا لقيم المجتمع الباترياركي الذي نعيش فيه** ... والسلطة السياسية أصبحت في التصنيف الانثربولوجي جزءا من المقدسات وأصبح لها سحرها الخاص (Mystique) وبالتالي أصبح لها مظهرها الاسطوري (Mythical) ، مما جعل ارتباط الجماهير بالقيادات ارتباطا غير واع ولا رشيد .

والمفاهيم الليبرالية عن حرية الفرد تقف معلقة في الهواء . فماذا يعني حق الانتخاب وحق انتقاء السلطة التي تقرر مصائر الناس للابن الذي يدين في مجتمع الأسرة الصغيرة ، بالطاعة الكاملة لوالده حتى في مطالب حياته الخاصة ؟ وماذا تعني بالنسبة للبنت التي تدين

لوالدها بالطاعة حتى في أدق خصوصياتها ؟ وماذا تعني بالنسبة للبدوي الذي لا يملك أن يحدد خط سيره في حياته اليومية الا بتوجيه شيخ القبيلة ؟ وماذا تعني بالنسبة للطائفي الذي قصم ظهره انحناء الأجيال أمام زعيم الطائفة ؟ !

وحتى العناصر الصفوية ، وهي طلائع الفكر الحديث الوافد ، لاتؤمن بكل هذه المفاهيم الليبرالية بل تقتنع بها ... فمفاهيم الحرية والاخاء والمساواة لايكفي الاقتناع العقلاني بصحتها ، بل لابد من ايمان وجداني بها . لابد أن تصبح جزءاً من ضمير الامة لكيا تبقى . ان المبادىء التي حددها جورج ستيوارت مل ، وبنجامين كونستانت ، وجان جاك روسو ، ليست نظريات كنظرية فيثاغوراس تقتنع بها ، ولكنا لاتتجاوب معها عاطفياً ، بمعنى أن نزود عن حماها ان اعتدي عليها . هذا التجاوب الوجداني لم يتم لأن هـــذه الأفكار مع قبول الصفوة لها كانت غريبة على الوجدان القومي والقيم الاجتماعية السائدة .

ولم يكن هذا أيضاً لعجز الصفوة العربية عن الدفاع عن المبادىء المجردة ... فالعربي يثور بل ويقتل ان اعتدي على شرف امرته .. أو على عفاف ابنته ، والشرف مفهوم تجريدي نسبي ، ولكن نفس المواطن الذي ساهم في خلق الدولة الحديثة ، وخلق لها المؤسسات ، ونسج لها الدساتير ، وحدد لها المبادىء الموجهة لايثور ولا يقتل ان اعتدي على شرف امته أو اعتدي على عفاف دستوره ... القضية اذن أن هنـــالك قيماً تجريدية تعيش في ضمير الأمة وهي جزء من تكوينها الحضاري ، ولذا فنحن اكثر تعاطفاً وجدانياً معها عن القيم التي لاتتفق والتكوين الحضاري للامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التحديث ... القضية الأولى والأساسية :

الواقع السياسي العربي الليبرالي كان يقوم على مؤسسات عصرية المظهر الا أنها في جوهرها انعكاس للقوى السلفية ... تحمي مصالحها الاقتصادية ... وتدعم اسارها العاطفي على الجماهير ... وكان يقوم على صفوة قيادية ، حتى في مواقع التقدميين ، تعتنق النظريات دون أن تعيشها واقعاً ، وتتفاعل معها وجداناً ، لالعجز او انتهازية ، وانما للتناقض الجذري بين تلك النظريات وبين الواقع الذي يعيشون أو يعايشون في الغالب الأعم ... وكان يقوم على جماهير مسوقة محدودة المطالب ... وكانت كل هذه المعطيات عوامل للتمزق الداخلي ، ولترسيب المفاهيم البالية ، ولتكريس التخلف .

فان كان هذا هو الواقع السياسي فتصبح المهمة الأولى للدولة الحديثة هي التحديث Modernisation ... التحديث بتغيير القيم الحضارية السائدة ، وفرض قيم جديدة ...

بعبارة اخرى، لابد من اجراء عملية جراحة حضارية أو ما يسميه رجال الانثربولوجيا بالتكييف الحضاري Acculturation .

وعملية كهذه لايمكن ان تتم بالمصالحة والرضاء، بل بكثير من المعاناة والجهد المتأني.. وبغير قليل من القهر والالزام .

القيادة الصفوية :

لقد ظلت العناصر الصفوية ، بالرغم من كل السلبيات ، هي التي تقوم بالدور القيادي في كل المواقع ... حتى بالنسبة للتنظيمات الجماهيرية . فبعد الدور الذي لعبتــه في معركة التحرر الوطني، وهو دور تخطت فيه الفئات الوطنية التناقض الطبقي العمودي الى ترابط قومي افقي يوحد الامة ضد القوة الأجنبية التي تستهدف مسخ شخصيتها الوطنية ... جاء الدور الثاني لاعطاء الاستقلال محتواه الاجتماعي، وكانت نفس العناصر الصفوية المحظوظة هي التي قادت معركة التحول والتطور الاجتماعي وليست الطبقات المسحوقة ..وبجانب هذا ، والامة تدرك أن قضيتها انما هي قضية تحديث، وان التطور العلمي والتقني هو وسيلتها الوحيدة لتخطي حواجز التخلف، برزت طائفة جديدة من القيادات الصفوية هي الانتلجنسيا المهنية كالمهندسين .. والاطباء .. والزراعيين .. والاقتصاديين .. وضباط الجيوش الحديثة . والأزمة الطاحنة بالنسبة لهذه القوى الحديثة هي ادراكها لانها هي القوة الوحيدة التي تحرك جهاز الدولة الحديثة دون أن تملك السيطرة عليه ... انها تحركه دون أن تديره . . فالسلطة الحقيقيــة في يد القوى التقليدية .. وهذه هي المفارقة : القوى التقليدية السلفية والرجعية هي التي تدير جهــاز الدولة العصري الحديث والتقدمي ... (تقدمياً في التصنيف الانثربولوجي) ..

دور الجيوش الحديثة :

قلت ان الصفوة القائدة في الجيوش هي جزء من هذه العناصر الصفوية ، وبالتالي فهي جزء من الصفوة السياسية يتميز عن من عداه بأنها قد تجمعت لها خصائص مشتركة.. وقدرات ووسائل لم تتوفر لغيرها .

وعندما نتحدث عن الجيوش فلا بد من أن نفرق بين النوعين من الجيوش .

١) **جيوش التحرير الوطنية** : مثل جيوش الصين ، وكوريا ، وفيتنام، وقبرص ، ويوغسلافيا بعد الحرب الكونية الثانية ، والجزائر واليمن الشعبيــة في الوطن

العربي ،وهذه جيوش ولدت في المعركة وولدت أيديولوجياتها . وأسس حكمها في أوار تلك المعركة ... مثل النظرية الموجهة ، والحزب الواحد ، وطبيعة السلطة ، ومفهوم الديمقراطية ... وإن كان هناك ثمة خلاف بين انصارها ، فهو خلاف في الأساليب والجزئيات وليس خلافاً في الأهداف والأساسيات .

٢ - **الجيوش التقليدية** وهذا هو موضوع بحثي .

الجيش ... جذوره ... وخصائصه :

يتساءل المرء هل هنالك ظاهرة عامة اسمها الجيش .. تفكر بأسلوب واحد .. وتتشابه ردود فعلها ... وتشترك في تعاطفها الوجداني ... وأقول لا لأن الجيوش هي وليدة مجتمعاتها وهي مرتبطة بجذورها الاجتماعية . ولكن هنالك خصائص وأساليب عمل أكثر منها طبيعة .. وهي نتاج لظروف واقعية ، ومعطيات موضوعية ... فالحسم ، والانضباط ، واحترام القيادة ، وتحديد الأهداف قبل المعركة . . . كل هذه صفات مكتسبة ..

سمات ثلاث تميز الجيش الحديث وبالتالي تفرض عليه دوراً هاماً في معركة التحول الحضاري .. هذه السمات هي الوحدة .. والنظام .. والعصرية ... وهي سمات هامة تستلزمها حالة التمزق الوطني ... والفوضى الاجتماعية .. والتخلف الحضاري الذي تعيشه مجتمعاتنا . وقد جاءت هذه السمات نتيجة ظروف معينة تعيشها الجيوش ولا يعيشها غيرها من الجماعات .

أولاً : الجيش الوطني هو المؤسسة الوحيدة التي يتأكد فيها صهر الوحدة القومية بميثاق من دم ... فالجيش يضم في فصائله كل القوى ، على اختلاف الفوارق العشائرية ، والقبلية ، والطائفية ... تحارب صفاً واحداً ، تحت راية قومية واحدة مما يجعل منه قوة أكثر قدرة من غيرها على تحقيق بناء الأمة .

ثانياً : الجيش الوطني هو المؤسسة الوحيدة - أقول المؤسسة وليس الأفراد - **التي دربت على الدفاع عن المبادىء العصرية المجردة مثل الدستور وكرامة العلم** ... الدفاع عنها وليس فقط ترديدها كمحفوظات إنشائية .

ثالثاً : الجيش الوطني الحديث يرتكز في تسليحه على الأسلحة العصرية والمتطورة ... ويمارسها في تدريبه ومعاركه مما يجعل العناصر الصفوية في القيادة العسكرية أقدر على ادراك **أهمية التقنية** التطور من القيادات المدنية التقليدية وأغلبها من فلاسفة الفصاحة « الكلامية » ... فالضابط الممتاز في الجيش الوطني اليوم هو الضابط الذي يحسن استخدام السلاح الحديث (العصرية) .. ويحسن وضع الاستراتيجية الحديثة (التخطيط) ... ويحسن تنظيم العتاد العصري المعقد واستغلاله (الادارة الحسنة) . والضباط الأحرار يختارون قياداتهم دوماً من العناصر التي تمتاز بالكفاءة المهنية أولاً وقبل كل شيء .. هذا بجانب اعتبارات أخرى . مثل مواقف القائد الشجاعة في بعض المعارك .. أو في القضايا المدنية داخل الجيش ... أو في تبني قضايا المقهورين ضد البرقراطية العسكرية .

رابعاً : التطهرية (Puritanism) في حياة الجيوش ... فحياة الجيوش في الثكنات وفي المخيات تجعلهم أكثر قدرة ، ان لم تنحرف قياداتهم ، على **اتخاذ الاجراءات التقشفية والالتزام** بها .. لا سيا وما نعانيه في بلادنا هو الفجوة العميقة بين ما نقول وما نفعل .

وهناك أيضاً ادراك مشاكل الريف ، معقل التخلف وموئل الخرافة الذي يستهدفه التغيير الاجتماعي ، الا أنه يعيش خارج اطار الحوار السياسي الدائر حوله ونيابة عنه . فالصفوة العسكرية قد عايشت هذه المشاكل من خلال تجربتها الوظيفية في المعارك والتدريب ... فعرفت بهذا الجوع ، والعطش ، والعزلة .

الجيش بين الماركسية .. والليبرالية :

ان الجيوش الحديثة في الوطن العربي لم تعد كجيوش الأمس ، وبالتالي لا يمكن أن نصدر الأحكام عليها من خلال نظريات لا مكان لها في واقعنا المعاش ..

فالتصوير الماركسي المطلق-الذي يقول بأن الدولة ليس ولا يمكن أن تكون الا أداة قهر طبقي وأن الجيش هو القوة الضاربة في مؤسسة القهر هذه هو تصوير غير وارد. فالجيش العربي الذي يضم في تكوينه الاجتماعي أبناء الطبقات الوسطى في مراكزه القيادية، والطبقات المسحوقة في صفوف جنده، ليس بحرس بريتوري،

ولا يمكن أن يكون الا معبراً عن تطلعات تلك الطبقات ، ومنفذاً لارادتها عندما تكون مصيبة ... **والجيوش العربية جيوش ذات حاسة سياسية جعلتها جزءاً مشاركاً في كل حركات التململ السياسي التي عرفهـــا الوطن العربي ...** يرفض الفساد والطغيان في الحكم كما شهدت بذلك ثورات عرابي في مصر ، وبكر صدقي في العراق ، وعلي عبد اللطيف في السودان ... ويرفض الاذلال الوطني كما شهدت بذلك الثورات التي ولدتها مهانة فلسطين ابتداء بثورة يوليو في مصر وانتهاء بثورة سبتمبر في ليبيا .

وهنا لا بد لنا من الفصل بين الحركات التي تقودها الطلائع الثورية التي تستهدف الثورة الجذرية ، والحركات التي تقوم بها البروقراطية العسكرية حماية للسلطة القائمة ..

والتصوير الليبرالي الغربي الذي يقول إن الجيش هو حامي الدستور ، كما وصفه هندنبرج في دستور فيار ، وبالتالي فان استيلائه على السلطة انما هو هدم للدستور ، وانتهاك لحقوق الانسان الأساسية ، قول مردود ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فليس هنالك جيش لا سياسي Apolitical . فالجيوش لا تتدخل الا في ظروف الحيرة الوطنية ، والقلق السياسي ، والحكم الفاسد ، سواء كان ذلك طغياناً عسكريا أو مدنياً ، وانتهاك حرمات الدساتير والمواثيق مما يفقدهـــا قدسيتها ، وبالتالي فاعليتها في تحديد الضوابط . في ظروف كهذه تتدخل الجيوش ، وقد تدخلت لا في الوطن العربي فحسب ، بل وفي مهد الليبرالية الغربية نفسها ، ابتداء من ثورة الجيش الاسباني في مطلع القرن التاسع عشر ضد فرناندو السابع ، وعبر ثورة الجيش البولوني بقيادة بلسود سكى بين الحربين في هذا القرن ، الى ثورة الجيش الفرنسي الصامتة في عام ١٩٥٨ ، التي فرضت الجنرال ديغول فرضاً على الجمعية الوطنية ليكون رئيساً للوزراء ومن ثم ، وعن طريق دستور خاطه بيده ، رئيساً الجمهورية خلال اثنى عشر عاماً . هذا عدا الضغوط العديدة التي مارستها الجيوش لتحديد خط سير سياسي معين كالجيش البريطاني في حرب ايرلندا عام ١٩١٤ ، والجيش الأمريكي في حرب فيتنام ، مما أدى الى استقالة وزير الدفاع الأسبق روبرت ماكنارا .

الجيش والسلطة :

ولكن ما هو واجب الجيوش وقد تسلمت السلطة ؟ . . . ان طبيعة القيادة في الجيوش التقليدية تقوم على عناصر صفوية ، وأغلب هذه الجيوش لا تمارس أي دور على الصعيد الشعبي في الانتاج والتنمية . وبالرغم من وجود عناصر في القيادة والقاعدة العسكرية تمت بالصلة الى كل ألوان الطيف السياسي ، الا أن الجيوش ، كمؤسسات ، لم تسيس بسبب الوضع والمفاهيم الليبرالية القائمة .

ان طبيعة القيادة في هذه الجيوش تقوم على التوجيه الفوقي، والانضباط الصارم.. أما في السياسة حيث يعمل الجيش بين قوى اجتماعية متنافرة الأهواء ، متضاربة المصالح، مشتجرة الفكر والرؤى ، فان الاعتماد على الطاعة والتوجيه ليس بالحل الأمثل. بل ان الخطر الأكبر هو أن تجد الجيوش نفسها معزولة عن الجماهير التي جاءت لنصرتها بجهاز عازل سميك هو البيرقراطية التقليدية ... ان بعض فصائل اليسار العربي المتطرف لمطالبة بأن تسائل نفسها وهي تصدر الأحكام على الأنظمة التي جاءت بها الانقلابات العسكرية في المنطقة : إن كان التحول الذي حققته تلك الأنظمة تحولا تقدمياً ، وان كان هذا التحول ممكنا بمنطق الأحداث التي سادت قبله ، وان كان هذا التحول قد انتقل بالثورة العربية الى مراق لم تكن لتصلها بنفس السرعة لو سلكت الطريق القديم ؟ ان اليسار لمطالب بأن يسائل نفسه هذا السؤال وهو يتحدث عن ثورات ٢٣ يوليو في مصر ، و ٢٥ مايو في السودان ، واول سبتمبر في ليبيا (أتحدث دائماً عن ثورات الجيوش التقليدية) ...

فان كانت الاجابة نعم ، تصبح النتيجة المنطقية هي أن اليسار التقليدي مدان.. لامدان في فكره وتطلعاته ، لأن انتصار الثورة انما هو حصيلة جهاد كل القوى التي عملت للتغيير في الماضي فمهدت بذلك المسرح للانقضاض النهائي ، وانما مدان في تحليله ، ومدان في قدرته القيادية ..

فالأمر يعني أولاً ان مؤسسة اليسار قد عجزت عن تحليل الموقف تحليلا سليما يدرك القوى الاجتماعية الحقيقية ، ويدرك التركيب الحقيقي لهذه القوى ، وبالتالي يعرف الطريق الأمثل لاجراء التغيير في المجتمع . ولكن قوى اليسار العربي لجأت الى احد طريقين:

(أ) اما طريق الرفض التام لكل المؤسسات القائمة عسكرية كانت أم مدنية بأمل تعبئة البروليتاريا ليوم الخلاص المرتقب ... يوم الصرخة الكبرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ب) وأما طريق قبول ممارسة اللعبة السياسية في داخل النظام القائم مع الكفاح من اجل ضمان حريات تضمن امكانية الحركة والعمل المؤطر ... مؤطر بالطبع داخل الاطار الدستوري الذي حددته القوى التقليدية .

وبهذا عجزت هذه القوى عن ادراك ما توفره الجيوش من قوة يمكن أن تسهم في التغيير، والأمر يعني ثانياً انها قد ادركت هذه الحقيقة ولكنها عجزت عن الاستفادة منها سيما ونحن نعرف، فيما قال معمر القذافي عن نفسه ، ان هناك اناساً امتهنوا العمل العسكري للوصول الى الاهداف السياسية التي كانوا يحلمون بها من الصغر .

ان الأزمة الكبرى التي يعاني منها اليسار العربي ، وهو يعالج الانظمة التي جاءت نتيجة لانقلابات عسكرية ، تدل على أن اليسار لا يريد أن يمارس فضيلة النقد الذاتي فيعترف بقصوره النظري في بعض الأحوال ، أو يعترف بتقصيره العملي في احوال كثيرة اخرى .. وبرفضه لفضيلة النقد لا يجد من طريق الا التبتل في محراب رذيلة الغرور الفكري ، والمزايدة الثورية .

ان الطريق الوحيد أمام أي نظام ثوري في هذه المناطق رهين بالوصول الى صيغة جديدة للحكم تمكن الجماهير من المشاركة ، ولكنها في ذات الوقت تضمن للقوى التي حققت الثورة ، والتي لا يمكن للثورة في مراحلها الأولى أن تمضي بدونها ، من أن تبقى في المفاصل الرئيسية والمراكز القيادية التي يقتضيها الموقف ، ولنا في السودان تجربة في اكتوبر .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانتفاضة اكتوبر ضد الحكم العسكري التقليدي قد وئدت ، بجانب تآمر الرجعية والاستعمار ، لعجز اليسار عن ادراك البعد الحقيقي لدور الجيش في المعركة ... ان انهاء الحكم العسكري في أكتوبر كان انتصاراً لجماهير الشعب ... وكان انتصاراً للصفوة المهنية التي أعلنت الاضراب العام ، فعطلت كل أجهزة الدولة الحديثة .. ولكنه كان انتصاراً أيضاً للمعارضة العسكرية داخل الجيش التي تكتست لاحيابوم أن أمرت بضرب الجماهير ، وهي نفس المعارضة التي صنعت ثورة مايو من بعد ... لقد كان هنالك استحياء في ذلك الوقت من أن يتحدث الناس عن دور الجيش . ولكن التحليل الصحيح لتلك المرحلة أوضحه ولأول مرة الرئيس نميري وهو يحتفل بذكرى أكتوبر فقال :

لقد كانت انتفاضة أكتوبر نهاية مشرفة لمعارضة طويلة ضارية ضد فساد الفئة الحاكمة من الذين احتلوا المراتب العليا في الجيش دون تأييد الجيش كله أو أغلبه ، وكان انطلاق الرصاصة الأولى هو علامة الايذان للطلائع الثائرة التي كانت تقود معارضتها في

أصرار صامت لأن تخرج علانية بثورة ، مؤكدة صمودها بجانب الشعب ، ورافضةأوامر الطغمة الحاكمة مما شل يوم ذاك يد الحاكمين وارغمهم على الرضوخ للشعب صاغرين .

وفي ظروف مثل هذه كان لابد أن تكون معادلة اكتوبر معادلةصعبة عسيرة ... شعب أعزل يفتقد الوعاء التنظيمي الذي يحتويه ، وطلائع قائدة عزلاء تفقد الدليل النظري الذي يهديها ، وامام الاثنين تقف قوى تقليدية متحفزة .

ان الادراك الواعي للقوى الاجتماعيـــة في السودان كان يحتم على قوى الثورة يومذاك أن تدرك بأن بقاء المد الثوري وتصاعده انما هما رهينان ببقاء تلك الطلائع الثورية العسكرية في مراكز تمكنها من ممارسة نفوذها وضغطها داخل الجيش ، باعتباره القوة العصرية المنظمة الضاربة الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بدور الموازنة مع القوى التقليدية وتنظيماتها شبه العسكرية . إلا أن القيادة يومذاك ، لظروف سيسجلها التاريخ الأمين عما قريب ، لم تتمكن أن تكمل الثورة داخل القوات المسلحة ، مما أبقى على نفس القيادات العسكرية التي كان يرتكز عليها الحكم العسكري البائد في سيطرته وارهابه ، فتمسكت تلك القيادات حتى تمكنت ، وكان اول ضحاياها بعد تمكنها هو طلائع الثورة في الجيش .. وكان ثاني ضحاياها هو ثورة اكتوبر الموؤدة ... وبين الحدثين رابطة سببية .

وعندما يتحدث الناس عن صيغة للعمل الذي يربط بين القمـــة والقاعدة ، فيجب أن نفرق هنا بين التنظيمات الشعبية الديماغوجية والتنظيمات الوظيفية ... فالتنظيمات الأولى لا تعبر عن ارادة الجماهير بحق ، لأنها إما تنظيمات تفرزها السلطة لتكون ظلاً لها .. أو تنظيمات تتصدرها قيادات صفوية جاءت عن طريق الحيل الانتخابية التي تمارسها الأحزاب والطوائف لتكون أدوات في يدهـــا . **أما التنظيمات الوظيفية فهي تنظيمات تهدف الى تمكين القوى الشعبية من ممارسة الحكـــم ..** كلجان التسيير في مراكز الانتاج والمرافق ، ومجالس الحكم المحلي الشعبي ، والتعاونيات ، ولجان تطوير الريف ، والجمعيات المهنية والعلمية ، والنقابات العمالية الحرة التي تتسلط عليها الدولة ، لا المؤسسات الحزبية والطائفية .

هذا هو المحك الحقيقي وهذا هو الامتحان الحقيقي للجيوش ... فالمرء ، كما قال تاليراند ، يستطيع أن يفعل كل شيء بأسنة الرماح إلا الجلوس على رأسها .. .

الجيش ومكانه في الثورة العربية

بحث : طارق عزيز

ان دخول الفصائل العسكرية الى العمل السياسي في الوطن العربي ، وفي بلدان العالم الثالث ، وقيامها بثورات لاستلام السلطة السياسية ظاهرة من اهم الظواهر في هذه البلدان . ولقد نشبت حول تقييم هذه الظاهرة خلافات شديدة بين الثوريين العرب . فلقد اعتبرها البعض طريق الخلاص من تعثر الثورة الشعبية ، بل اعتبر التغيير الذي تنجزه الفصائل العسكرية ثورة شعبية كاملة ، في حين اعتبرها البعض الاخر ظاهرة مرضية خطيرة ، ونتيجة من نتائج تدخلات الاستعمار الجديد ، او محاولة من محاولات البيروقراطية العسكرية والبورجوازية الصغيرة لاجهاض الثورة الشعبية الحقيقية .

ان هذا التناقض في تقييم الثورة التي تنجزها الفصائل العسكرية هو

نتيجة لاسلوب خاطيء في التحليل غالباً ماساد في بلادنا .. اسلوب النظرة الى الاشياء وتحليلها من جانب واحد فقط . كما انه نتيجة للعجز عن التوصل الى الصيغة الثورية العملية لمساهمة الفصائل العسكرية في الثورة .

ان الذين يرون فقط الجوانب الايجابية في الثورة التي تنجزها الفصائل العسكرية وحدها ، والدور القيادي الذي تلعبه هذه الفصائل ، في زمن معين ومكان معين في النضال ضد الاستعمار والرجعية ، وفي تحقيق بعض المنجزات ، يضخمون هذه الجوانب والادوار ويعطونها ابعاداً تاريخية غير واقعية ، ويعمدون الى تعميم التجربة الواحدة التي تحقق النجاح في زمان ما ومكان ما تعميماً ميكانيكياً فيقودهم هذا الاسلوب الى الغاء دور كل المؤسسات الثورية كالاحزاب والنقابات وغيرها .. في الماضي والحاضر والمستقبل .. بل ويقودهم هذا الاسلوب ، شاؤا ذلك أم أبوا ، الى الغاء دور الجماهير واحتقارها .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما الذين لايرون في عملية التغيير التي تنجزها الفصائل العسكرية غير جوانبها السلبية ، وبخاصة من خلال تجارب معينة ، فانهم يضخمون هذه السلبيات ، ويعمدون الى التقليل من اهمية التغيير الذي تنجزه الفصائل العسكرية ، بل إنهم ينكرون على هذا التغيير اي ميزة ايجابية ، واي مساهمة في الثورة . وفي النهاية تجرهم هذه المواقف الى الاصطدام بالفصائل العسكرية اصطداماً غير موضوعي ، لايخدم قضية الثورة .

ان النظرة العلمية الصحيحة الى أية ظاهرة ، وبخاصة الى الظاهرة الاجتماعية ، هي تلك التي تدرس الظاهرة من مختلف جوانبها ، وتدرس العلاقة

الجدلية بين كل جانب وآخر ، والتي تقيمها تقييما محدداً مرتبطاً بالزمان والمكان . وبهذه النظرة يجب ان تدرس ظاهرة اشتراك الفصائل العسكرية في الثورة .

١ - ان الجيش مؤسسة اجتماعية تعكس طبيعة الواقع الذي تقوم فيه . فهو ليس طبقة ، وانما هو مؤسسة تعكس الواقع الطبقي في المجتمع . فكما نجد في المجتمع طبقة رأسمالية وطبقة اقطاع وبورجوازية صغيرة وعمالاً وفلاحين ، نجد في الجيش ، رغم تكوينه المتميز ، من ينتمي الى الاقطاع والبورجوازية ، ومن ينتمي الى البورجوازية الصغيرة ، ومن ينتمي الى طبقة العمال او طبقة الفلاحين . والجيش بحكم قاعدته الواسعة من الجنود والضباط الذين ينتمون الى البورجوازية الصغيرة ترتبط مصالحه بمصلحة الثورة .

وعلى هذا الاساس لا يجوز استبعاد هذه المؤسسة عن عملية الثورة .

ان الصراع الذي تخوضه قوى الثورة في المؤسسات الاجتماعية الاخرى، الصراع ضد الطبقات المستغلة والمعادية لحركة التقدم ، يجب ان يجري في داخل المؤسسة العسكرية ايضاً . اي يجب على قوى الثورة ان تستقطب وتنظم العناصر المرتبطة مصالحها بمصالح الثورة بين صفوف الجيش ، وان تفرز العناصر المرتبطة مصيرها بالرجعية والاستعمار .

٢ - ان الغرض من العمل الثوري في داخل المؤسسة العسكرية ، اي أن الغرض من استقطاب العناصر الثورية وتنظيمها ، هو اسهامها في عملية الثورة . ان مهمة العناصر الثورية في الجيش هي انتزاع قيادة المؤسسة العسكرية من براثن القوى الممثلة لمصالح الاستعمار والرجعية ، وزج هذه المؤسسة في عملية التغيير

الثوري . ان الطبقة الرجعية تعتبر الجيش مؤسسة لحمايتها ولقمع حركة الثورة . ولا بد لحركة الثورة من ان تقلب الوضع فتجعل من الجيش فصيلة طليعية من فصائل الثورة ، وقوة اساسية ترتكز اليها لاستلام السلطة السياسية واداة حاكمة من ادوات قمع تحرك الثورة المضادة .

٣ — ان الجيش في الوطن العربي وفي بلدان العالم الثالث هو اكثر المؤسسات الاجتماعية تنظيماً واكثرها سرعة في التحرك . كما انه يمتلك امكانيات مادية وبشرية هائلة .

ان هذه الخصائص تجعل الجيش قوة حاسمة في الثورة . فاذا ماسيطرت عليه قوى الثورة سيطرة حقيقية اصبح استلام السلطة امراً ممكناً . وبدون السيطرة على الجيش لا يمكن الاستيلاء التام على السلطة السياسية .

غير ان هذه الخصائص التي يمتلكها الجيش لايجوز اطلاقاً اعتبارها قادرة على انجاز كل حلقات العملية الثورية قبل الاستيلاء على السلطة السياسية وعند الاستيلاء عليها وبعدها .

ان الثورة ليست مصادفة من مصادفات التاريخ ، ولا هي معجزة من معجزات الطبيعة . انها عملية من صنع الانسان تاريخية وطويلة ومعقدة ، تسهم فيها قوى اجتماعية كثيرة عبر سلسلة من النضالات التي لاتنتهي . ان عملية التغيير، اي استلام السلطة السياسية ، ليست هي الثورة . إنمـا الحلقة الحاسمة ، وهي رغم بروزها واهميتها الخاصة لاتلغي الحلقات التي تسبقها ، والتي تليها ، لأنها اذا فعلت ذلك تكون قد علقت نفسها في الفضاء وعرضت نفسها للكسر .

فاذا كانت الاحزاب والنقابات والحركات الثورية في بعض الاقطار العربية قد عجزت بسبب ظروف التطور الاجتماعي، وبسبب القمع الشديد الذي تعرضت له من جانب الاستعمار والرجعية، وبسبب النقص في امكاناتها الذاتية، اذا كانت هذه الاحزاب والنقابات والحركات قد عجزت عن تنظيم عملية الاستيلاء على السلطة السياسية، فان ذلك لا يلغي اطلاقاً دورها التاريخي المهم والحاسم قبل استلام السلطة السياسية. ان الذي يلغي دور الاحزاب والنقابات والحركات الثورية، لانها لم تنظم عملية الاستيلاء على السلطة السياسية، هو ذلك الذي يعتبر الثورة عملية ليلة واحدة، اي الذي يعزل الثورة عن سياقها، عن عملية تطورها الجدلية، عن آفاقها التاريخية.

ان هذه النزعة هي التي تحول عملية استلام السلطة من قبل الفصائل العسكرية الى انقلاب اصلاحي مرشح للانتكاس. اما النظرة التي تعتبر الثورة عملية تاريخية طويلة، هي من صنع قوى اجتماعية ثورية متعددة، فانها النظرة الوحيدة القادرة على تحويل عملية استلام السلطة السياسية الى ثورة شعبية راسخة ومتصاعدة.

٤ — ان الغاء دور الاحزاب والنقابات والحركات الثورية الاخرى بعد استلام الفصائل العسكرية للسلطة السياسية، بحجة ان هذه الاحزاب والحركات تفرق الشعب، نظرة تبسيط للأمور الى درجة ضارة جداً. كما ان الاستناد الى حجة ان الاحزاب تشغل الشعب بصراعات ذاتية اتهام يفتقر الى التحليل العلمي الدقيق.

بالنسبة لهذه المسألة يجب قبل كل شيء ان نميز بين الخلافات الموضوعية والخلافات الذاتية.. وبين التناقضات الرئيسية والتناقضات الثانوية.

ان الخلافات الموضوعية هي خلافات صحية ، وهي لصالح الثورة ، لأننا اذا أنكرنا وجود خلافات موضوعية في داخل المجتمع ، وفي أية مرحلة من مراحل تطوره ، نكون بذلك قد أنكرنا ضرورة الثورة .

أما الخلافات الذاتية فإنها ليست صفة مميزة للاحزاب فقط . ان الفصائل العسكرية نفسها غالباً ما تنزلق الى الخلافات الذاتيـة ، وان المؤسسات السياسية اللاحزبية هي اكثر المؤسسات السياسية امتلاء بالخلافات الذاتية . انها هي مستودع الخلافات الذاتية .

ان المسألة ليست مسألة اتهام هذا الحزب او تلك المؤسسة بأنها تسبب الخلافات الذاتية وتفرق الشعب . ان القضية الملحة ، وبخاصـة بعد نكسة حزيران ، هي كيف نصفي الخلافات الذاتية والخلافات الثانوية لحساب التناقض الموضوعي والتاريخي بين قوى الثورة العربية من جهة ، وبين الامبريالية والصهيونية والرجعية من جهة اخرى .

ان الثوريين العرب مطالبون في هذه المرحلة لا بالغاء كل طرف لدور الطرف الآخر ، ولا بالغاء كل مؤسسة ثورية لدور مؤسسة اخرى ، وانمـا هم مطالبون بايجاد الصيغ الواقعية العلمية الثورية التي تؤمن مشاركة كل القوى الثورية ، احزاباً كانت ام مؤسسات سياسية لا حزبية ، ام قوى عسكرية ثورية ، ام حركات وتيارات ثورية ، في النضال المحتوم ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وفي النضال الطويل والشاق والمعقد لبناء مجتمع حر وتقدمي في كل قطر ولبناء المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحد .

ان الصيغة الواقعية الثورية في البلدان التي حققت الفصائل العسكرية الوطنية فيها عملية استلام السلطة وحدها هي الجبهة الوطنية . هذه الجبهة التي تضم

كل الاحزاب والمنظمات الوطنية التقدمية ، والتي تحتل فيها الفصائل العسكرية التي انجزت التغيير الثوري دوراً قيـادياً بارزاً . وبذلك تلتحم القوى الثورية العسكرية والمدنية لإنجاز مهام الثورة .

وان صيغة الجبهة الوطنية بحكم الواقع الذي خلفته نكسة حزيران هي الصيغة الثورية الوحيدة على صعيد كل قطر ، وعلى صعيد الوطن العربي، التي يمكن ان توصف بأنها في مستوى المسؤولية التاريخية ، وفي مستوى التحدي الحاسم الذي تطرحه النكسة ..

٥) ان الصيغة الناضجة لمساهمة القوى العسكرية في الثورة هي تلك الصيغة التي يحققها الحزب الثوري المسلح بايديولوجية ثورية والقـائمة على تنظيم ثودي ديمقراطي ومركزي راسخ .

ان الحزب الثوري اذا استطاع ان ينظم العسكريين جنوداً وضباطاً في صفوفه وان يجعلهم ، عن طريق التثقيف الايديولوجي والسياسي ، وعن طريق الممارسة اليومية للعمل الثوري عبر مرحلة طويلة من الزمن ، جزءاً منه ، يستطيع أن يحل التناقض القائم بين قدرة الفصائل العسكرية على انجاز عملية التغيير، وبين حاجة الثورة الى الحزب الثوري لتحقيق كامل اهدافها .

ان الحزب الثوري اذا ما امتلك قوة حاسمة في داخل المؤسسة العسكرية فإنه يستطيع ان ينظم عملية استيلاء السلطـة تحت قيادته وباشرافه الدقيق ، وبتلاحم تام بين الفصائل العسكرية والفصائل المدنية ، ليس في مرحـلة التهيئة للثورة فقط ، وانما يوم تنفيذ الثورة واستلام السلطة السياسية ، وكذلك عبر مسيرة الثورة الطويلة .

والحزب الثوري الحقيقي هو ذلك الذي ينتبه بشدة الى احتمالات بروز

وتفاقم الظاهرة العسكرية . ان الحزب الذي ينظم الفصائل العسكرية من حيث الشكل ، ويعجز عن صهر هذه الفصائل في بوتقة الحزب ليس حزباً ثورياً . انه واجهة حكم العسكريين ، وهو اخطر على الثورة من الحكم العسكري الدكتاتوري .

ان الحزب الثوري يجب ان يحرص بشدة على ان يجعل العسكريين في صفوفه يستمدون قوتهم وشرعيتهم من المؤسسة الحزبية ، وليس من كونهم على رأس المؤسسة العسكرية ، لأنهم اذا استمدوا قوتهم من صفتهم العسكرية ومن وجودهم على رأس قطعات الجيش لن يفرضوا انفسهم طغاة على الحزب فقط ، وانما سيتحولون بالضرورة الى طغاة على الشعب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بُناة العالَم
للكاتب الألماني ستيفان تسفايج
دراسة تحليلية دقيقة عن ثلاثة من عباقرة الأدب
هولدرن - دوستويفسكي - بلزاك
ترجمة : محمد جديد
منشورات وزارة الثقافة - دمشق - سعر النسخة ٣٠٠ ق.س

المناقشات

(خلاصة مكثفة)

اشترك في مناقشات الموضوع السادس كل من السادة :

- كريم مروة (لبنان)
- عبد المنعم غزالي (ج . ع . م)
- محمد الميلي (الجزائر)
- بابكر كرار (السودان)
- عبد الله الريماوي (الاردن)
- مالك الأمين (ج . ع . س)
- محمد ابراهيم نُقُد (السودان)

كريم مروة (لبنان) :

إن تحديد دور الجيش مرهون بتحديد الأوضاع العربية والطبقية . وكل جيش عربي قد خضع في تكوينه لظروف بلده والوضع الطبقي الذي كان سائداً اثناء تكونه . إن هذا واقع ينبغي أخذه بعين الاعتبار ، يجعل من الصعب علينا تحديد دور الجيش العربي في الثورة العربية . ومما لاشك فيه أن الجيوش لايمكن

ان تكون بديلا لحركة الجماهير المناضلة ، ولكنها استطاعت في ظروف معينة ان تلعب دوراً هاماً في تطور الحركة الثورية ، وذلك بإحـــداث تغيير في السلطة . ومثل هذا الدور مازال مستمراً . وهناك ملاحظات اخرى حول دور الجيش ، منها :

– ان الدور الحاسم في الجيوش العربية قد لعبه حتى الآن الضباط لا الجنود، ولابد من تحديد الدور الطبقي لهؤلاء الضباط لكي نستطيع تحديد التكوين الطبقي.

– إن الجيش من حيث هو جيش لا يمكن أن يحدث تغييراً ثورياً ، بل التغيير هو من صنع التنظيم السياسي داخل الجيش .

والخوف هو انزلاقه الى سلطة تحكم باسم الجيش .

وهناك خطأ آخر هو محاولة تحويل الجيش الى قوة طليعية بدلاً من الحزب الطليعي . إن الجيوش في معظم الأنظمة التقدمية لم تتعرض لعملية تغيير سياسية أساسية في تركيبها ، الأمر الذي جعل كثيراً منها تحصل على امتيازات ومصالح خاصة تدفعها الى الوقوف أحياناً في وجه تطور الثورة ، بل ومحاصرتها .

إن المهمة الأساسية للجيوش العربية في الثورة العربية هي حماية المكتسبات التقدمية التي تحققت ، والدفاع عنها ضد عناصر الثورة المضادة . ولبلوغ ذلك لابد من تغيير بنيتها وتغيير اسلوب عمل قياداتها .

عبد المنعم غزالي (ج . ع . م) :

هناك اتجاهات ثلاثة في تفسير دور القوات المسلحة في الثورة :

– تفسير يرى أن حركات القوات المسلحـــة هي التعبير الطبقي عن الحركة البورجوازية .

– تفسير يرى ان الحركات الثورية للقوات المسلحة تنشأ من الفراغ

السياسي ، وتقوم بها فئة من الصفوة . وهذا الاتجاه يعادي تدخل القوات المسلحة في السياسة .

— تفسير يرى ان حركات القوات المسلحة انما هي جزء من حركة المجتمع كله في احداث تغيير جذري . وهذا هو التفسير الأقرب الى الصحة فيما يخص دور القوات المسلحة العربية في الثورة العربية ، اذ أن دورها هو دور فصيلة من فصائل الثورة العربية .

محمد الميلي (الجزائر) :

ركز على أهمية اللامركزية في تنظيم الجيش الشعبي من أجل انجاز عملية التحرر الوطني . ان ثمة ضرورة كبيرة لايجاد مناخ نفسي للشعب يساعده على أن يتحول الى شبكات تؤي جيش التحرير الشعبي وتحميه وتحتضنه . ولابد من الافادة من التجارب الثورية لدى الآخرين مع ضرورة الانتباه الى أن أية تجربة ثورية مرتبطة بظروفها المشخصة . ولابد من معرفة واقع الشعب لفهم العلاقة بين التنظيم الشعبي والقوات المسلحة . إن واقع التخلف في البلاد العربية ، وبلاد العالم الثالث عامة ، إضافة الى الفراغ السياسي والى عوامل اخرى مشابهة . جعلت الجيوش تحتل مركزاً أساسياً في الثورة الشعبية ، وجعل هذه الجيوش تحمل مسؤولية كبيرة في التطوير الشعبي .

بابكر كوار (السودان) :

إن السيد منصور خالد يهاجم النظرة الماركسية في الثورة ، علماً بأن المنهج الثوري للماركسية قد أخذت به الثورة العربية . كما أن السيد منصور خالد لم يجدد التراث العربي الاسلامي وما فيه من عناصر ثورية . إن الجانب الثوري

من الاسلام هو الذي يفيدنا في معرفة التراث العربي ، وهو ماينبغي أن تفيدمنه الثورة العربية .

ثم بين السيد منصور خالد أن السبب في استمرار التخلف العربي هو الاستعمار أولاً ، ثم دور العقلية العربية .

عندما تكلم كريم مروة عن دور البورجوازية في الجيوش العربية أخذ الفكرة من الماركسية وطبقها خطأ على العالم العربي . والقوات المسلحة التي قامت بالثورة في مصر والجزائر والسودان (وهي بلدان تمثل ١٢٪ من مجموع الأمـــة العربية) هي قوات شعبية .

فيما يتعلق بدور الجيوش في الثورة العربية قامت القوات المسلحة العربية بحسم المهمة الاساسية التي يطلبها الشعب . قامت بعملها بعد أن فشلت الأحزاب كلها في أن تحقق المطلب الأساسي الجوهري للشعب . هذا صحيح في الجزائر ومصر والسودان . مثــــلاً في السودان ، جميع الأحزاب وقعت تحت نفوذ الدوائر الاستعمارية ، وكان هناك إصرار من الشعب السوداني على توطيد وجهه العربي ، لأن الاستعمار كان يرمي دائماً الى فصل السودان عن العروبة ، فجاءت ثورة مايو وحسمت النزاع الداخلي ، كما وضعت حداً للانعزال عن الركب العربي .

في مرحـــلة تصفية الاستعمار ، والتحرر من اسرائيل ، وقيام الثورة الاقتصادية ، لابد أن تكون اليد الأولى للقوات المسلحة العربية .

عبد الله الريماوي (الأردن) :

ليس صحيحاً أنه لادور للجيش قبل التفجير أو بعـــد التفجير ، وليس صحيحاً أيضاً القول إنه لادور للشعب .

ليس صحيحاً أن الشعب العربي، حتى في أكثر فئاته تأخراً وجهلاً، يدافع عن شرف الأسرة ولا يدافع عن شرف الأمة . والشاهد على ذلك هو القوافل الشعبية الهائلة من الشهداء الذين سقطوا ضد الاستعمار والاستغلال منذ ١٩٠٨ حتى الآن زوداً عن الشرف العربي والتقدم والوحدة العربية .

وأخيراً ليس صحيحاً أن حق الطلائع الثورية التي تقوم بتفجير الثورة هو حق مكتسب من كونها هي التي فجرت الثورة . إن قيادة الثورة ينبغي أن تكون في نطاق مصلحة الثورة ومقتضياتها .

مالك الأمين (ج.ع.س) :

الواقع ان هناك ظروفاً اجتماعية كانت سائدة ساعدت الجيش منذ نشأته على تحقيق بعض الأهداف الثورية . ذلك أن أفراد الطبقة البورجوازية التي استلمت الحكم بعد ما سمي بالاستقلال كانوا غالباً – وليس بشكل كامل – ما يحجمون عن إرسال ابنائهم الى القوات المسلحة ، خاصة بعد أن بدأت حرب فلسطين ، وايضاً بعد ان انتهت . وعندما حدثت الهزيمة الأولى أصبحت الجبهة في سوريا هي معقل الضباط من ذوي المنبت الكادح . وفي تلك الفترة كان التنظيم الحزبي في القوات المسلحة على الشكل الآتي : لم يكن هناك وحدات عسكرية يسيطر عليها الحزب ، بل كان هناك عدد من الضباط وضباط الصف والجنود ، ينظمون في شكل خلايا سرية ، بقيادة أحد العناصر المدنية . وهكذا كان الحزب في القوات المسلحة قوة فعالة في أواسط الخمسينات ، وكانت هذه القوة حجر عثرة ضد المخططات الامبريالية ، وخاصة حلف بغداد .

ثم حدثت الوحدة وتم حل الأحزاب ، وانتقل قسم كبير من الضباط

البعثيين الى القاهرة . وبعد الانفصال رجع هؤلاء الضباط الى سورية . قسم منهم كان ينتظره التسريح ، وقسم ينتظره السجن . وأعاد هؤلاء تنظيم الحزب وبدأت اتصالاتهم مع قيادة الحزب . كانت قيادة الحزب ترى أن ثورة الثامن من آذار يجب أن تتأخر قليلاً حتى يستعيد الحزب في جناحه المدني أنفاسه . ولكن ظروف حكم الانفصال كانت أيضاً في إطار هذا الواقع تلح لأن قوى أخرى تتربص . وبالتعاون مع بعض العسكريين التقدميين الوحدويين قامت ثورة الثامن من آذار، ولعب فيها التنظيم الحزبي في القوات المسلحة دوراً مميزاً .

هل تكون الجيش العقائدي في سورية؟ هل تخلص الرفاق العسكريون من سلبيات ذاتية علقت بهم ، وهم في حياتهم العسكرية ؟

قبل انتسابهم الى الكلية الحربية كانوا حزبيين ، تربوا في الحزب ثم في القوات المسلحة . وكان لابـد أن يحدث صراع جدلي بين التربية الحزبية ، والسلبيات التي يمكن ان تنتج عن الحياة العسكرية وخاصة في جيش تقليدي . ان تحرك التنظيم الحزبي في القوات المسلحة ، ليس فقط في آذار ، بل قبل ذلك ، أخذ عدة مرات شكل عصيانات عسكرية كانت تتم بأوامر من قيادة الحزب ، وليس بمزاج قائد عسكري . لقد كانت ثورة الثامن من آذار بقرار من قيادة الحزب ، ولو أن الفصائل المشتركة فيها لم تكن تعرف توقيتها باليوم .

ويجري التنظيم الحزبي في القوات المسلحة اليوم كما يلي :

هناك فروع حزبيـة ، وشُعب مستقلة في الوحدات حسب حجمها . وممثلو الفروع ، اي الحزبيون في الوحدات العسكرية ، يجتمعون لانتخاب ممثليهم في المؤتمر القطري ، ولايجب ان يزيد عدد العسكريين في المؤتمر القطري عن ٥ ٪ من مجموع أعضاء المؤتمر القطري ، مهما كان عدد أفراد التنظيم العسكري كبيراً،

ومهم كان عدد أفراد التنظيم المدني اقل . ثم تأتي القيادة القطرية وتعين المسؤولين عن قيادة الفروع . فالتمثيل الديمقراطي هو في المؤتمرات ، أما في قيادة التنظيم العسكري في الوحدة فيتم بالتعيين ضمن المقاييس التالية : الكفاءة الحزبية ، الأقدمية الحزبية ، الماضي النضالي ، الأقدمية العسكرية والكفاءة العسكرية . . كل هذه امور تؤخذ بعين الاعتبار حين انتخاب أمين فرع الحزب في احدى الوحدات .

يتولى الاشراف على التنظيم الحزبي في القوات المسلحة مكتب عسكري يرأسه أحد المدنيين . ولايكون هناك في قيادة الحزب اكثر من اثنين من العسكريين اذا نجحا ، وهما وزير الدفاع ورئيس الأركان العامة . اما اذا رشح عسكريان آخران نفسيهما في القيادة القطرية ونجحا ، ولم يكونا في أحد هذين المنصبين ، فان عليهما أن يتركا القوات المسلحة .

ARCHIVE

كل ذلك يجري وفق نظام داخلي للتنظيم الحزبي في القوات المسلحة تقترحه القيادة القطرية وتقره القيادة القومية للحزب .

في مجتمع متخلف كالمجتمع العربي فإن القوى المعادية كلها تراقب أي تغيير محتمل في المجتمع ، وتعرف عن القوى التقدمية أكثر مما تعرف هذه عن نفسها ، لأنها تمتلك الوسائل التي تمكنها من ذلك . وتعرف القوى المعادية مثلاً أن هناك تغييراً ما سيحدث ، فتسعى أن يكون لها يد في التبديل القادم المحتمل . ومن هنا تبدأ عملية تسلل واندساس في صفوف القوى الثورية والتنظيمات ، ومن بينها القوات المسلحة . وقد وقع هذا في حزبنا . هناك السلطة ومغرياتها وما تطرحه من حياة جديدة يمكن ان تغري الكثير من الناس في مجتمع متخلف ، في مجتمع لم تكتمل

ثقافته او وعيه القومي ، مما يؤدي الى انحرافات وتشبث بالسلطة على حساب المبادىء وعلى حساب الانضباط الحزبي . وهذا حدث ايضاً في حزبنا .

محمد ابراهيم نُقُد (السودان) :

رد على كل من الدكتور منصور خالد في بحثه ، والسيد بابكر كرار في مناقشته، بالملاحظات التالية :

لحسن الحظ أن الأخ منصور خالد والأخ بابكر كرار ليســـا من العسكريين ، والا لقادا الجيش في اتجاهات لايعرف مداها أحد على ضوء رأيها الذي أعلناه في هذه القاعة . إنني أرى أن على الفصائل الثورية في القوات المسلحة أن تحسم عملية الاستيلاء على السلطة، والا يكون ذلك بمعزل عن الحركة الشعبية . إن المسألة ليست مسألة دعوة الجيش لكي يعود الى الثكنات ، ولكنها مسألة الانتقال في الثورة من عملية عسكرية الى عملية شعبية . فاذا نظرنا في تجارب الثورة في البلاد العربية الأخرى، امكننا ان نتكهن بجوانب هذا الموضوع . إن الميثاق الوطني المصري يقول: إن الجيش قام بالثورة ولم يصنعها . كما يقول الميثاق في مكان آخر: إن ٥١٪ من مقاعد أجهزة الاتحاد الاشتراكي ومجلس الأمة تكون من نصيب الطبقة العاملة ، وليس القوات المسلحة .

واذا اخذنا خطابات الرئيس اللواء النميري ، نجد مثل هذه الأفكار ذاتها حول دور الجيش في الثورة . فقد قال الرئيس النميري : إن الثورة بدأها الجيش ، وإن الشعب يكمل مسيرة الثورة .

ان من المشاكل التي تواجهها الحركة الثورية، كثرة النظريين الوافدين على هذه الحركات الثورية . وهذه هي عقدة وجود نظريين، مهمتهم وضع نظريات فقط والتفرغ لها . وقد خلقت هذه العقدة فجوة بين المثقفين والعسكريين على أساس

أن المثقفين للنظريات ، وأن العسكريين للتنفيذ . وأرى أن هذه العقدة يجب أن تزول .. عقدة المثقف الذي يضع النظريات .

إن أهم شيء في موضوع العمل الثوري هو تحقيق أهداف الثورة . والقضية ليست قضية تحديد كما يرى الاخ منصور خالد ، ولكنها مسألة تغيير اجتماعي ثوري هائل . إن جنوب أفريقيا من أكثر أقطار أفريقيا تقدماً وتمكناً ، لكنها تسير في خط رجعي رأسمالي قائم على التفرقة العنصرية والاضطهاد . لذا يجب مراعاة عوامل التغيير قبل كل شيء .

إن للقوات المسلحة دورين : الاشتراك في السلطة ، وتنفيذ أهداف السلطة . وأنا لست من المنادين بعودة القوات المسلحة الى الثكنات . بالعكس انني أرى بقاءها في الشارع ، حيث تجد سندها الجماهيري لاستمرار تحقيق أهداف الثورة . ولكن السؤال هو كيف تنقل الثورة الحالية الى يد القوى صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتشار المعرفة في البلاد العربية يضمن
وصول الإعلان إلى ألوف المواطنين العرب

ب : ٧٥ ل.س	ربع صفحة
١٥٠ ل.س	نصف صفحة
٢٥٠ ل.س	صفحة كاملة
٢٤٠ ل.س	الغلاف من الداخل
٣٠٠ ل.س	الغلاف من الداخل ملون

هدية

كتاب ثمين من مطبوعات وزارة الثقافة

تحصل عليه

بعد شهر واحد

من تسديد الاشتراك في :

مجلة المعرفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القسم السّابع

القضية الفلسطينيّة كمحور للثورة العربيّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحوث

- أبو القاسم هاشم (السودان)
- شفيق الحوت (فلسطين)
- حسن الخطيب (ج.ع.س)
- فاروق قدومي (فلسطين)
- المهدي العلوي (المغرب)

القضية الفلسطينية كمحور للثورة العربية

بحث : أبو القاسم هاشم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايها الأشقاء ،

انها لفرصة طيبة حقاً أن نلتقي في سودان الثورة الذي كانت ثورته أحد مظاهر الصحوة التاريخية التي اعقبت نكسة حزيران. ولا شك أن لقاءنا هذا هو حلقة لاتنفصل عن سلسلة الاستجابة التاريخية للتحدي الصهيوني–الاستعماري الذي يهدد بصورة مباشرة وجودنا الحضاري ومصيرنا الانساني كأمة لها الحق في أن تعيش وتبني مستقبلها بسلام، متحررة من كل أشكال القهر والاستغلال .

ايها الأشقاء ،

اننا نرحب بكم أحر الترحيب عند ملتقى النيلين اللذين يتحدان في جسم واحد ليتجها الى الشمال ،ويؤكدا أعمق معاني الارتباط الحضاري الذي يربطنا بالشمال .. بالأمة العربية ، التي نرتبط بها ارتباطاً عضوياً لاينفصم ؛ اذ لايربطنا بها الماضي المشترك ، أو الحاضر الذي تنطبع عليه علامات تجانس عميقة فحسب ، وانما يربطنا بها أيضاً المستقبل ..

المصير الواحد المشترك الذي تشكل عملية التغيير الحضاري في سودان الثورة خيطاً من نسيجه الموحد المنسجم .

أيها الأشقاء ،

ان هذا اللقاء يكتسب دلالة خاصة من حيث كونه ، كما أسلفت ، أحد مظاهر الصحوة التاريخية التي أعقبت هزيمة حزيران . والواقع أن هذه الصحوة التي كانت نتيجة ايجابية أفرزها واقع النكسة ، تدل على أصالة أمتنا وعلى الزخم الحضاري الكامن في داخلها ، والذي تفجر عقب النكسة وفي لحظة الاحساس بالخطر على الوجود والمصير ، مشكلا رفض أمتنا التاريخي للهزيمة . ان محاولة استكشاف عوامل النكسة كانت تتم برفض مسبق للنكسة وبأفق علمي يستهدف تحديد السبل لتجاوزها . ولئن لم يستطع لقاء الربيع بالجزائر أن يعطي كل ثماره المرجوة لما أعقبه من أحداث ، فان الأمل كبير في أن يستطيع لقاؤنا هذا المساهمة بدفع مسيرة الثورة العربية خطوات الى الامام ، والمساهمة في تأصيل منطلقاتها واستكشاف المزيد من واقعنا الحضاري الراهن وامكانياتنا الحضارية الكامنة .

أيها الأشقاء ،

ان التوحيد للقضية الفلسطينية ، وما تمثله بالنسبة للثورة العربية ، يستلزم الحديث عن طبيعة الكيان الصهيوني الذي غرس في أرض فلسطين ، وعن تلك الصلة العضوية والمصيرية التي تربط هذا الكيان بالاستعمار العالمي .

اننا نقيم اسرائيل ومعركتنا معها من خلال المنظور الحضاري . ومن هذه الزاوية فان اسرائيل في التحليل الأخير هي تحد حضاري تسنده خلفية حضارية أخرى بكل طاقاتها وثقلها المادي والروحي . لقد حاولت الحركة الصهيونية منذ قيامها ترسيخ مرتكزات روحية وشعورية وخلق مبررات ايديولوجية لتؤكد شرعية الحركة الصهيونية وتنطلق الى المدى الذي رسمته لنفسها .

فالصهيونية بدأت بتقرير ان اليهود يشكلون أمة لها كل خصائص الأمة ، ويربطهم في المقام الأول أصل عنصري واحد . ولكن النظرة العلمية المتجردة من كل التأثيرات الذاتية تثبت غير ذلك ، وتؤدي بالتالي الى تحطيم هذه الركيزة الروحية . فهذا هو الخبير اليهودي هاري شابيرو – رئيس دائرة الانسان ، في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي – يقرر أن اليهود « لايشكلون عشيرة أو قبيلة أو أمة بالمعنى الضيق لهذه الكلمة » .

.. ومن المستغرب ان يعتبر البعض « اليهود » على ضوء ماضيهم ، عنصراً متمايزا وأن

يقوموا بجهود كبيرة لاثبات ذلك . ليس من دليل حاسم على الزعم بأن اليهود يشكلون وحدة عنصرية وفقا للمعايير التقليدية للتصنيف العنصري (القضية الفلسطينية – مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت – ص ١٩) .

ان اليهود لا يشكلون وحدة عنصرية متجانسة ، فليس هناك – كما يدعي البعض – عنصر يهودي نقي ، مثل هذا الادعاء لاتسنده وقائع علم الانسان . إذ ان اليهود كغيرهم من الشعوب يعود اصلهم لمجموعة مختلفة من الاجناس . كما ان اليهود لا توجد لديهم لغة مشتركة من الممكن أن تكون قد خلقت لديهم وجدانا مشتركا ، وإنما يتحدثون لغات المجتمعات التي التصقوا بها .

ونتيجة لذلك فالصهيونية تحاول بعث اللغة العبرية في محاولة لتأكيد الذاتية اليهودية ، ولكن العبرية في التحليل الآخر هي لغة مفروضة على مجموعات مختلفة وغريبة على بعضها . وليس هناك تجانس بين اليهود في عاداتهم وتقاليدهم ، إذ أن عادات كل مجموعة تحمل سمات المجتمع الذي عاشت فيه .

كما ان اليهود ليس لهم تاريخ مشترك . فهم طيلة العشرين قرنا الماضية عاشوا موزعين في اقطار مختلفة . وقد أدى التصاقهم بالمجتمعات التي عاشوا فيها الى تحلل شخصيتهم وامتصاصهم حضاريا الى حد كبير . وخلاصة القول إن الرابطة التي تربط اليهود ليست برابطة قومية وإنما هي مجرد رابطة دينية لا غير .

ان اليهودي قد اكتسب في اي موطن يقيم به حق المواطنين واصبح من المفترض ان يمارس كل فعالياته في اطار هذا الانتماء ، ولكنه لا يتميز عن باقي المواطنين بهوية قومية خاصة وبانتماء لأمة يهودية تتميز بسمات حضارية معينة تجعلها متفردة وقائمة .

ان الصهيونية مؤسسة استغلالية ارتبطت نشأتها بتطلع استعماري واضح . هذه هي الخاصية الأولية والأساسية التي يجب أن ندركها عندما ندقق في جوهر الحركة الصهيونية . فهي **حركة استغلالية** تستهدف الالغاء الفعلي لوجود الأمة العربية الحضاري ، وهي **حركة استعمارية** تحقق اهدافها عن طريق التوسع واستلاب الأرض ؛ وهذه خاصية ملائمة لتركيبها النفسي وضرورة موضوعية تحكم مسيرتها لتحقيق اهدافها .

ان التاريخ يحدثنا ان المؤتمر الصهيوني السابع اتخذ قرارا هاما بأن «تتشبث الحركة الصهيونية بالمبدأ الأساسي الوارد في برنامج مؤتمر بال والقائل بانشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يكفله القانون العام ، وترفض كهدف وكوسيلة أي عمل استيطاني خارج

فلسطين والبلاد المجاورة لها» - (القضية الفلسطينية - مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ص ٣٥).

وهكذا، وبلا أي مجهود لاخفاء الاهداف الاستعمارية التوسعية، أعلن المؤتمر الصهيوني نواياه. ولا شك بان فهم تلك المحركات الاصيلة للحركة الصهيونية يعيننا كثيرا على فهم ما يجري اليوم.

لقد حددت الصهيونية منذ البداية هدفها ومبرر وجودها بوضوح، وهو انشاء دولة اسرائيل كاطار سياسي حضاري يستوعب اليهود في كل العالم، وعلى حساب الأمة العربية التي تقيم في المنطقة وترتبط جذورها بالأرض. ولقد كانت مواقف الصهيونية حلقات واضحة تشكل سلسلة متكاملة بدأت من تأسيس الصندوق القومي اليهودي، ومرت بمخطط التهجير والاستيطان، لتصل في النهاية الى تحقيق الهدف الأساسي، وهو انشاء اسرائيل.

ولكن حتى تتم الخطوة النهائية، وتظهر الى الوجود دولة اسرائيل، فإن الصهيونية لم تكن قادرة موضوعيا على الاعتماد على قدراتها الذاتية. كان لا بد للصهيونية ان تتحالف مع الاستعمار. لقد أسلفنا القول ان الصهيونية مؤسسة استعمارية استغلالية، وقلنا إن تلك خاصية ذاتية ملازمة لها، وهذا يجعل منها مؤسسة ذات روح غير متناقضة مع روح الاستعمار العالمي ان هذا هو الاعتبار الذاتي للانسجام القائم بين الصهيونية والاستعمار العالمي ينضاف الى الاعتبار الموضوعي وهو الاعتبار العملي الذي أشرنا اليه. فالصهيونية لم يكن باستطاعتها تحقيق هدفها وهو قيام دولة اسرائيل من غير ان تتحالف مع الاستعمار العالمي.

وبالمقابل، فإن الاستعمار العالمي قد انشأ في المنطقة مصالح مادية متشابكة. وله تحركاته التي من الممكن تركيزها في الأهمية الاستراتيجية التي يمثلها العالم العربي من وجهة النظر الجغرافية، بالاضافة الى غنى المنطقة بالبترول واحتوائها على نسبة كبيرة من الاحتياطي العالمي له.

وفي مقابل هذا التحالف الاستعماري الصهيوني وتحركاته الجدية لتحقيق أهدافه كانت الأمة العربية في حالة شبه غياب. فهذا التحرك ما كان من الممكن أن يقدر له النجاح لو لم تكن هناك استجابة سلبية من قبل الامة العربية. فقد كانت الأمة العربية محكومة بواقع التجزئة والتخلف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وكل التحركات العربية المضادة لم يكن من الممكن ان تكون فعالة بالقدر المؤثر لانطلاقها من هذا الواقع المجزأ المتخلف وارتكازها عليه.

ولكن قيام اسرائيل ونشأة التحالف الصهيوني – الاستعماري أخذ بشكل تحدياً مصيرياً للأمة العربية ، فهو تحد مباشر لحاضر الأمة العربية ، وتحـد مصيري لمستقبل الأمة العربية التي تتجه حركتها التاريخية نحو الوحدة ونحو التحرر من كل صنوف الاستغلال والقهر الاستعماري .

وازاء هذا التحدي المصيري كانت الاستجابة التاريخية للأمة العربيـة . كانت ثورة ٢٣ يوليو في عام ١٩٥٢ بمصر . لقد كان قيام اسرائيل عاملا اساسياً انضاف لباقي العوامل في تشكيل رفض الطليعة الثورية بمصر للواقع الفاسد على المستوى الوطـني والمستوى القومي . ومشاركة الطليعة الثورية الـتي فجرت ثورة يوليو في المعركة واستبسالها كان بالطبع انعكاساً بليغاً لحسها القومي ، واحساساً ناضجاً بطبيعة الخطر الصهيوني . ويعبر المناضل جمال عبد الناصر عن ذلك بوضوح حينما يقول في « فلسفة الثورة » :

« ولما بدأت ازمة فلسطين كنت مقتنعاً في أعماقي بأن القتال في فلسطين ليس قتالا في أرض غريبة ، وليس انسياقا وراء عاطفة ، وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس » .

وكانت مسألة العلاقة الوثيقة والصميمة التي تربط الصهيونية بالاستعمار واضحة بالنسبة للطليعة الثورية في مصر ، فكانت تعمل بأفق وطني معاد للاستعمار معاداة صريحة . وتمثل ذلك بأقوى امثلة في تأميم قناة السويس في يوليو (تموز) ١٩٥٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلنا نعرف ماحدث بعد ذلك ، فالعدوان الثلاثي كان تأكيداً جديداً على الصلة العضوية التي تربط الصهيونية بالاستعمار العالمي . وقد صمد الشعب المصري صموداً بطولياً واستطاعت الطليعة الثورية بتلاحمها مع الجماهير ان تخرج ظافرة من حرب اكتوبر ١٩٥٦ . وكان لفشل العدوان الثلاثي آثاره البعيدة والعميقة المدى في المنطقة . لقـد انطلقت موجة الثورة حرباً على الواقع العربي الفاسد والمريض الذي كان ينوء ببصمات القرون الوسطى في كل انحاء المنطقة .

وكانت انطلاقة الثورة الجزائرية من قبل حرب السويس حدثاً بارزاً في واقع الثورة القومية الشاملة ، ومنعطفاً تاريخياً استشرف به نضال امتنا آفاقه الروحية البعيدة وجذوره الحضارية العميقة . فكانت ثورة الجزائر في كل ماجرى فيها تعبيراً رائعاً عما في اعماق امتنا العربية من اسباب الحياة وعما فيها من قوى الصمود والردع .

لقد دخل « غي موليه » حرب السويس لينهي ثورة الجزائر في مصر على حد قوله . ولقد كان متعذراً عليه ان يكسب حرب المليون شهيد بعد ان خسـر حرب

اكتوبر . لكنه بمشاركته في العدوان الثلاثي كشف عن العمق البعيد للارتباط بين مواقع الثورة العربية ، وأبان بحق طبيعة الدوافع العدوانية على الأمة العربية ، ودلل على أن أرض فلسطين لاتسترد الا بالنضال المسلح .

وها نحن في فبراير من عام ١٩٥٨ أمام حدث جاء تأكيداً للمنطلق الوحدوي للثورة العربية ، بل تأكيداً لرفض واقع التجزئة بوصفه الأرضية التي يرتكز عليها تخلف امتنا وانهزاميتها .

ولم تلبث أن نجحت ثورة العراق في ١٤ يوليو ١٩٥٨ ، وأطاحت بالرجعية والأسرة المالكة العراقية تأكيداً للمنطلق التقدمي للثورة العربية التي ترفض انظمة القرون الوسطى الفوقية ، تلك التي تستمد بقاءها من وضعية التخلف والقهر الذي تخضع له الجماهير العربية .

لقد أصابت هذه الموجة الثورية التي عمت المنطقة الاستعمار بذهول اندفع بعده يتصرف بعصبية شديدة . وكلنا يعلم ما أعقب ذلك من انزال جنود البحرية الأمريكية في لبنان ، وانزال القوات البريطانية في الأردن .

وسلسلة التحديات هذه ، وما قابلها من ردود فعل ، كانت تراكماً كمياً أدى في نهاية الأمر للاستجابة النوعية الأساسية لحركة الثورة العربية ، ونعني بذلك انتقـال الثورة العربية من مرحلة الافق الوطني الى مرحلة افق اكثر جذرية ورحابة ، وهو الافـق **الاشتراكي** . ان حركة الامةالعربية لتحقيق وحدتها لم تعد مجرد حركة لخلق اطار سياسي موحد، وانما اكتسبت بهذا التحول النوعي عمقاً اجتماعياً فاستجابة الامة العربية تطورت متكاملة من رفض الاستعمار الى رفض الاستغلال .

ان رفض الاستغلال والاتجاه لتحطيم البنى الاجتماعية التقليدية يشكل شرطاً إساسياً لتحرير الواقع العربي من كل عوامل التخلف والتجزئة . والتحويل الاشتراكي في المجتمع سيؤدي بالطبع الى تحلل الطبقات الرجعية وفقدانها لكل مرتكزاتها التي تمارس عن طريقها تأثيرها ، وهي طبقات متحالفة مع الاستعمار ولا تستطيع ان تمارس امتصاصها الطفيلي لجماهير العربية الا عن طريق تحالفها الوثيق معه . لقـد كانت الاشتراكية هي الموقف الأكثر جذرية وفعالية لمواجهة الأعداء ، ولكنها كانت قبل كل شيء حلا حتمياً انبثق من الحاجة الاصيلة للامة العربية للقضاء على مسببات تخلفها وعبوديتها .

ولكن الاستعمار والطبقات الرجعية لم تتوقف عن محاربة حركة الثورة العربية ،

ونجح هذا التحالف في ضرب الثورة العربية بتحطيم النواة التي كانت تجسد التطلع الوحدي للامة العربية، ونعني بذلك مؤامرة الانفصال بعد الوحدة بين مصر وسوريا . بيد ان نجاح الانفصاليين في تحقيق اهدافهم كان مدخلا لمرحلة التصفية الجذرية لقوى الاستغلال العربية، ولقد شهدنا في المجتمع العربي اتجاهاً تعاظم يوماً اثر آخر لتحطيم كافة جذورها بالقانون وبالتشريع ، بل وبكافة أشكال العمل الاجتماعي .

. أيها الأشقاء ،

ضمن هذه المرحلة ادرك التحالف الاستعماري الصهيوني انه بات محكوماً عليه ان يعمل بمعزل عن ركائزه المحلية ، وذلك وضع يعرض خططه للارتباك والفشل ، ومن ثم فقد كان محتماً عليه ان يعمل معوضاً هذا الخلل الذي نشأ في جبهته اثر الاتجاه الجاد لتمتين قواعد التحول الاشتراكي على الارض العربية .

لقد كان من أبرز اهداف عدوان حزيران القضاء على الانظمة الثورية ذات النهج الاشتراكي ، وهو هدف اصيل للعدوان طالما كانت الاشتراكية هدفاً مشدوداً للوحدة كاطار بقي باحتياجاتها ويضمن لها افقها المتكافىء وشقها الاصيل .

لقد اصبحت حركة الامة العربية باتجاه الهدف التالي ، وهو زوال اسرائيل محكومة باعتبارات يمثلها الجماهير واقعاً حياً وآمنت بها مبادئاً توجه جهدها وتنظم خطاها على ضوء التجربة الحية والمعادة . لقد اصبح ضرورياً :

١ — ان يتم التغيير الجذري الشامل للواقع الذي عمل الاستعمار للحفاظ عليه من وراء قيام اسرائيل .

٢ — ان ترسيخ أسس المجتمع الذي في ظله تبلغ الارادة العربية مبلغ القوة التي تمكنها من مواجهة التحالف الاستعماري الصهيوني الشرس . وهنا كان التحالف الاستعماري — الصهيوني ليقف مكتوف اليدين امام حركة امتنا باتجاه اهدافها، خاصة وقد اصبح بين يديها اسلحة النزال ودوافع الحركة .

لقد كان صباح الخامس من حزيران بداية المرحلة الجديدة التي نعيشها ، مرحلة الصمود الذي شارف آفاقاً ابعد لتدرك الجماهير :

١ — ان التقدم العربي كان هو الهدف ، ذلك الهدف المركب من مطلبي الوحدة والاشتراكية باعتبارهما نسيج المجتمع القادر على دحر العدوان واجتثاث جذوره .

٢ – كذلك كانت الجماهير تلك التي تملكت فرصتها على المبادرة والمشاركة في صياغة مصيرها وتحقيق سيطرتها على مقدراتها .

لكن ماذا كان بعد حزيران ؟؟

١ – ثورة الامة زادت تماسكاً وصلابة .

٢ – والجماهير تهيأ لها شعور اعمق بوحدتها . دليلنا على ذلك ما جرى في ٩ و ١٠ يونيو .

٣ – وهدف الوحدة صار اقرب منالاً .

٤ – وارادة الامة تجسدت واقعاً فرض نفسه بالمقاومة الفلسطينية ، داخل الارض المحتلة .

٥ – وثورة في السودان .

٦ – واخرى في ليبيا أعقبتا خلاصاً من الاستعمار في اليمن الجنوبي لتؤكد في مجموعها ان ارتباط الأطراف بالقلب اكتمال للعافية وتأكيد لارادة الحياة .

من قبل حزيران كان النضال مستهدفاً :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ – القضاء الكامل على ثقافة العدو ومؤسساته الثقافية ليسترد الانسان .

٢ – القضاء الكامل على مصالح العدو ومؤسساته الاقتصادية ليسترد الثروة سنداً للارادة الوطنية ودعماً لجهودها .

٣ – القضاء الكامل على قيم التخلف ومؤسساتها الاجتماعية لتتوفر الظروف الموضوعية للانطلاق .

٤ – هدم كامل لكافة مكامن القهر الاجتماعي والسياسي والعسكري وافساحاً للمجال ووصولاً الى مجتمع الثورة المنشودة .

وبعد حزيران يزيد الأصرار على تدعيم الاتجاه وعلى انجاز ما لم ينجز طالما كان الهدف من العدوان إيقاف مسيرة امتنا في هذا السبيل .

قبل حزيران اهدر الكثير من الطاقة وانعدمت الرؤية في كثير من المواقع، لكن النضال العربي على ضوء ما جرى في حزيران اصبح مطالباً بأن ينهج نهج الاعداء في الاعداد والحشد والتعبئة . لقد اصبح مطالباً :

١ – ان يحدد في وضوح اهدافه تحديداً يقوم على الدراسة والتمحيص .

٢ – وأن يخطط بالعلم بدقة ومرونة .

٣ – وأن يستخدم ما انجزه العصر من ادوات ووسائل ، ويشهد على ذلك ان العدو الصهيوني ما كان له ان يكسب الارض ويدحر الجيوش الا لأنه التزم بكل ذلك، وما كانت امتنا لتفقد الارض وتخسر الجيوش الا لأنها افتقرت الى كل ذلك .

ان قوى النضال العربي بما توافر لها إثر حزيران من عناصر اليقظـــة ووضوح النموذج والمثل مجسداً في واقع العدو تصبح اقرب الى تحقيق الهدف لكون حركتها نحوه باتت مدعومة بحركة التاريخ ذاته، مصحوبة بقواه المؤثرة في هذا الاتجاه، بل من فوق هذا :

١ – احساس بالذات يتكامل يوماً اثر آخر .

٢ – وثقة في النفس يذكيها شعور بتبدل في الأحوال مستمر .

٣ – وتجربة تكشف عما فيها من استعداد وعما تحت يديها من امكانيات .

٤ – وتنوع في جبهات المواجهة العسكرية تقوى من الأمل بعد ازدياد فاعلية الجبهة الشرقية المستمر .

أيها الأشقاء ،

ان المواجهة الثورية الحاسمة التي اخذت امتنا بعد حزيران تتهيأ للاضطلاع بعبئها كاملا ، لا بد ان تبدأ بسعي مستمر لاستجلاء طبيعة الخلل الذي خلفته عهود السيطرة الاستعمارية والذي كرسته قوى السلطة الرجعية على أرضنا العربية .

وذلك أمر ضروري كي تتمكن الارادة الثورية من ازالة كافة الوان القهر الذي عطل طاقة الامة وشل ارادتها .

نحن أيضاً مطالبون بأن نقدر في جدية وموضوعية حجم الظروف الموضوعية التي تهيأت للثورة العربية الشاملة ، وان نمد بصرنا بعيداً لندرك آفاق الطاقة المتاحة لنا وهي قائمة في كل موقع فيه للعدو أثر ونفوذ .

أيها الاشقاء ،

ان قرار الاخوة الثوار في ليبيا ، والقاضي بانهاء قواعد الاستعمار في هويلس ، تحررت به الارادة الثورية لشعبنا العربي في ليبيا من قيدها الكبير ، وتحقق للثورة الليبية أمنها . ولكنه الى جانب ذلك حرم الاعداء فرصة العمل من مواقع متعددة ، وهو أمر كان يوفر لهم ميزة الحركة بحرية تامة ، الأمر الذي أتاح لهم قدرة الاقتحام والمباغتة .

ان ترحيبنا بما انجزه ثوار ليبيا يجب ألا ينسينا ان عبئاً جديداً وقع على كاهل

الصامدين على ضفاف القناة ، اذ ان العدو يمضي الآن مهووساً يوسع من نطاق عدوانه حتى ضواحي القاهرة في محاولة مستميتة لجرنا الى المعركة من جديد قبـــل ان يفقد الميزة نهائياً .

ان ضرب المواقع المدنية في ضواحي القاهرة هو في حقيقة أمره نتاج لجملة عوامل كان من أبرزها قرار السلطة الثورية في ليبيا .

انه اذا كان لمثل هذا القرار ، بآثاره الخطيرة وتكاليفه الباهظة ، ان ينسحب اثره باتساع رقعة تتخطى حدود الوطن الليبي، فذلك مما يؤكد بالقطع واليقين ضرورة ان تصبح الارادة الثورية في موقف مماثل لارادة الاعداء لاتعرف حدوداً ولا تحدها مواقع .

الظروف الموضوعيـة مهيأة :

واولها شروخ في المرتكزات الروحية والفكرية للعدو وانهيار في روحه المعنوية .

الفكر الصهيوني التوسعي الاستعلائي ذات القيمة التي للمطامح الصهيونية ،من ذلك مايكشف عنه اتجاه « ابرغتربروج » المفكر والزعيم الصهيوني الشهير حين يقول : « ان بعث اليهود في هذا العصر يجب ان يستند الى بعث الروح اليهودية العنيفة كالروح التي تمت في التيه على يد موسى ويشوع ،وانما أيضاً بهؤلاء الذين كانوا الجيل الثاني بعد الخروج من مصر حيث استطاع يشوع دخول فلسطين من جهة ازيحا بعد عبور الاردن من جهة الشرق .

ولولا تشبع بنو اسرائيل بروح الاقتحام والفتك لما استطاعوا دخول فلسطين من شرق ولا من غرب ، وربما بقوا في التيه وأكلتهم الصحراء وفنوا » .

بمثل هذه الروح التي اشار اليها الزعيم الصهيوني تمكن يهود العالم كله من دعم نشاط المنظمات الصهيونية على جبهة كبيرة باتســاع العالم كله فكرت ونظمت ونفذت مخطط الاستيلاء على الارض العربية في فلسطين .

لقد ارتكز الأعداء على معتقدات دينيـــة وأصول فكرية ومطامح إقتصادية وسياسية وفرت لهم إمكانية القوة الضاربة .

ولئن كانت الظروف الموضوعيـــة دولياً وعربياً قد توفرت لتحقيق اهداف الصهيونية على الأرض العربية في كثير من الحالات،الا ان الجرأة التي دفعت العدو لشن

ثلاث حروب متوالية علينا كانت دليلا كافياً على التصميم الذي مبعثه ثقة في النفس كبيرة ، واقتناع تام بالهدف، ووضوح تام في الرؤيا، وهي جميعها عوامل الاصرار والنجاح. وبالمقابل فلقد كانت امتنا تفتقر الى ذلك كله وكان طبيعياً ان تخسر الجيوش والارض على السواء .

لكننا نلاحظ ان العدو قد انكشف غازياً عدوانياً بعد النجاح الذي لقيته دعايته فيا مضى حين صورته في موضوع من تتهدده الاخطار من كل جانب العدو . وهو يخسر قطاعاً كبيراً من الرأي العام العالمي ، وكان قبلا قد اتخذ من الرأي العام العالمي اداة للضغط على الارادة العربية وشلها حين وضعها موضع الخشية والحذر من مؤثراته التي مارسها عليه .

امتنا العربية تملك حق من يقاوم ، وهو حق يجد تقديراً كافيـــاً لدى الرأي العام العالمي، ويفهمه الآن اكثر من أي وقت مضى . ان المقاومة هي صورة من صور الحرب الفعالة قادرة على ايلام العدو واستنزاف جهده، بل وهزيمته على المدى الطويل لو توافرت لها شروط النمو والتصاعد بحيث تؤثر على الحياة الطبيعية للعدو في أرضنا المحتلة ، وبحيث تستقطب كل العرب الواقعين تحت قبضة الاحتلال .

والمقاومة هي فوق كل ذلك سبيلنا لمواجهة لايحكمها البعد الدولي الذي كان ركيزة لخطط التحالف الماضي .

على أن الذي نركز حوله بالاشارة هنا هو الآثار النفسية والفكرية التي لازمت ظهور حركة المقاومة كعنصر مؤثر في اتجاه المواجهة الحاسمة مع العدو .

ان كافة اساليب القمع الوحشية التي مارسها العدو لم تضعف من أثر المقاومة ، بل زادتها قوة ومتانة ، فكفاءة المقاتلين تزداد باستمرار وروحهم المعنوية تتعالى متخطية كافة الوان الخداع والغدر ، وامر كهـــذا لاتخفى حقيقته على العدو الذي راح يتفادى الصدام المباشر دونما طائل .

ان الخسائر المستمرة في الارواح والمعدات في صف العدو توقعه صريعاً لاهتزاز عميق في كل معتقداته ودوافعه، فهو في ضيق وحيرة وخوف وما يصاحب ذلك كله من صراع داخلي حاد، وشك قاتل تصبح معه الارض رخوة تحت اقدامه . وتلك في تقديري أهم المؤثرات التي تدعونا للاسراع بالتركيز حول اهداف العدوان ونواياه نكشفها ونعريها ونجعل منها همنا الاعلامي الكبير وجهد الاتصال الاول .

لقد بدأ العدو يفقد ميزة العمل الدعائي المؤثر، ولقد كان النجاح الذي اصابه ساتراً

يحمي جهده في الحفاظ على دوافع العدوان وحوافزه ،لكنه على ارض المعركة يظهر على حقيقته غازياً يفتقر الى ابسط مشاعر الانسانية .

ان ما ارتكبه الصهاينة من مذابح وحشية دموية في دير ياسين وطبرية وناصر الدين وغزة ونحالين وغيرها، وبها نشروا الارهاب وزرعوا الحقد في أرضنا العربية ، تتكشف الآن دوافعه جليه تظهر الفارق الشاسع بين أخلاق العدوان وقيم النضال التي يتمسك بها أبناء امتنا ، فاذا هم مقاتلون أشداء يكسبون المعركة مها طال أمدها وغلت تكاليفها .

لم تأت المقاومة العربية في الأرض المحتلة تأكيداً للحق المسلوب وحسب،بل جاءت تعبيراً عن قيم ينبغي لها أن تبقى وتسود .

لقد كان الصهيونية في تعاليمها ومطامعها السياسية والاقتصادية ما يمكنها بفعاليةمن التعبير عن روح الاقتحام ، فاذا الايمان بالحق والاستهانة بالخطر يعوض الأمة جهد ما افتقدته قبلاً .

على انه ايها الأخوة إذا كان صحيحاً انه ليس بعد القتال وسيلة لاسترداد الحق المسلوب ، فان معرفتنا بعدونا تعيلنا تماماً على منازلته وتوجيه الضربات اليه في مواقع الألم .

ان العدو يعرفنا تماماً ، لكننا نجهله في كثير من مقومات شخصيته . صحيح انها تند في جوانب كثيرة منها عن التقييم الشامل ، لأنه اعتاد ان يخفي هويته في كثير من الحالات ، لكننا لهذا السبب مطالبون بتعميق الدراسات حول العدو وأساليبه وانماط تفكيره حتى لا نصاب بمزيد من النكسات ومزيد من الخسائر في المعدات والأرواح .

ظروف دولية بالغة الحساسية . وجبهة الشعب هي الملاذ :

لقد تعرضنا بالاثابة للصلة العضوية بين مصالح الاستعمار والصهيونية ، وأدركنا من خلال المعاناة ان اسرائيل هي رأس الرمح في المخطط الاستعماري بفرض سيطرة الغرب على الأرض العربيةواسرائيل،وهي بهذا القمةللاستعمار العالمي وخاصة الاستعمار الامريكي. يقول عنها كنيدي :

« لقد حان الوقت الذي ينبغي ان تدرك فيه كل دول العالم ، في الشرق الأوسط وفي غيره من الأماكن،ان اسرائيل قد وجدت لتبقى . فاسرائيل بالرغم من انها محاطة من كل جانب (بالحقد الأعمى والكراهية) ، انما تعيش كل يوم في جو من التوتر المستمر

ARCHIVE

والخوف، ومن المؤكد انها ستتغلب على هذه الأزمة الحالية وكل الأزمات القادمة. ويجب أن تشمل كل المفاوضات التي تدور مع الولايات المتحدة هذه الحقيقة. »

لقد كان كنجر على استعداد للدفاع عن العدو الاسرائيلي في أرضنا العربية مها غلا الثمن، وكذلك شأن كل قادة امريكا دون استثناء. تحكمهم في ذلك مصالح الاستعمار الأمريكي واحتكاراته التي يتأثر مستقبلها، اذا فقدت الموقع العربي الممتاز والموارد العربية الهائلة، وعلى رأسها البترول.

وعلى الطرف الآخر فان الأصدقاء في المعسكر الاشتراكي - وفي مقدمتهم الاتحاد السوفييتي - قد قدموا كل ما في استطاعتهم وما زالوا يقدمون. وسوف يجدون أنفسهم في موقف يحفزهم الى الاستمرار في تقديم العون رغم تكاليفه الكبيرة، طالما كان باستطاعتهم ان يلمسوا تعاظماً في قوة الارادة الوطنية وقدرتها على الصمود والمواجهة.

تبدل في الفكر:

ان ما جرى من تواطؤ بين الاستعمار الحديث والصهيونية في حرب يونيو الأخيرة ليس الا امتداداً وتطوراً في أساليب التآمر والغدر بالأمة العربية على مدى تاريخها كله، لكن ما كشفت عنه الأمانة مؤخراً لا يقبل ان يمضي الذهن العربي في تصوره لحجم الخطر كما اعتاد، بل ان عليه ان يتجاوز المعهود مستبعداً أشكال التصور كافة، معتمداً على الفروض العلمية، مستعيناً بادراك علمي موضوعي لعناصر الوجود الصهيوني.

كل ذلك ضروري كما تطال أشكال التآمر في المستقبل، بيد ان الذي جرى من تغيير بالفعل ينبىء عن ان مغالبة الذات والخروج عن مألوف التصور والاحكام هو أحد مكاسبنا الكبيرة في المعركة بحسبانه أقوى ركائز العمل الجاد للقضاء الشامل على الواقع العاجز الذي عطل الطاقة وقعد بالأمة حبيسة التخلف والجمود.

لقد بات الآن بمقدورنا ان نحرك الذهن لنختزن الطاقــة ونوفر الجهد ونقوي من أثره.

ان تغييراً في اتجاه التفكير على ضوء التجربة مع العدو يعني أن خبرتنا معه ستقود جهودنا نحو آفاق أشد التصاقاً بالهدف الذي نسعى لتحقيقه، لكنه من الضروري في هذا الصدد ان نحزم في جد وصرامة أي اتجاه يرمي الى تكريس حجج الأعداء واضحة كانت أم مغلفة.

ان قطاعاً كبيراً من الذين يقسون في أحكامهم على أمتنا ويهولون من حجم الخلل، فاتهم ان أفكار الاستعمار وقيمه التي بذرها في الأرض العربية وخلفها من ورائه كانت ولا تزال أقوى عوامل الجمود والتخلف .

اننا نحاول الآن في سودان الثورة ان نحدث تبدلاً يتكافأ وحجم الدروس المستفادة من تجربة الأمة مع أعدائها . ولقد نعجب ان نتصور كيف أمكن لنا الاقدام على الخطوة التي ظل يحسبها الكثيرون عملاً لا يجوز الاقتراب منه في حدود الطاقة المتاحة لشعبنا،غير ان الشعب كان كما تصورنا قادراً على الوفاء بعبء التكلفة، وأكثر منه كان الشعب مستعداً في ظل الممارسة ان يكون مرشداً للسلطة في اتجاه العمل الصحيح .

ان العمل الخلاق هو نتاج لأفقه الفكري . يتحتم لنجاح المسعى حينئذ ان يتم تركيز كبير وباتساع رقعة الوطن العربي كله لتأصيل المعاني الذهنية الرائعة التي تمخضت عنها معارك التحدي المستمر .

منها معاني الوحدة القومية التي تجسدت في حركة الجماهير صورة رائعة لارادة الأمة التي ترفض الهزيمة وتأبى الا ان ترد بالثورة لافساد مخطط الاعداء .

ومنها معاني هذا التبدل الذي جرى في مواقع الصدام على القتال وداخل الأرض المحتلة . ان اسرائيل بدأت تخسر من الرجال والمعدات من بعد يونيو أضعاف ما خسرت قبله . في ذلك معنى عظيم لما جرى من تبدل في أحوال الفكر العربي وطرائقه . انه نتاج المعركة الذي لم يكن بمقدور العدو ان يتفاداه،واذا قدر له أن يفعل ذلك لما تردد أبداً في أن يدفع الثمن مهما كان ثقله .

ان الثورة العربية تمضي الآن في طريقها المرسوم حين يسعى أبناؤها لارساء قواعد وحدة في التصور والمعتقد ، وليس لدي ما أسعد به في هـــذا اللقاء أكثر من الاشارة الى شعورنا وادراكنا لأهمية ان يصبح العلم اداة في خدمة التنمية،بل في خدمة أهداف الجماهير .

أيها الأشقاء ،

لقد خطونا في هذا المجال خطوات كبيرة في سودان الثورة حين اتجهت السلطة الثورية لتغيير المنهج التربوي من أساسه .

ولقد كانت الجامعة وهي سند التطور الأول وأداته المباشرة بعيدة عن خدمة آمال الجماهير ، فكان لا بد من ارجاعها لحظيرة الشعب.وانما لنرى في هذا بداية للسعي الجاد في اتجاه التغيير الشامل لأحوال الشعب .

إن ما أنجزناه في هذا الصدد يبعث على الارتياح ، غير إننا نحس بأن رسالة الفكر في معركة المصير أكبر من أن تعالج على مستوى قطر بعينه، لانها في حقيقة أمرها من طبيعة تند عن ان تكون كذلك .

ونحن نتفاءل ايضاً اذ نرى مبادىء النضال وآمال الجماهير في التحرر والتقدم أصبحت وراء كل عمل فكري جاد يهدف الى تحريك الواقع وصياغة حركة الثورة .

إن ما أفرزته تجربة العدوان يظللنا الآن بأفق من المشاعر والتصورات مشترك . وأبلغ الظن إن قضايا المصير القومي باتت أساس تلك الوحدة ، ونحن على ذلك نعتمد كثيراً في العمل لانجــاح خطط التنمية وفي تحقيق معدلات كبيرة في النمو الاقتصادي والاجتماعي .

أيها الأشقاء ،

ان مما يضعف فرصة العدو في التصدي للثورة العربية إن يعم التغيير الذي جرى كافة أجزاء الوطن ، وانه لمن الضروري حينئذ ان ينصب الجهد منسقاً ومركزاً في مجالات ثقافية واعلامية تختلف عمــا كان مألوفاً من أشكال الحركة الهازلة والسعي الطائش .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الانسان حين يمضي عدداً في فكره يصاحبه احساس مستمر بانه انما يولد من جديد ،ولقد كان هذا هو احساس جماهيرنا على اثر النكسة . ذلك الاحساس الذي يملؤها الان بمشاعر الاعتزاز لما تقوم به قواتها المسلحة في معارك المواجهة،وهو نفس العامل الذي يملؤنا بحوافز العطاء والبذل ، فلنشدد على استثارنا لهذا التحول في مجاله . ولندرك معاً ان بعض الناس عامدين اوجاهلين رأوا في حركة امتنا نحو الوحدة كهدف عصري ومطلب حياتي خلاف ماهي عليه . ان لنا عليهم حق مراجعة انفسهم وتصحيح مواقفهم .

ان مخططات الاستعمار والصهيونية لاحداث خلط مقصود في المفاهيم والتصورات فيما يتعلق بحركة تهدف الى انهاء مصالحهم ووجودهم باتت مهددة بفشل ذريع بعد قيام اسرائيل ، اذ ان الفكر التوسعي العنصري العدواني الذي تجسد في واقعها المصطنع أبان بوضوح إن دعوة الوحدة العربية على اساس ماهو مهيأ لها من مقومات وظروف موضوعية هي الرد الطبيعي والعملي في ذات الوقت لدرء الخطر وحسمه .

إنه بغير قيام اسرائيل ما كان للاطراف إن تسهم في صياغة قضية المصير والقضاء على أوضاع التخلف والتجزئة .

ان الخطر الصهيوني ، وقد امتد حتى لحق باطراف السودان الشالية الشرقية في منطقة البحر الاحمر، لايترك من سبيل امام اعداء الشعب ليتشككوا في سلامة جهاد الوطن السوداني واصالة موقفه .

ان اسرائيل وقد شاركت في كل خطط التآمر على جنوب البلاد وساهمت بكل اصرار في إعداد وتدريب عناصر الانفصال تعطينا اقوى الاسباب للعمل في كل الجهات من اجل يوم النصر طلباً للخلاص الوطني وتأكيداً للحقيقة القائلة إن الداءلاينداوي الا اجتثاث جرثومته .

على إننا اذا كنا الان اكثر إيمانا في هذا الطرف الجنوبي ، بكل ماله من قيمة على مستقبل البعث الحضاري وانتشار آفاقه في داخل القارة الافريقية ، فان مخططات الاستعمار واعوانه الذين لم يتورعوا في ان يضعوا جهودهم في خدمة اسرائيل الفضل الاكبر في ان ننتبه بتقدير صحيح وسليم لعواقب المشاركة الجادة في حقل العمل القومي ، الأمر الذي يدفعنا من ناحية اخرى الى ان ننبه بدورنا الى خطر النشاط الاستعماري الرامي لمسخ عروبة محميات الخليج ، اذ الواضح ان نقاط التماس الحضارية لامتنا العربية مع حضارات افريقيا واسيا أصبحت هدفاً لنشاط العدو المركز بغية عزلها عن الجسم بعد ان استعصى عليهم إصابة القلب بالشلل او تعطيله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصبحنا على مقدرة من مواجهة الذات

الذين تابعوا ماجرى على الساحة العربية بعد النكسة مباشرة يلمسون ان وطننا العربي قد ألف لأول مرة في تاريخه المعاصر نوعاً من المحاسبة، فيها اعمال لمبدأ النقد والنقد الذاتي وذلك نهج به تتحقق لامتنا :

١ – نظرة فاحصة الى الاعماق

٢ – سبيل لمعرفة الخلل ومكان القوة

٣ – تهيؤ لمداولة العلل وتنمية الجوانب الايجاب

٤ – وفوق كل هذا مقدرة تتزايد باستمرار لمداواة مناحي الضعف والاضطراب.

لقد عانى مجتمعنا العربي في ظل عهود السيطرة الاستعمارية كما عانى في ظل القهر الاجتماعي الذي مارسته فئات كثيرة من الحكام صنوفاً من الحرمان مختلفة ، لكنها جميعها ماكانت في مرتبة الافتقار الى التعبير الحر عن الرأي والمعتقد . ولقد ادى هذا الى تفكك

واضح في بناء مجتمعنا العربي وإلى افتقار لروح الجماعة وإلى هبوط دائم في الروح المعنوية لدى من يعملون في حقول العمل الجماهيري العام .

واذا كانت تلك جميعها عوامل مكنت للسيطرة الاستعمارية والتآمر الصهيوني ان يحقق الكثير من مكاسبه ، فنحن بهذه البداية في اتجاه النظرة الصحيحة للاشياء والحكم الموضوعي عليها نصبح دون شك في موضع يساعد كثيراً على العمل لتقويم الانحراف وتطوير اساليبنـا في الاداء ، ومن ثم الارتفاع بكفاءة الرجال الى المستويات المطلوبة .

لقد اصبح أمامنا مجال لقياس اتجاهات الميل لمحاربة الانحراف واجتثاث جذوره . وما من شك اننا جميعاً ننظر بارتياح الى كل مابذل في هذا الصدد ، بيد اننا نرى ان هناك الكثير مما يجب بذله . فليس علينا فقط ان نتيح الفرصة ، وانما علينا بموقف مبدئي ان نبادر باتاحة الفرصة امام الافراد والجماعات . ان وسائل العمل والاتصال التي يمكن ان تلعب دوراً له قيمته في هذا الشأن كثيرة ومتنوعة لكنها ظلت الى حد كبير بمنأى عن القيام بدورها المؤثر في هذا الاتجاه . ولقد حان الوقت لنجعل لكلمة الشعب مكانها البارز في حيز الاعلام .

على ان من المهم فوق كل شيء آخر ان نؤكد في وضوح تام ان افساح المجال للحوار الجاد الملتزم للحقيقة ، في غير التزام بتصحيح الاعوجاج اودعم الايجابيات في العمل العام وفي كافة مجالات الاداء ، لن يكون في حقيقة امره سوى شرك جديد من شراك الخداع للجماهير .

اننا ننبه الى خطورة استمرار النظرة الشكلية لقضايا العمل الجماهيري في هذه المرحلة التي لاتقبل الا كل ماهو صادق وجاد . واذا كان لنا ان نطالب بتخطي ما كان سائداً قبل يونيو فانه ليسعدني في هذا الصدد ان اؤكد بين ايديكم اننـا في سودان الثورة ، نسعى بايمان الى تأصيل الاتجاه الزامي لتمكين الجماهير من ان تصبح قادرة باستمرار على الحكم على ماتباشره طلائع العمل وقياداته في كافة مواقع النشاط .

ونحن نمضي في هذا الاتجاه سالكين جميع مسالكه ، ولقد كان لنا في مواقع الاتصال بالجماهير مايشجع على المضي في تعميق الصلة لما اتاحه لنا الاتصال من فرص الالمام باحوال الشعب وقضاياه المصيرية ، وبما كشفه من قدرة كبيرة على المشاركة والتوجيه من جانب الجماهير . والامثلة على ذلك كثيرة ليس هنا مجال ذكرها .

ان وضع مقدرات الجماهير في خدمة المعركة وفي سبيل دعم القدرات القتالية في جيشنا العربية يقتضي اصلاً بأن نكون على بينة من استعدادنا للوفاء بواجبات هذا الدور . وفي هذا الصدد فإن مواجهة حاسمة للنفس ضرورية . ولقد تهيأ لنـا هنا ان ننشيء جهازاً للرقابة والمتابعة نأمل من ورائه في قياس مقدرتنا على مواجهة نواقص الاداء وعلى تطوير اداة العمل مقدرين تماماً ان الحس الصادق بعبء المسؤولية كفيل بوضع اهداف التغيير موضع التنفيذ .

يقظة مستمرة :

اذا كان من بين نتاج النكسة :

١ ـ ادراك صحي لطبيعة التحدي

٢ ـ واستعداد لتحمل العبء

فانه يظل مطلوباً من قوى النضال العربي ان تدرك ان انجاز مهـام العمل الثوري على ارض فلسطين ، بل وعلى الارض العربية كلها ، سيدفع الاعداء الى مزيد من التآمر .

تلك هي طبيعة وحقيقة المعركة المستمرة ذات الواقع الجدلي بين جانبيها . فآمر حقق بعض نتائجه بالغدر والخديعة في عام ١٩٤٨ ، وصحوة بالثورة على اثره ، ومواجهة بالحرب الثلاثية في عام ١٩٥٦ ، فتأصيل للثورة واتساع في مداها ، وحرب في عام ١٩٦٧ تصل بالثورة الى ابعد ابعادها وتفسح امامها المجال حتى آخره .

ان التبدل الذي جرى في افق الفكر العربي يقود بالضرورة الى مراجعة تامة لتاريخنا مع العدو الاستعماري . وسوف يتكشف لنا دوماً ان العدو المتحالف لم يكف مطلقاً عن استثار قوى التخلف واستغلال طاقاتها . وانمـا في مواقعها محكومة اصلاً بالخضوع لأوامره ، مستعدة دائماً لتنفيذ مشيئته طالما كانت هي ذاتها بحاجة مستمرة لما يحفظه لها من فرصة البقاء على ارضنا العربية وعلى حساب تقدم ابناء الشعب المقدمين .

ان العمل الثوري في مواجهة التحالف العدواني الشرس يدرك اليوم اكثر من اي وقت مضى انه لم يعد بامكانه ان يطمئن الى وجود خلل في مواقع العمل الجماهيري . لقد ضربت امال الجماهير مرات عديدة حين كان متصوراً ان من الممكن الالتزام بتلك الآمال

من غير الالتزام باعمال مقاييس موضوعية في الحكم على الرجـــال وعلى صدق انتائهم لقضية الثورة .

ان من الضروري وقد بتنا بمجال مواجهة حاسمة ان نصبح في موقف اقدر فيه على رؤية الخطر بابعاده الحقيقية .

لقد اعتاد العدو ان يوغل بعيداً في ميادين الصراع . ولئن كان في تجربة المواجهة من آثار ونتائج ما يكفي للقضاء على الاخطار التقليدية المعهودة والكامنة دائماً في نقاط التماس بين مصالح قوى التخلف والاستعمار، الا ان ثمة ما ينبيء بجدية عن ان هناك اخطار كامنة في صميم بناء قوى الثورة ذاتها .

لنتأمل :

الهوة القائمة بين الغاية والمقدرة
والفارق الكبير بين النموذج والمعطى
والبون الشاسع بين ما ينبغي ان يكون وما هو كائن .

كل ذلك يطرح قضية الالتزام الثوري في ارضنا العربية باعتبارها قضية انقلاب جذري من الاعماق على واقع راهن ليس ميسراً في ظله حتى الآن امكانيات هذا الانقلاب طالما بقيت مؤثرة فيه اخلاقيات القبلية والعشائرية وغيرها من موحيات السلوك وموجباته الراهنة .

ان السلطة تظل في أيدينا عبئاً ثقيلا ما لم يحتل الرجال مواقعهم عن جدارة واخلاص لقضية الثورة ولهدف التحرير الشامل .

وان السلطة لتظل أيضاً عبئاً على الطلائع وعلى الجماهير بالمقابل اذا بقيت الطاقة المقتدرة عاطلة أو مهدرة ، ذلك لانه أمام الحاح الحاجة وابتعاد الهدف يقع الثوار في المحظور وتنتقل المبادأة ، من حيث افتقدها الثوار ، إلى يد الاعداء من جديد .

ذلك امر ندرك خطورته على هدف التحرير الشامل ، من حيث اننا ندرك مسبقاً أن عناصر اليقظة الثورية ليست امراً ميسوراً الا في حدود ضيقة حتى الآن .

أيها الأشقاء ،

ولئن اشرنا الى ان قبول مجتمعنا العربي لاتجاهات النقد الذاتي البناء يعتبر عاملاً مهيئاً لتحقيق نتائج مقبولة وايجابية في محيط اليقظة الثورية ، الا اننا في المدى الطويل

نعول كثيراً على تهيئة الظروف الموضوعية التي بوسعها ان تعين الافراد على تجاوز ما بهم من نواقص وامراض . ولا شك أيها الاخوة ان في افق الحياة العربية الآن ، بعد النكسة وفي ظل الهدف المنشود من قيام مجتمع الكفاية والعدل وما سوف يجد من تغيير في محتوى ومضامين مؤسساتنا الاجتماعية ، كل العون في ان تحقق هذه الغاية .

ارتباط اعمق على ضوء الحاجة بانجازات العصر

ثمة تبدل في اتجاهات العقل العربي ومداركه جاء نتيجة لازمة لتعدد مصادر الخطر وتباين اساليب العدو .

وصحوة هي دائما نتاج الصدمة المتكررة . والحصيلة في جملتها تكفي كما هي العادة لكي يعود من كان معطوبا وشقي ليسهم في حياة الاصحاء مدفوعا بالرغبة في تعويض ما فاته ، بل ملهوفا على تجاوز من سبقوه .

واننا قياسا على ما في تاريخ الافراد والجماعات من شواهد وعبر ندرك بارتياح كامل ان ما افضت به معارك المواجهة على ضفتي القنال مؤخرا من نتائج وآثار هو أمر ينم عن انجاز معجز في مجال الاعداد والتدريب والصقل والتوجيه في بناء القوة البشرية المقاتلة في وقت قياسي وبكم هائل ان ما فيه من الدلائل على استعداد انساننا العربي ومقدرته على استيعاب منجزات العصر وتمثلها ، بل واختبارها عملا وصياغتها حقيقة ماثلة في واقعه ، ما يعطينا كامل الحق في ان نرفض المنطق الاسرائيلي بفهم علمي سليم بان ما جرى في هذا الصدد في مواقع الانسان العربي اكبر قيمة واقوى اثرا .

ان أسلحة الحرب النفسية لم تعد قادرة على قهر الارادة العربية طالما اصبح لدينا بالبرهان القاطع ادراك مباشر لامكانية التعامل مع منجزات التطور ووسائله .

وان امتنا بما توفر لها من ظروف عقلية ونفسية جديدة وبما اتيح لها من دوافع واسباب قوية للقضاء على الخطر الصهيوني ، لقادرة بحق على ان تحقق آمالها بثورة شاملة متصلة .

أيها الأشقاء ،

قبل ان اغادر هذه المنصة اريدكم ان تسمحوا لي بما ينبغي ان يقال في شأن قضية الالتزام الثوري بهدف التحرير .

انه اذا كانت قضية فلسطين على الوجه الذي طرحناه محركا لدوافع واسباب

الثورة القومية الإشتراكية وهاديا لخطاها، فإن من حق فلسطين علينا إن نلتزم بسلمات الجهد الثوري الجاد؛ تلك هي ضرورة الوحدة لقوى المقاومة الفلسطينية ومنظماتها المختلفة.

ان وحدة المقاومة على الارض المحتلة خطوة لايجوز تجاوزها تفكيرا وتخطيطا لتحقيق مابعدها ، لأنه بغير تحقيقها واقعا حيا معاشا يستحيل تحقيق أي نجاح مؤثر في جبهات الجيوش . وبدون دعمها بالمال والتأييدوالسلاح يظل هدف التحرير صعب المنال .

ختاما ايها الاخوة كامل تقديري لحسن الاستماع ، وشكرا .

كارل ماركس

إسهام في نقد الاقتصاد السياسي

ترجمة : أنطون حمصي

الخطوط الفكرية الكبرى التي بنى عليها ماركس الاشتراكية العلمية

منشورات وزارة الثقافة - دمشق - سعر النسخة ٣٠٠ ق.س

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القضية الفلسطينية المحور للثورة العربية

بحث : شفيق الحوت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الرغم من كثرة القضايا السياسية الهامة والخطيرة التي يجابهها الوطن العربي منذ مطلع هذا القرن حتى يومنا الحاضر ، فان تاريخنا القومي الحديث كله لم يعرف بعد ، قضية مست وتمس في جميع أبعادها المصير القومي لامتنا وفي الصميم ، كالقضية الفلسطينية .

واذا كان الوعي العربي ، على امتداد الوطن الكبير ، لم يدرك هذه الحقيقة ولم ينتبه لها بالجدية والمسؤولية اللتين تفرضها خطورتها ، الا بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ وفي أعقاب الاحتلال الصهيوني لأرض عربية غير الأرض الفلسطينية ، وبالاضافة اليها ، فانه لخطأ تاريخي كبير الظن بأن عمر هذه الحقيقة هو عمر وعينا لهـا واكتشافنا لخطورتها ، وانه لخطأ أكثر خطورة ان نعتبر

ماحدث عام ١٩٦٧ ، وما قد يحدث في المستقبل من اعتداءات جديدة على الارض العربية ، إنما هو من نتاج تخطيط طارئ ، وحديث في استراتيجية التحالف الصهيوني — الاستعماري الذي أقام اسرائيل .

ومن مجال وقائع المسيرة التاريخية في الوطن العربي ، خلال المائة سنة الأخيرة ، بمنهج علمي ثوري ، مدرك لحركة الصراع التي فرضها التناقض بين طموح أمتنا في تحقيق الحرية والوحدة ، وبين طمع الاستعمار الأوروبي ، والبريطاني منه بشكل خاص ، لفرض سيطرته على المنطقة العربية واستغلال كل ماتتمتع به من ثروات طبيعية ومواقع استراتيجية حيوية ، وبتابع في الوقت ذاته تطور الحركة الصهيونية قبل مؤتمر بال الشهير عام ١٨٩٧ وبعده ، وتحولها النهائي نحو الارتباط المصيري بحركة الاستعمار العالمي الذي تكرس بوعد بلفورعام١٩١٧ ، ان من مجال الوقائع التاريخية تحت هذه الأضواء يكتشف بكل وضوح وجلاء بأن التحالف الصهيوني الاستعماري قد التزم باقامة اسرائيل كهدف للصهيونية ، على أن تكون في نفس الوقت أداة ووسيلة للاستعمار للسيطرة على الوطن العربي الكبير ، وكقاعدة لحماية مصالحه الاقتصادية والسياسية والعسكرية في جميع أطرافه من المحيط الى الخليج بشكل عام ، وفي الجزيرة البترولية بشكل خاص .

ولو حاولنا في هذه الدراسة ، أن نلخص بايجاز مفيد وقائع مسيرتنا التاريخية منذ انتفاضة أمتنا على الاستعمار التركي ، مروراً بمقاومة هـــذه الأمة للاستعمار الأوروبي الذي ورث العثمانيين في بلادنا ، فلن نأتي بجديد على ما قد أصبح اليوم من البديهيات المعروفة لسلسلة المؤامرات الاستعمارية الصهيونية التي وجدت في الرجعية العربية الحاكمة من مهدلها ، وسهل سبل الانتصار على جماهير أمتنا . غير أنه قد يكون ضرورياً . بعد كل ما أصابنا وما قد يصيبنا ، أن نعيد

ونكور هذه البديهيات . وقــد يكون في لهيب النار التي احرقتنا عبر سلسلة النكسات التي أصابت نضالنا الفلسطيني والعربي الذي تصدى لهذا التحالف الصهيوني الاستعماري المتجسد باسرائيل بعض النور الذي يساعدنا على الرؤية الدقيقة لهذه البديهيات والتأكد من خطورتها فيعمق من ادراكنا لها ويضاعف من اهتمامنا ، كما ونوعاً ، للتصدى لها والانتصار عليها .

* * *

عندما استيقظت الأمة العربية على حقيقة واقعها، في مطلع القرن الماضي، وبدأت طلائعها تتحرك لتحرير الأرض العربية من الاستعمار التركي ، والعودة بالانسان العربي الى هويته القومية ، كانت الرأسمالية الأوروبية قد تخطت في نموها نطاق استغلال الجماهير الكادحة بين شعوبهـا ، وبدأت البحث عن أسواق جديدة لتصريف منتجاتها ، وعن موارد وطاقات طبيعية وبشرية جديدة لاستغلالها .

وفي هذه المرحلة بالذات ، ونتيجة لما فرزته الرأسمالية الأوروبية المستغلة من أفكار وفلسفات ، وكردود فعل لها ، نشأت الحركة الصهيونية في صفوف الأقليـات اليهودية مستندة الى نفس النوع من الأفكار والفلسفات العنصرية والاستعمارية ، بعد أن ألبستها أقنعة زائفة باسم الدين والتاريخ لتبرير أهدافها العدوانية الاستعمارية .

واذا لم يشعر العرب، في بداية يقظتهم ، بخطورة هذه الحركة على مصيرهم بحكم ضعفها آنذاك ، وعدم تركيزها على فلسطين او غيرها من الأقطار العربية كوطن مرتقب، إلا أنه كان على العرب ان يواجهوا عدوين شرسين في آن واحد: الاستعمار التركي المتداعي ، والاستعمار الأوروبي المتصاعد .

ولعل في هذه الحقيقة ، أي ثنائية العدو التي تعرض لها النضال العربي في تلك المرحلة ، ما يفسر كثيراً من أسباب التباين في الشعارات العربية النضالية التي ارتفعت حينذاك ، ومايفسر السبب الموضوعي الذي مكن القيادات العميلة والخائنة في الوطن العربي من أن تركب موجات النضال الشعبي لتضعه في خدمة هذا الاستعمار ضد ذاك، وبالعكس .

والواقع ان في قدرة المواطن العربي اليوم ان يسجل العديد من الأسباب التي أدت الى تعثر حركة النضال العربي في تلك الفترة من تاريخنا ، غير أن هذا سيدخلنا في تفصيلات لامجال لها في هذه الدراسة الموجزة ، وكل ما يهمنا هو ان نسجل بأنه على الرغم من نجاح الاستعمار الاوروبي في الحلول محل الاستعمار التركي ، إلا أنه وجد نفسه ، ومع أول تماس مباشر له بالوطن العربي ، أمام يقظة عربية عنيدة وفي مواجهة مقاومة باسلة .

ولذلك فقد وجدت الحركة الاوروبية الاستعمارية ، وهي ترى بعينها تداعي الامبراطورية العثمانية وتفككها ، بأن عليها — تأميناً لمصالحها الاستغلالية الجشعة — أن تهيأ مسبقاً لجميع احتمالات اليقظة العربية وما قد يترتب عليها من قيام دولة الوحدة العربية على انقاض الاستعمار التركي .

ولاشك مطلقاً ان الاستعمار الاوربي ، ومن موقــع التفوق العلمي والحضاري الذي كان يشغله آنذاك ، كان يدرك — وربما اكثر من العرب انفسهم — ماسيعنيه قيام دولة الوحدة العربية من تهديد خطير لواقعه ومستقبله .

كما انه لاشك مطلقاً انه قــد رأى بعين المستقبل القيمة الاستراتيجية الكبرى لدولة تمتد من المحيط الى الخليج ، تبسط جناحيها على شواطىء البحر المتوسط الجنوبية كلها ، وتصل بين أقدم قارتين عرفها التاريخ ، وتسيطر على أهم

المداخل البرية والجوية والبحرية بين آسيا وافريقيا واوروبا ، وتحمل فوق ترابها شعباً عريقاً له حضارة تاريخية نادرة ، وتحمل في باطنها من الثروات ماندر ان يتوافر نوعاً وكماً في أي منطقة اخرى من العالم .

واستناداً الى هذه الحقائق ، ووعياً من الحركة الاستعمارية الاوروبية لها ، فان هذه الحركة ، منذ أن بدأت تضع اقدامها في هذه المنطقة في ظلال الخلافة العثمانية ، اعتمدت كل الوسائل المباشرة وغير المباشرة لتطويق الوعي الوحدوي وخنقه ضمن تخطيط استراتيجي معقد يقوم على اجهاض كل احتمالات الوحـــدة ووضع كل مايمكن وضعه من العوائق على طريق تحقيقها .

وقد ارتكز هذا التخطيط الاستعماري الاستراتيجي على خطين متكاملين ومتتالين : اولهما تفتيت الوطن العربي وتجزئته الى دويـلات وممالك ومشيخات هزيلة ، تحكمها عوامل الشك والفرقة المصطنعة ، وثانيهما – وهنا يدخل دور الحركة الصهيونية في المؤامرة الكبرى – إقامة حاجز بشري غريب عن أهل المنطقة يكسر امتداد الوطن الواحد بين مشرقه ومغربه ويفصل الامه العربية الى شطرين متباعدين .

وبالطبع ، لم يكن هناك ماهو أنسب من ارض فلسطين لتحقيق هـذا الهدف ، لما تتمتع به من مركز جغرافي حساس ، حيث تقع في الجسم العربي موقع القلب ، ولماتثيره تاريخها القديم كأرض للديانات السماوية من حساسية لدى العالم الاوروبي بشكل عام ، ولدى الحركة الصهيونية المتمرسة وراء الاساطير الدينية لتخفي حقيقة اهدافها كحركة عنصرية شوفينية رفضت لابنـاء اليهود ان يتمثلوا اي قومية ترعرعوا تحت رايتها ونشأوا فوق تراب شعبها، بشكل خاص.

وهكذا التقت مصالح الاستعمار بالرجعية الاقليمية، وبالقاعدة الاستعمارية المصطنعة، التقاءاً متفاعلا تفاعل مصلحة ومصير مشترك.

وهكذا تدعمت التجزئة العربية بالقاعدة الاستعمارية المصطنعة، وتدعمت القاعدة المصطنعة باستمرار بأوضاع التجزئة العاجزة التابعة والذليلة بنشأتها المصطنعة، وتركيبها المزيل، وبالمصالح الاستغلالية الطفيلية التي تحققها الفئات الحاكمة والطبقات المنتفعة.

ولم يغفل المخطط الاستراتيجي الاستعماري العدواني، ضرورة التمويه على الجماهير العربية ومحاولة خداعها بالعمل على الهائها بدويلات ترفع رايات الاستقلال الشكلي المزيف، بحيث يتستر الاستعمار بصالحه وامتيازاته وسيطرته ونفوذه خلف تلك الرايات الخادعة، وخلف يافطات الاستقلال الشكلي البراقة.

وجاءت الحرب العالمية الاولى مجالاً لمباشرة تنفيذ تلك الاستراتيجية العدوانية، واتضحت مؤامرة التجزئة واقامة العروش والامارات والدويلات التابعة الذليلة، بما اتضح فيما بعد من امر معاهدة سايكس - بيكو، كما بوشر بتنفيذ الخطوط الاولى لمؤامرة انشاء القاعدة الاستعمارية التخريبية، باصدار وعد بلفور، الذي تعهد باقامة (الوطن القومي لليهود في فلسطين) وذلك الوعد الذي عبر بوضوح عن التقاء مصالح الصهيونية وأهدافها العنصرية الاستعمارية الاستيطانية الاستغلالية، بمصالح الحركة الاستعمارية الرأسمالية الاوروبية المستغلة.

وبعد الحرب العالمية الاولى فرضت بريطانيا - زعيمة حركة الاستعمار الاوروبي المستغل في تلك الحقبة من التاريخ - سلطتها على فلسطين، وبدأت هي وحليفتها الصهيونية تعملان معاً على تهويد فلسطين وتهيئتها لتكون ارضها « القاعدة الاستعمارية الصهيونية » على شكل دولة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واصطنع الاستعمار على حدود فلسطين اوضاعاً عربية هزيلة وتابعة له احكاماً للمؤامرة . وبدأت تتوالى موجات الهجرة الصهيونية الى فلسطين، ونشطت عملية اقامة المستوطنات المسلحة الصهيونية ، ومعسكرات التدريب العسكري للمنظمات الصهيونية . في نفس الوقت الذي تكفلت به السلطات البريطانية باعدام كل مواطن عربي فلسطيني لمجرد حمله السلاح .

ورغم ذلك ، وفي مواجهة المؤامرة الكبرى، قام شعبنا العربي الفلسطيني طيلة عهد الانتداب البريطاني الغاشم بانتفاضات جماهيرية متلاحقة ، سنة ١٩١٩ – ١٩٢٠ – ١٩٢٢ – ١٧٢٩ – ١٩٣٥ – وبلغت الثورة الشعبية ذروتها على ارض فلسطين عام ١٩٣٦ ، حتى عمت كل قرية ومدينة فلسطينية ، وتعاطفت الجماهير العربية مع هذه الانتفاضات والثورات داعمة ومساندة ، وهنا برز دور الانظمة العربية الحاكمة المصطنعة والعميلة ، في تمييع ثورة شعبنا ، فوجهت نداء الى عرب فلسطين تطلب منهم ايقاف ثورتهم ، وفك اضرابهم المدني الشامل اعتماداً على حسن نوايا حليفتهم الصديقة بريطانيا (!!) وشاركت في هذا النداء وقبلته الرجعية الفردية والانتهازية التي تسللت للثورة الفلسطينية وركبت موجتها، والتي اعتمدت في كفاحها على العلاقات مع الانظمة العربية الحاكمة ، اكثر من اعتمادها على تنظيم الشعب وحشد قواه وامكاناته الخلاقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية ، جاء انتهاء الانتداب البريطاني وانسحابه من فلسطين ، على نحو يمكن العصابات الصهيونية من الاستيلاء على الارض بعد تمهيد واعداد استمر ثلاثين عاماً . وبدأ شعبنا العربي الفلسطيني يناضل ويقاوم وقوع المأساة وهو شبه أعزل من السلاح ، وكانت مقاومة عنيدة وباسلة . ومن جديد برز دور الانظمة العربية العميلة والمصطنعة، اذ دخلت الجيوش العربيـــة

القتال بقيادة الملوك والرؤساء والحكام الذين وجهوا النداء الخائن سنة ١٩٣٧ ، وخاضت تلك الجيوش معركة صورية ، قصد بها تضليل الجماهير العربية في فلسطين وخارجها ، وتنفيذ المخططات الاستعمارية الموضوعة .

ولقد انتهت تلك الجولة ، بفتح الباب واسعاً أمام المأساة سنة ١٩٤٨ ، بتكريس إقامة القاعدة الاستعمارية الاستيطانية العنصرية الصهيونية اسرائيل . ومضى التحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي في تثبيت المؤامرة بالغاء الكيان العربي الفلسطيني ، وشطب اسم فلسطين من الوجود ، ومحاولة الغاء وجود شعبها ذاته ، ذلك كله من خلال الحاق ماتبقى من أرض فلسطين بنظام حكم اصطنعه الاستعمار . ثم صدر البيان الثلاثي البريطاني - الأمريكي - الفرنسي معززاً وجود اسرائيل ، ومعلناً بأنها أصبحت في المنطقة حقيقة واقعة وثابتة ، وبأن دول الاستعمار الغربي ستعمل على ضمان حدودها ، وعلى اقامة التوازن العسكري بين العرب ككل ، وبين اسرائيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهنا يبرز الحاح موضوعي للوقوف أمام مسألتين :

الأولى : القاء نظرة أكثر عمقاً على تطور الحركة الصهيونية وسياساتها ، للتعرف على طبيعتها :

الثانية : تقييم أسباب وقوع المأساة تقييماً علمياً موضوعياً .

وبالنسبة للمسألة الأولى يلاحظ أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة ، انتقل زمام القيادة في المعسكر الاستعماري الرأسمالي المستغل من بريطانيا الى الولايات المتحدة الاميركية ، وتبع ذلك على الفور أن هاجر الوزن الأكبر للحركة الصهيونية اليها لتستمد من تلك القيادة الاستعمارية ، بما توفر لها من مال وامكانيات ونفوذ في دول المعسكر الغربي الاستعماري ، كل أسباب

القوة وجرعات استمرار الحياة . وهذا تأكيد من الحركة الصهيونية على استمرار تحالفها المصيري بحركة الاستعمار الرأسمالي الغربي المستغل ، وهو تأكيد ينبع من طبيعة تلك الحركة الصهيونية التي تجسدت واضحة عبر تاريخها كله . فقد أخذت الصهيونية منذ نشأتها تعرض خدماتها ومخططاتها كسلعة في أسواق الدول الاستعمارية بعد مؤتمر « بال » وتنقلت من دولة الى أخرى تعرض تلك الخدمات فما من قيصر أو امبراطور أو شخصية على درجة المسؤولية في الدول الأوروبية إلا وحاولت الصهيونية استخدام نفوذه مقابل تعهدها بتأمين مصالحه . ويذكر التاريخ كذلك محاولاتها رشوة السلطان العثماني في مقابل منحها تسهيلات لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية . ولقد تدرجت الحركة الصهيونية من الارتماء في أحضان فرنسا الى بريطانيا ، حتى استقرت أخيراً في أحضان أمريكا باعتبارها أقوى دولة استعمارية امبريالية في الوقت الحاضر .

وبالنسبة للمسألة الثانية ، فان الاستقراء العلمي لتجربة النضال العربي في مواجهة المخطط الاستراتيجي العدواني الغربي ، يبرز الحقائق التالية ، كأسباب لفشل النضال العربي في تحقيق أهدافه وفي تحطيم الغزوة الغربية الاستعمارية التي انتهت باقامة اسرائيل :

١) ان العناصر التي تصدت لقيادة النضال العربي، على الساحة الفلسطينية بوجه خاص، كانت نابعة من الطبقة التقليدية للأحزاب السياسية ، فأغفلت عن وعي المفهوم الاجتماعي للثورة والنضال ، وكان همها مساومة الاستعمار ومفاوضته للحفاظ على ما ورثته من امتيازات طبقية أو قبلية أو عائلية لتأمين ما ألهيت به من مصالح استغلالية طفيلية .

٢) انتماء القيادات التي ركبت موجات النضال ، الى نفس المفاهيم

والشعارات التي كانت تتحكم في سلوك الفئات العميلة الحاكمة في الدول العربية الاقليمية المجزأة ، وانحدارها من نفس الجذور الطبقية لتلك الفئات ، الأمر الذي مكن لها من تمييع النضال عند منعطفاته الحاسمة كما حصل في ثورة سنة ١٩٣٦ التي أجهضها النداء الخائن والاستجابة الاستسلامية له من قبل تلك القيادات .

٣) فشل القيادات الحاكمة العربية المنصرفة الى مصالحها الاستغلالية الاقليمية في استيعاب عمق مخططات العدو الاستعماري ، الذي كان يعامل الأمة العربية كلها طبقاً لمخطط واحد ، وعلى أساس خطة استراتيجية واحدة . فبقيت كل منها حبيسة حدودها الاقليمية المصطنعة وأسيرة مصالحها الاقليمية الضيقة ، بحيث تمكنت قوى الاستعمار أن تتعامل مع الأمة العربية كأمة ممزقة الأوصال مفتتة الجهد . بدلاً من أن تواجهها موحدة القوة ، ثورية الأسلوب ، واعية لوحدة المستقبل والمصير .

٤) دخول الجيوش العربية الى ساحة المعركة ، من مواقع الانفصال والتجزئة والاقليمية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، ومن واقع الانقياد لكيانات ونظم عربية مصطنعة ، بالرغم من رايات الاستقلال الشكلي المزيف التي كانت ترفرف فوقها .

وهكذا تضافرت تلك العوامل ، وانتهت الجولة بمأساة ١٩٤٨ . وبقيام اسرائيل استكمل التخطيط الاستراتيجي العدواني الاستعماري مداه ، وأصبحت الصورة السياسية للوطن العربي على النحو الذي قررت قوى الاستعمار المستغل صياغته ، كفالة لمصالحها الاستغلالية في المنطقة العربية وحماية لها .

وبوقوع مأساة ١٩٤٨ أصاب الذهول أمتنا وعمقت المأساة مشاعر النقمة لديها ضد الأنظمة الرجعية الاقليمية العربية ، التي حاولت التنصل من مسؤولياتها

في الهزيمة ، بمحاولة القائها زوراً وتضليلاً على كامل شعب فلسطين . ولقد حاولت تلك النظم فوق ذلك ، أن تجعل من المأساة أمراً واقعاً ، وبدأت تتبنى مؤامرات التوطين والتهجير للاجئين بقصد تصفية آخر معالم الهزيمة . ولكن شعبنا رفض تلك المشاريع وأحبطها وعاقب بعض المسؤولين عن هزيمة ١٩٤٨ . ونتيجة لذلك فقد تعرض شعبنا العربي الفلسطيني للارهاب والتشريد القاسيين .

وبدأت جماهير امتنا العربية تتلمس طريقها لمواجهة أوضاع مابعد المأساة التي فرضت عليها . وأدركت من مواقعها المختلفة أن الخطة الأولى للنضال العربي يجب أن تستهدف التخلص من تحكم عناصر الرجعية والزعامات الاقليميـــة ، والطبقات الاقطاعية الرأسمالية التي تستندالها أنظمة الحكم العربية الاقليمية، والتي ترتبط مصالحها باستمرار بالتجزئة وبالتحالف مع الاستعمار ، حتى تفجرت ثورة ٢٣ يوليو (تموز) في مصر ، على يد الطلائع الثورية في الجيش ، والتي باشرت بعد اسقاطها للنظام الرجعي القديم احداث تغييرات جذرية ثورية شاملة ، وصولا الى وضع السلطة والقيادة الفعلية في أيدي القوى الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة . وكانت هذه أول تجربة ثوريه شهدها الوطن العربي بعد هزيمة ١٩٤٨ .

ومع دقات التغيير الثوري الذي احدثته تلك الثورة ، صحا شعبنا العربي الفلسطيني من ذهوله ، وتحرك مع جماهير الأمة العربية بنضال شمل الوطن العربي كله ، متسلحاً بمحتوى قومي اشتراكي ديمقراطي أكثر تبلوراً ووضوحاً، مستكملا بذلك مفهوم الثورة وأبعادها الفكرية ، ومعبراً بهذا الوعي عن أعمق مصالح الجماهير العربية . وزادت ، نتيجة لذلك ، شراسة الرجعية العربية الاقليمية ، وزادتماسكها وتحالفها مع الاستعمار ، وتعمق التحامها بمخططاته المشترك مع الصهيونية ، وحاولت تلك القوى الرجعية الاقليمية جر المنطقة العربية كلها الى الاستسلام

لسيطرة الاستعمار الرأسمالي المستغل ولنفوذه من خلال محاولة ربط المنطقة العربية بالأحلاف العسكرية الاستعمارية . الا ان ارتفاع المد الجماهيري وتعاظمه وتدعيم الثورة العربية في مصر له ، تمكن من الاطاحة بتلك المؤامرة ، مما أفقد العدو أعصابه ، فقام بعدوانه الثلاثي العسكري السافر سنة ١٩٥٦ على مصر ، مستهدفاً أسقاط الثورة العربية هناك ، وليتسنى له اعادة تنظيم الأوضاع في المنطقة العربية بعد ذلك ، بما يضمن استمرار الحفاظ على مصالحه الاستغلالية . ولكن العدوان فشل في تحقيق هذا الهدف . وترتب على فشله تبلور الحقائق الرئيسية التالية :

أولاً : تأكدت مجدداً حقيقة الارتباط والتحالف المصيري ، الذي يربط بين الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية ، ارتباطاً كشفه بشكل حاسم ، دور (اسرائيل) في العدوان ، ودور الرجعية العربية الأقليمية في التحريض عليه والترحيب به ، وتسهيل مهماته .

ثانيا : تعاظم المد الجماهيري الوحدوي العربي التقدمي الذي توج نضاله بصنع الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ ، ولكن حلف الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية لم يستسلم امام تعاظم الثورة العربية وسيرها الناجح نحو الوحدة ، فبدأت قوى الحلف العدواني الاسود ، بحملة تآمر وتضليل ، وبحرب نفسية شرسة ، تقوم على رفع شعارات اقليمية على رصد حاقد لتجربة الوحدة ، ونشر الاشاعات والشكوك من حولها نافذا الى التجربة بسمومه وشكوكه واشاعاته من خلال بعض الاخطاء التي عمدت دوائر المخابرات والحرب النفسية المعادية ، الى نشرها بشكل مشوه حينا ، وبشكل مبالغ فيه احيانا ، حتى تم اسقاط الوحدة سنة ١٩٦١ ، في ابشع مؤامرة على الوحدة وقدسية فكرتها . ومن ثم اخذت قوى ذلك الحلف العدواني تستغل انتكاسة الوحدة ، لممارسة حملة مركزة تستهدف

تثبيت التجزئة وتوطيد الاقليمية . وظل الهدف النهائي لكل تلك الفعاليات المعادية هو تفتيت الثورة العربية ، باستبدال اهدافها القومية ، بأهداف وسياسات قطرية اقليمية تحت ستار « الظروف الخاصة لكل قطر ؟؟؟ » حتى تصبح فكرة الوحدة في اذهان الجماهير عاجزة او بعيدة الاحتمال في احسن حالاتها .

وقبل جريمة الانفصال وفي مواجهة المد الوحدوي العربي ، ومن مواقع العقلية الاقليمية ، التي يمثلها عبد الكريم قاسم في العراق ، برزت شعارات اقامة الاهداف القومية وتجزئة النضال ! وكان ذلك واضحا على صعيد قضية فلسطين في محاولة عبد الكريم قاسم انشاء كيان فلسطيني لتحرير فلسطين بفكر ونضال اقليميين ، وبمسؤولية اقليمية . وكان هدف عبد الكريم قاسم من ذلك ، حماية حكمه الانفصالي الاقليمي بالتستر وراء القضية الفلسطينية . وتحالفت معه على هذا الطريق الرجعية الفلسطينية الفاشلة ، لتمارس نشاطاتها المشبوهة مع حكم عبد الكريم قاسم بين الاوساط الفلسطينية التي تتجاوب معها . ولقد كان ذلك التحرك في جملته واضح الأهداف ، إذ أنه لم يكن أكثر من مجرد محاولة لمواجهة الثورة العربية ولكسر المد الوحدوي العربي . ولقد اخذ النهج الاقليمي الانفصالي الرجعي بفلسفة هذا الاتجاه وبرره بشعارات زائفة ومضللة من قبيل « لا يحرر فلسطين الا الفلسطينيين »

وظلت تلك المحاولات مشبوهة ومعزولة ، حتى جاء الانفصال ، كواحدة من اعمق الصدمات التي تعرضت لها الامة العربية ، والشعب الفلسطيني بوجه خاص ، الذي وجد نفسه بعد الانفصال ، وبعد ثلاثة عشر عاما من نكبة عام ١٩٤٨ ، دون تحرك ايجابي واضح نحو هدفه في استرداد فلسطين ، كما وجد كذلك ان « شعار الوحدة طريق التحرير » قد ضرب بالانفصال .

ومن مواقع الانفصال النفسية ، وموجة اليأس التي نشرها ، نشطت

الاتجاهات الاقليمية الرجعية بصورة واشكال مختلفة. وفي مواجهة هذه التحركات الاقليمية ، وفي اعادة لتقييم مراحل النضال على الساحة الفلسطينية ، برزت اتجاهات اخرى اكثر اصالة وتقدمية وثورية ، تربط الكيان الفلسطيني ، كيانا للقضية واداة طليعية عربية على طريق التحرير للأمة العربية الواحدة ، وتعبيرا سياسيا عن وجود الشعب العربي الفلسطيني ، ذلك الوجود الذي حاولت قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية شطره وتصفيته باستمرار . ولم تصدر الاتجاهات الاخيرة في فهمها هذا لمسألة الكيان وطبيعته عن مجرد تقييم مزاجي ، بقدر ما صدرت عن تقييم علمي موضوعي لاستراتيجية العدو الاستعماري الصهيوني .

وهو تقييم يثبت ان تلك الاستراتيجية، منذ كانت اسرائيل مجرد فكرة وحتى يومنا هذا ، ترتكز على الخطوط الرئيسية التالية :

١ - تكريس التجزئة في الوطن العربي وتعميق المصالح الاقليمية المرتبطة بها والتابعة لها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ - الابقاء على حالة التخلف الاقتصادي والحضاري للوطن العربي .

٣ - احكام ارتباط الوطن العربي بالمعسكر الامبريالي ، واحكام سيطرة هذا المعسكر عليه .

وعلى ذلك فان احباط الخطة العدوانية الاستراتيجية لحلف الاستعمار والصهيونية والرجعية لا يمكن ان يتم الا بانتهاج خطة استراتيجية للنضال العربي العام والفلسطيني منه بشكل خاص ، تقوم على مبادىء الثورة العربية في الحرية والاشتراكية والوحدة ، وذلك :

● باعتبار ان مبدأ التحرير القومي، فوق انه مبدأ اصيل للثورة، فهو الرد

العلمي القادر على احباط الخط الاستراتيجي المعادي القائم على أحكام ارتباط الوطن العربي بالمعسكر الامبريالي الرجعي

● وباعتبار ان **مبدأ الاشتراكية**، فوق انه مبدأ اصيل للثورة العربية،هو الرد على الخط الاستراتيجي المعادي القائم على ابقـاء الوطن العربي في حال من التخلف الاقتصادي والحضاري .

● وباعتبار ان **مبدأ الوحدة القومية** ، فوق انـه مبدأ اصيل للثورة العربية ، هو الرد العلمي على الخط الاستراتيجي المعادي القائم على تكريس التجزئة في الوطن العربي وتعميق المصالح الاقليمية المرتبطة بها والتابعة لها .

وهكذا ومع اختلاف منطلقات النظرة لطبيعة الكيان الفلسطيني ، فقد اصبح الكيان مطلبا جماهيريا تدور من حوله اتجاهان رئيسيان :

الأول : يريده كيانا اقليميا ، ويعتبر العمل الفلسطيني مستقلا عن الثورة العربية ، ومنفصلا عنها . ويريده كيانا يقوم على علاقات مع الدول العربية جميعا دون تمييز بينها .

والثاني : يريده كيانا للقضية يعتبر نفسه جزءا من الثورة العربية فكرا ومسلكا ، ويكون بمثابة حشد للطليعة المتقدمة في معركة التحرير،ويريده بالتالي كيانا يعتبر التجزئة والتخلف والاقليمية مسؤولة عـن نكبة ١٩٤٨ ، وعن الانفصال ١٩٦١ وعن استمرار الوجود الاسرائيلي ، ويريده لذلك كله ، كياناً يمارس دوره النضالي واعيا لمحتوى النضال الاجتماعي الوحدوي التقدمي ، ولحقيقة الحلف الذي يجمع بـين مصالح الاستعمار والصهيونية والرجعية الاقليمية ويوحد قواها في مواجهة النضال العربي الثوري على طريق التحرير .

ثم لحق بهذين الاتجاهين، اتجاه ثالث تبنى الخط اللينيني الماركسي وطرح القضية الفلسطينية من زاوية الصراع الطبقي ، وبالتالي تناول اي تصور للكيان الفلسطيني كصورة تنظيمية لحركة الشعب الفلسطيني السياسية من خلال هذا الخط . وكان من الطبيعي لاصحاب هذا الاتجاه الجديد ، ان يسحبوا خطهم الفكري الماركسي على جميع القضايا العربية ، وفي مقدمتها قضايا الحرية والاشتراكية والوحدة .

ولقد ظلت المحاولات والشعارات المختلفة تتنادى لإقامة الكيان الفلسطيني نشطة متصاعدة حتى جاء مؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٤ ، لينشيء منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي جاءت بميلادها كيانا فوقيا كمحصلة للعمل العربي الرسمي ، ارضا ومجالا تتجاوز وتتصارع فيه جميع هذه الاتجاهات . وتبع قيام منظمة التحرير الفلسطينية شعارات مختلفة طرحت بشكل واسع حول « حرب التحرير الشعبية » و « التنسيق » بين العمل الفدائي والعمل العسكري العربي « الكلاسيكي » ، وتعددت التصورات المطروحة لمعركة التحرير ، وتعددت الاجتهادات في تحديد دور الكيان الفلسطيني في المعركة وطبيعته والفكر الذي يقود خطاه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان واضحا الى جانب ذلك ان الدول المحيطة باسرائيل كانت تتبنى شعارات متباينة نحو ذلك كله ، وتسير على هدى سياسات مختلفة ومتناقضة ازاء تلك المسائل ، رغم قيام القيادة العربية الموحدة وموافقة كل الدول العربية على قيامها ومشاركتها بها .

ثم جاءت معركة حزيران ١٩٦٧ ، وجاءت معها نتائجها من الهزيمة وما تبعها ، نتاجاً طبيعياً ومنطقياً للأوضاع العربية التي سبقت اندلاع المعركة .

١ — نتاجاً طبيعياً ومنطقياً للسياسات الاقليمية العربية المتناقضة .

٢ — نتاجاً طبيعياً ومنطقيـــاً لاستمرار سيطرة الرجعية على مواقع استراتيجية خطيرة في أية عملية مواجهة مع العدو .

٣ — نتاجاً طبيعياً ومنطقياً لدخول المعركة من خلال كيانات عربيـة مجزأة ، ونظم عربية متباينة ، وأوضاع عربية متخلفة .

٤ — نتاجـــاً طبيعـاً ومنطقياً لحالة البلبلة الفكرية والاضطراب في الشعارات التي تسود الجماهير الشعبية ، ونتاجاً طبيعياً لحرمان الجماهير العربية من ممارســـة حقها في التسلح والتنظيم وحشد قواها حشداً طوعياً للمعركة والنضال .

وباختصار جاءت هزيمة حزيران ونتائجها تتويجاً مريراً لكل ما رفع من شعارات مفرغة من كل مضمون جدي متكامل لاتستند الى سياسات واستعدادات تدعم تلك الشعارات وتضعها موضع التنفيذ المسؤول والجاد . وجاءت صفعة قاسية للسياسات الاقليمية ، ولاستمرار أوضاع التجزئة العربية والتخلف . وليس أبلغ دليلاً على ذلك ، من اعلان كل دولة عربية للحرب بمفردها ، وإيقاف الدول العربية إطلاق النار مع العدو كل على انفراد ، رغم وجود « القيـــادة العربية الموحدة » ورغم وجود الاتفاقات العسكرية الثنائية والثلاثية التي كانت جميعها اشكالاً لايمكن ان تمتلىء بمحتوى حقيقي مادام أطراف تلك « الأشكال » يتبعون سياسات اقليمية متناقضة .

وبعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، بما أسفرت عنه من احتلال « اسرائيل » لأجزاء من أرض أقطار عربية ، وبالرغم مما يشكله هذا الاحتلال من تحد للأمة العربية ولوجودها ومستقبلهـــا ومصالحها . إلا ان المصالح الاقليمية والتفكير

الاقليمي والسياسات الاقليمية لم يحر كها خطر الاحتلال الجاثم على أرضها نحو الوحدة . وبدا واضحاً ان المعركة في الوطن العربي، في صراعاتها بين قوى الثورة الوحدوية التقدمية وبين القوى الرجعية الاقليمية ، أقوى من الخطر الصهيوني ، أو هي في مستواه . وبدا واضحاً ان الرجعية الاقليمية تحرص على كياناتها من المد الثوري التقدمي الوحدوي ، اكثر من حرصها على تلك الكيانات في مواجهة أخطار التوسع الصهيوني . وبدا واضحاً ان الرجعية الاقليمية ومن ورائها دوائر المخابرات والحرب النفسية الاستعمارية والصهيونية تحاول استغلال هزيمة حزيران - بما أعقبها من صدمة عنيفة منيت بها النفسية العربية - لزعزعة ثقة الجماهير بالثورة العربية عن طريق الايحاء والمكاشفة ، بان الهزيمة ترجع في الأساس الى عجز الثورة العربية في الدفاع عن الأرض العربية ، والى عجزها عن مواجهة التحديات المصيرية . وقد تجاهلت تلك القوى المعادية ، ان أسباب الهزيمة لا تكمن في مبادىء الثورة العربية بقدر ما ترجع الى الظروف والأوضاع العربية التي سادت قبل المعركة .

ورغم مرارة الهزيمة وهولها ؛ فقد اثبتت الجماهير العربية ايمانها بنفسها واصرارها على المضي في مواجهة التحدي . ورفضت الجماهير بوضوح قاطع الاستسلام للهزيمة . كما هبت جماهير شعبنا الفلسطيني تقاوم العدو ومشاريعه في محاولاته لاقامة كيان فلسطيني هزيل ممسوخ كما وقفت تقاوم مشاريع التصفية والتسويات الاستسلامية . وقد حمل شعب فلسطين السلاح يقاوم ويناضل بعناد واصرار ، ووقفت جماهير الأمة العربية تدعم مقاومة شعبنا و كفاحه المسلح ، وانتفضت هذه الجماهير في اكثر من قطر عربي ، وبرز فعل عفوي صادق وسليم على النكسة تصحح أوضاعاً وتثور على اخرى ، كما حدث في القطرين العربيين الشقيقين السودان

وليبيا ، اللذين ابديا على الفور موقفهما من الاقليمية والتجزئة ، فبادرا الى التحرك القومي الوحدوي، فكانت تلك اللقاءات بينها وبين الجمهورية العربية المتحـــدة للتخطيط من اجل مسيرة وحدوية قومية .

* * *

وبعد ،

فلو كان الفكر العربي السياسي المعاصر بصفاء دم ذلك المواطن العربي الحر الذي اريق طوعاً واختياراً فوق ساحات النضال العربي من الاوراس حتى الأغوار ، ومن شواطىء المحيط الهندي حتى شواطىء بور سعيد ، ولو كان التحليل العلمي الثوري بجرأة الفدائي العربي الذي يضرب اليوم ، بكل بطولة ، اوكار العدو داخل الأرض المحتلة وعلى مشارفها ، لما كان هنالك من داع لتكرار البديهيات التاريخية التي تجابه مسيرتنا كأمة ، ولما كان هنـــاك من شكوك على الاطلاق في انه مامن قضية قطرية ، مهما تضاءلت في اهميتها ، ليست في حقيقتها النهائية الا سبباً لاستمرار التجزئة الاقليمية او نتيجة من نتائجها . إما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، فإن لم تكن هي محور الثورة العربيـة في تاريخنا المعاصر ، ترى فأي قضية — إذن — هي محور تلك الثورة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثلج يأتي من النافذة

روايـــة

للأديب العربي السوري حنا مينـــه

منشورات وزارة الثقافة - دمشق - سعر النسخة ٣٠٠ ق.س

القضية الفلسطينية كمحور للثورة العربية

بحث : حسن الخطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واقع النضال الوطني الفلسطيني :

منذ ان فرضت حركة المقاومة الفلسطينية وجودها الفعلي والعملي على الساحة الاردنية ـ الفلسطينية ـ بصورة خاصة ، وعلى الاوضاع العربية المحيطة بها بصورة عامة في اعقاب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، وهي تعيش اوضاعاً ذاتية لاتعدو كونها امتداداً عفوياً للأطر الفكرية والتنظيمية التي حكمت حركة التحرر الوطني العربية وتمثلت في سلسلة من البرامج السياسية والاقتصادية والعسكرية ، عبرت اكثر من مرة عن عجزها وقصورها في فهم ومعالجة الظواهر السياسية والاجتماعية في الواقع العربي ، واكتفت بمجرد الاطلال على هذه الظواهر دون الانتقال الى مواقع التحديد والتحليل ، على ضوء القوانين السياسية

والطبقية التي تحكم مجموع الاوضاع العربية وترسم شبكة العلاقات القائمة بينها .

ففي المجال التنظيمي وقعت حركة المقاومة الفلسطينية في شرط العفوية والارتجال واكتفت بمظاهر الالتفاف الجماهيري الخارجية والسطحية دون ان تخطو خطوة جادة ومتقدمة على هذا الصعيد ؛ بنقل اندفاعات الجماهير وتمردانها من حالة العفوية الى حالة الالتزام بحركة وطنية ثورية تملك الرؤية الواضحة لابعاد الصراع العربي الاسرائيلي وعلاقته الجدلية بالواقع العربي أولاً ، وبالواقع العـــالمي ثانياً ، وتستطيـع ان تضع يدها على القوى الوطنية والطبقة المؤهلة موضوعياً لانجاز مهمة التحرير بكل ماتعنيه هذه الكلمة من بعد ثوري ، جذري وشمولي .

فعلى الرغم من أن حركة المقاومة كانت على مشارف ولادة حقيقية عشية الخامس من حزيران ، لكونها كانت نتيجة معاناة موضوعية وواقعية لكل اشكال التناقضات في الساحة العربية ، فقد وجدت نفسها بعد الهزيمة مباشرة ، في جو الاختناق العربي ، والفوضى السياسية والعسكرية ، تتحول الى رد فعل لواقـــع الهزيمة ، وتضيـع في بحر الشعارات المطروحة مثل (حركة المقاومة بجرد شكل من اشكال الكفاح العسكري مجردة من بعدها السياسي والايديولوجي تتحمل مسؤولية الهزيمة من ناحية ، دون تحديد العوامل الذاتية والموضوعية الكامنة وراء هزيمة كل نظام في هذه المعركة ، وفي مسؤولية الاعداد للمعركة القادمة من ناحية اخرى) .

وبذلك فقد وجدت نفسها أسيرة معالجات يومية واستراتيجية خاطئة في كثير من جوانبها ، من حيث علاقاتها بالجماهير الفلسطينية والعربيـة ، ومن حيث علاقاتها بالأنظمة العربية ، ومن حيث فهمها لطبيعة المرحلة وما تتطلبه من وضوح نظري وقدرة علمية ، ومن حيث علاقة فصائلها الذاتية . وان ضمانة تجاوز حركة المقاومة لمجموعة هذه المنعكسات السلبية انما تتوقف على قدرتها على اعادة صياغة مفاهيمها

وأساليبها ، انطلاقاً من ظروف الواقع الموضوعي وأبعاده ، وتخطيها مرحلة رد الفعل الذي وقعت فيه. وهذا يفرض عليها اعادة النظر في جميع المعطيات الخاطئة التي وضعتها فيها مرحلة رد الفعل آنفة الذكر .

ففي المجال الفكري وقعت حركة المقاومة الفلسطينية اسيرة تفسيرها المثالي والغيبي للقوى السياسية والاجتماعية في الواقع العربي ، وامام الاندفاع الجماهيري العاطفي في أعقاب النكسة في اتجاه دعم وتأييد حركة المقاومة انبهرت بهذا التحرك . وبدلاً من ان تدرسه في حيزه الزماني والمكاني ، وان تخرج منه بنتائج علمية ومنطقية تكشف الحوافز الحقيقية لقدرة الجماهير ، وترسم لها بالتالي مسار حركتها نحو مصلحتها الحقيقية في ارساء قواعد الثورة السياسية والاجتماعية، بدلاً من كل هذا اعتبرت هذه الظاهرة العفوية قانوناً عاماً يحكم قضيـــة الثورة الفلسطينية وأخذت تبني عليه تحليلات خاطئة وتثبت في حركة المقاومة مفاهيم مغلوطة اقل ما يقال فيها انها لم تنطلق من فهم تحليلي كامل للقضايا الاساسية في الواقعين العربي والفلسطيني ، وانما جاءت من مواقع الانبهار المثالي بهذا الزخم الجماهيري ، وبذلك وقعت عند حدود التغني بهذا الأنبهار وذلك الزخم . وعليه فان النظر الى حركة المقاومة في هـــذا الاطار العام انما يقدم لنا أكثر من إجابة عن حقيقة الأسباب الكامنة وراء بقاء الكثير من قضاياها المصيرية معلقة في فراغ البحث النظري المجرد ، او محكومـــة بعوامل من الرفض والتجاهل المقصودين لمحاولات اعادة النظر في كل مايثبت علمياً وعملياً انه يشكل ظاهرة مرضية او سلبية في جسم حركة المقاومة واتجاهاتها الايديولوجية والسياسية . فعلى الرغم من أن مجموعة العوامل السياسية والطبقية التي مهدت لتكون فصائل

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

حركة المقاومة قد حددت بالتالي المضامين الايديولوجية لها ، وعلى الرغم من ان جميع ممارساتها وأعمالها ذاتياً وموضوعياً ، عربياً ودولياً ، في الحقلين السياسي والعسكري قد جاءت انعكاساً مباشراً لهذه المضامين ، وتعبيراً عن المصالح الطبقية لأدواتها البشرية ، فان حركة المقاومة الفلسطينية قد قفزت من فوق كل هذه الاعتبارات الجوهرية وانطلقت من كون قضية فلسطين قضية وطنية ، وكون النضال في سبيل تحريرها يدخل في إطار النضال الوطني التحرري الى فرض مفاهيم خاطئة واتجاهات متناقضة مع قوانين حركات التحرر الوطنية لتعبر عن ماهية النضال الوطني الفلسطيني وعن أبعاده المرحلية والاستراتيجية . ويمكننا أن نتعرض بايجاز الى هذه المفاهيم والاتجاهات مع محاولة محدودة أيضاً لكشف جوانب الخطأ فيها ، والوصول بالتالي الى طرح البديل الصحيح لها .

١ - لقد انطلقت حركة المقاومة الفلسطينية على صعيد التناقض الرئيسي في مسألة الصراع العربي الاسرائيلي من حصر هذا التناقض في معركة تحرير فلسطين بين الاستعمار والصهيونية العالمية من جهة ، وبين الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية بمختلف فئاتها وطبقاتها من جهة اخرى . وواضح ان مثل هذا الفهم يعتمد التعميم أولاً ، ويفصل فصلاً تعسفياً بين حركة التحرر الوطني الفلسطيني كحركة ثورية ، وبين حركة التحرر الوطني العربية التي حددت أبعاد الصراع السياسي والاجتماعي على ضوء التناقض الرئيسي بين الاستعمار والصهيونية العالمية والرجعية العربية من جهة ، وبين حركة التحرر الوطني العربية من جهة اخرى ثانياً .

وبهذا المفهوم العام فان حركة التحرر الوطني الفلسطينية تجد نفسها في إطار مفاهيمها هذه معزولة كلياً عن حركة التحرر العربية ذات الآفاق الثورية والتقدمية ، وعلى ذات الأرض مع الدعوات الرامية الى نفي الترابط التاريخي والحتمي بين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستعمار والرجعية العربية . فلقد حاولت الرجعية العربية – بشتى الاساليب والوسائل المخادعة والتضليلية – أن تضع نفسها طرفاً في عملية تحرير فلسطين على امتداد الأعوام العشرين من ١٩٤٨ – ١٩٦٧ . وبعد ذلك أيضاً وفي أعقاب هزيمة الخامس من حزيران ، حاولت أن تخدع الجماهير العربية اكثر من مرة باستعدادها وقدرتها على المساهمة في هذه العملية عن طريق دفع الاعانات المادية المحدودة إما للانظمة العربية ذات المسؤولية المباشرة في خوض المعركة مع اسرائيل ، عن طريق مؤتمرات القمة ، وإما لحركة المقاومة الفلسطينية عن طريق ما تجنيه من جماهير الشعب العربي وتقدمه على شكل هبات وإكراميات لها . ولكن الجماهير العربية كانت باستمرار تعي أبعاد هذه المحاولات المكشوفة ، وكانت تضع الرجعية العربية في موقعها الحقيقي مع الاستعمار والصهيونية العالمية . فهل يحق لحركة المقاومة ان تمنح صكوك براءة وغفران لهذه القوى ؟ واذا كانت راغبة في ذلك فما هي الأسس التي تعتمدها في موقفها هذا ؟ واذا كانت تنادي بتحييد الثورة الفلسطينية فماذا يعني هذا التحييد ، وما هي انعكاساته في الواقع العملي على كل دولة عربية وكل نظام عربي ؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان هذه الأسئلة اذا كانت تعني شيئاً محدداً بالنسبة لنا ووفق فهمنا لملابسات الواقع العربي وظروفه ، فانما تعني عزل المقاومة الفلسطينية عن تأثير الأوضاع العربية التي تمارس فيها نضالها اليومي بشكل مباشر أو غير مباشر ، وبالتالي اعتبارها واقعاً كلياً مفصولا عن كل ما يؤثر في حركة التحرر العربية من عوامل قومية واجتماعية .

٢ – ركزت حركة المقاومة الفلسطينية على مسألة تحرير الأرض دون أن ترى حاجة الى تحديد أدوات هذا التحرير المادية والنظرية ، معتبرة ان جميع

طبقات وفئات الشعب العربي الفلسطيني مدعوة للاسهام بهذه العملية الثورية على نفس المستوى ومن ذات المواقع ، بغض النظر عن مصالحها الطبقية وانتماءاتها الايديولوجية ؛ ولذلك فقد رفضت البحث في قضية المضمون الاجتماعي لمسألة التحرير ، على اعتبارها مسألة استباقية ترد في غير مرحلتها وشرطها الموضوعي ، وهذا ما أدى بها في كثير من الأحيان الى تجاهـل حقيقة أساسية مؤداها فشل البرجوازية الفلسطينية والاقطاع العائلي الفلسطيني الاضطلاع بأي دور ايجابي ملموس في عملية التحرير ، وفتح الطريق أمام هذه الفئات والطبقات المندثرة للعودة الى مسرح العمل الوطني بعد أن تنفض عنها أكفانها لتتصدر مرة اخرى قيادة العمل الوطني ، لاسيما مع فقدان الخطوط الأساسية لنظرية ثورية تكون قادرة على تحديد الأصدقاء والأعداء أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة ، وأصحاب المصالح الذاتية والشخصية في ركوب موجة هذه الثورة . ومن الملاحظ أن هذا الفهم قد أدى الى تجاهل طبيعة القوى المؤهلة اجتماعياً وسياسياً للسير في عملية التحرير الى نهايتها، والى نفي التلازم بين التحرر السياسي والتحرر الاجتماعي في عصرنا الراهن ، وعصر الثورات القومية الاشتراكية .

٣ — من خلال التركيز المطلق على القوانين الخاصة لحركة التحرير الوطني الفلسطينية ، وعلى المهات الخاصة بهذه الحركة أيضاً ، وبناء على الالحاح المتواصل على (وطنية) الثورة الفلسطينية ، لم تُعطَ حركة المقاومة الفلسطينية الأهمية الكافية لبناء تنظيم طبقي مركزي يقوم على نظرية ثورية وعلمية في التنظيم والتوجيه والتحليل ويستند في علاقاته الى الديمقراطية المركزية . واعتبرت بان اعتماد ايديولوجية الكفاح المسلح هو المدخل الوحيد لحل مشكلات الواقع الفلسطيني السياسية والايديولوجية كافة مع ما يعنيه هذا الفهم من وضع الجماهير في حالة

من العفوية والاندفاع العاطفي تعبر عن نفسها بتمردات آنية ومفاجئة لاتلبث أن تصاب باليأس والضياع أمام احتمالات التراجع التكتيكي والانعكاسات المؤقتة. وان تجربة العمل الوطني في الخمسينات والستينات قد أعطت نتائج سلبية ملحوظة يمكن ارجاعها في غالبيتها الى هذا السبب الرئيسي : عدم وجود تنظيم طبقي مسلح بنظرية ثورية يقوم على فهم تحليلي وجدلي للواقع ويسعى لمعالجته بروح علمية تعتمد الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في عملية العلاج هذه .

ومن هنا .. فاذا كانت حركة المقاومة الفلسطينية قد مثلت تحولا هاماً في أساليب حركة التحرر الوطني العربية، وطرحت على الواقع العربي وعلى الجماهير العربية بعداً ثورياً هاماً - وهذه انجازات وطنية وقومية يمكنها ان تشكل نواة تحرك جماهيري عربي عام - فإن مسألة ثورية هـذه الحركة وجذريتها وشموليتها ووضوح برامجها السياسية والايديولوجية والعسكرية والتزامها بنظرية ثورية وعلمية تبقى هي الأساس المادي والشرط الأهم لكل عملية تطور مستقبلية تحقق الربط التام بين الكفاح الشعبي المسلح وبين العمل السياسي، وتعميق الوعي الوطني والطبقي لدى الجماهير . إذ ان تجارب التاريخ الوطنية والثورية قد أثبتت بصورة قاطعة ان الجماهير الكادحة المسلحة بالوعي السياسي والعسكري هي الأداة القـادرة والمؤهلة موضوعياً وعملياً على انجاز مهمة التحرر الوطني والنهوض بأعبائه السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل قيادة مسلحة بالقدرة على التحليل ومحاكمة الامور في اطار الشروط الموضوعية للواقع السياسي والطبقي. وان كافة الاتجاهات الرامية الى وضع حركة المقاومة في دوامة التجريبية أو القفز بها من فوق الصراعات السياسية والطبقية لن تؤدي بها الا الى خارج الحتمية التاريخية النابعة من ضرورة تصعيد الكفاح المسلح الفلسطيني الى مستوى الثورة الشعبية الشاملة،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكل ما تحمله الثورة من مضامين تقدمية ومن ترابط عضوي مع حركة التحرر الوطني العربية والعالمية على حد سواء .

ان الاصرار على تجاهل الضروريات الايديولوجية لحركة التحرر الوطني الفلسطينية انما يعني بالتحليل الاخير العودة مرة اخرى الى نتـائج انتفاضات الشعب العربي الفلسطيني المحزنة، على امتداد تاريخ صراعه الطويل مع الاستعمار والصهيونية، العاملة في ظل قيادات اقطاعية برجوازية اعتمدت على الارتجال والكيفية في توجيه الشعب العربي الفلسطيني ورسم مسار حركته الوطنية، وبرهنت على عجز مطلق عن الاضطلاع بمسؤوليات التحرر الوطني، واكتفت بالاستسلام للانظمة العربية الاوتوقراطية الرجعية التي عقدت بدورها صفقات وانجة مع الاستعمار والصهيونية على حساب القضية الفلسطينية ، والشعب العربي الفلسطيني . وان استفادتنا من دروس الهزائم المستمرة التي لحقت بالحركة الوطنية وبمختلف اشكال نضال شعبنا في أعوام ٢٩ و ٣٦ و ٤٧ يجعلنا نكتشف بسرعة وبدون عناء انه في مقدمة عوامل الفشل والانكفاء، بالاضافة الى العوامل الفكرية والتنظيمية، كانت تقف القيادات الاقطاعية والبرجوازية التي اقتصرت على عائلات محدودة، واستغلت التحرك العاطفي العفوي الذي قامت به طبقة الفلاحين آنذاك رداً على تهديد مصالحها من جراء الغزو الصهيوني الاستيطاني الذي استهدف استملاك الاراضي العربية ، بالتعـاون مع طبقة العمال ومع فئات من المثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة. واستطاعت هذه القيادات بشكل دائم ومستمر، من خلال سيطرتها على هذا التحرك وقيادته، ان تحرفـه عن منحاه الحقيقي وان تساوم على قضايا هذا الشعب ومصالحه الوطنية بالدخول في مفاوضات مباشرة مع السلطات الاستعمارية البريطانية لوضع حد لهذا التحرك الجماهيري ، لاشباع الجماهير بالوعود

الكاذبة والمضللة ، وبالاعتماد على (النوايا الحسنة للصديقة الكبرى بريطانيا العظمى) .
هذا في نفس الوقت الذي يجعلنا نقرر ببداهة مطلقة ان البرجوازية الفلسطينية ، كشقيقتها البرجوازية العربية ، لن تتحرك الا في إطار التزاماتها الطبقية وارتباطاتها المصلحية . وإن تجاوز مجموع هذه الهزائم لن يكون الا بالتزام برنامج وطني جذري يقوم على الاعتماد على الجماهير الكادحة المسلحة في اطار تنظيم ثوري يتولى مهمة التخطيط والاعداد لمعركة طويلة المدى مع الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية .
ولكي نتقدم بشكل ملموس في مضمار بناء هذا التنظيم انطلاقاً من واقع المقاومة الراهن بمشاكلها ومتاعبها لابد من الاعتراف بان امام هذه الحركة ، بالاضافة الى ضرورات التطور الذاتي والوعي والوضوح النظري والاستراتيجي ، عدداً من المسائل الهامة التي يتوقف عليها الى درجة كبيرة مستقبل هذه الحركة ونجاحها في تطبيق برامجها واهدافها . واهم هذه المسائل ما يلي :

١ ـ مسألة العلاقة بين فصائل حركة المقاومة :

من اولى المهام المطلوب انجازها من حركة المقاومة الفلسطينية بصورة موضوعية وعاجلة حل مسألة العلاقات الذاتية بين فصائل حركة المقاومة على ضوء القانون الذي يحكم خط سيرها في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل الثورة والقضية بشكل عام ، والمتمثل في الحرص على عدم اثارة التناقضات الهامشية والجزئية ؛ وذلك لخطورة اثارتها في مرحلة لم يتكامل فيها الوعي الثوري والسياسي لدى الجماهير العربية والفلسطينية ، ولقطع الطريق على القوى المضادة للثورة ، والجيوب الرجعية والعميلة التي تنتظر الفرصة المناسبة لاستغلال اي حادث جانبي تنطلق منه في تشويه مسيرة الثورة الفلسطينية ومن ثم الانفصال عليها وتصفيتها .

وإذا كنا نرى في هذا الحرص على عدم اثارة هذه التناقضات قاعدة أساسية من القواعد التي يجب ان تقومَ عليها قضية العلاقة ، فإننا نرى في ذات الوقت انه لا يجوز التمادي في هذا الحرص، بحيث يؤدي إلى طمس الاختلافات المتعلقة بقضية الثورة ذاتها، تطوراً ووجوداً، لأن السقوط في هذا المنحدر ان يؤدي الا الى مهاوي المثالية والانهازية ، وهي مقدمات صالحة ومطلوبة على كل حال لضرب مواقع الثورة . وان اشاعة جو من الجدل الديموقراطي والنقد الذاتي البناء والموضوعي، والابتعاد عن الأساليب الفاشية والقمعية في معـالجة الخلافات اليومية والتكتيكية ، يمكن ان يولد مناخاً ملائماً لنمو العلاقات الموضوعية بين فصائل حركة المقاومة ، حتى في ظل تباين خطوطها المذهبية ، والسياسية شريطة الابتعاد عن الانغلاق الذاتي والتشنج التنظيمي ، حيث تسود النزعة الانفعالية الأنانية التي ترفض الحوار الحر وتعمق الخلافات الثانوية وتضع حركة المقاومة كلها في مأزق لن يكون في الصالح الخاص لأي فصيلة ولا في صالح حركة المقاومة بشكل عام . وما دمنا بصدد معالجة مسألة العلاقات الناجمة في الاساس عن تعدد منظمات حركة المقاومة، فإن ظاهرة مرضية خطيرة تبرز على صعيد هذا التعدد معبرة عن نفسها باضافة فصائل جديدة الى هذه الحركة ، وغالباً ما لا تتمتع هذه الفصائل بأي مبرر موضوعي لولادتها او افرازها ، لكونها لا تستند الى اساس ايديولوجي او عسكري لا يجعل وجودها شاذاً ومعوقاً في مسيرة الثورة الفلسطينية . ولا شك ان معالجة هذه الظاهرة والتغلب على اسبابها ، انما تعتبر من المهام الشاقة والدقيقة الملقاة على عاتق حركة المقاومة ، نظراً لاستهجان هذه الأخيرة لعمليات القسر والارغام كأسلوب المعالجة ، وبناء على ارتباطات عربية تكون هي الاساس المادي والدافع الحقيقي لبروز هذه المنظمات وتواجـدها

كأحد اشكال التدخل المباشر من قبل هذه الانظمة في الاوضاع الداخلية لحركة المقاومة الفلسطينية .

وهذا يعطيها في كثير من الاحيان مبررات استفزازية وتمردية مشبوهة انطلاقاً من عجزها عن مواكبة الظروف الموضوعية والتعبير عملياً عن بعد وطني وثوري في الساحة الفلسطينية .

وهذا يقودنا، وقد قاد فعلا في مناسبات متعددة، الى اصطدامات متفاوتة وان كانت في غالبيتها محدودة ، ولكنها بالضرورة تركت وتترك انعكاسات سلبية ملموسة على علاقة المقاومة ككل بالجماهير العربية والفلسطينية ، وتؤدي بالتالي الى افساح المجال امام القوى المضادة للنفاذ منها الى تشويه الثورة وضربها . ولكي لا نبدو ضد تعدد المنظمات الفلسطينية ، هكذا ولمجرد الرغبة الذاتية والموقف التعسفي، فإننا نعتقد ان تعدد هذه المنظمات ظاهرة صحية وموضوعية لا يمكن تجاوزها ما دامت تعبر عن مواقف ايديولوجية وسياسية . وعندما يكون وجود هذه المنظمات انعكاساً وتعبيراً عن بعد ايديولوجي وطبقي وسياسي فإن احداً لا يستطيع ان يحول بينها وبين الحياة والتنامي ، ولكن هذا الامر يعكس نفسه تماماً عندما ما يكون تواجد هذه المنظمات لمجرد الاضافة الكمية او لزرع نفوذ سياسي عربي في قلب حركة المقاومة . وفي اعتقادنا ان اسلوب معالجة هذه الظاهرة يجب ان يقوم على اساسين :

١ — فتح حوار هادف وموضوعي مع عناصر هذه الفصائل التي تتمتع بصورة شبه مطلقة بحس وطني نزيه وشريف ، واطلاعها على المخاطر الكبيرة الكامنة في احتفاظ هذه الفصائل بكياناتها الخاصة المستقلة ، وتبيان أهمية حصر

العمل الوطني الفلسطيني في اضيق الخطوط النظرية والسياسية والعسكرية .

٢ – اخراج هذه المنظمات من ساحة العمل الفلسطيني باعتماد المنطق الموضوعي والتحليل ، وذلك بالتركيز على كشف زيف جميع الادعاءات الايديولوجية التي تختفي وراء طرحها والمتاجرة بها ووضعها في اطارها الصحيح، مما تعرّ منه جميع الانحرافات الذاتية وتتسلل عن طريقه الى حركة المقاومة جميع الاطماع الشخصية والمخططات العربية ، وتوضيح أهمية استقلال حركة المقاومة عن الأنظمة العربية وأجهزتها الرسمية وارتباطها المصيري والجدلي في المقابل بحركة الثورة العربية وطرح شعار لتلق جميع الفصائل ذات الأفق النظري والاستراتيجي الواحد في اطار تنظيمي موحد يساعد على الوصول بالعمل الفلسطيني الى أقل عدد ممكن من الاطارات التنظيمية، كخطوة على طريق توحيد أداة الثورة الفلسطينية ، هذه الوحدة الملحة والفعالة والحاسمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ – حركة المقاومة الفلسطينية والأوضاع العربية :

في بدء الحديث عن هذه المسألة الهامة والمعقدة لا بد من الاعتراف أولاً وبشكل واضح وصريح ان قضية فلسطين مرتبطة تاريخياً وموضوعياً بالأوضاع العربية المحيطة بها، وانمصير هذه القضية كان يتقرر باستمرار في الاطار العام السياسي والاقتصادي لهذه الأوضاع ، ولذا وبشكل بدهي فقد كان دائماً يتقرر بمعزل عن ارادة أبنائها وعن مصلحتهم الوطنية والطبقية . وان تاريخ هذه القضية يكشف لنا بجلاء صدق هذه الموضوعة وعمق ارتباطها بالمصلحة الذاتية لهذه الأوضاع، ويضع أمامنا طبيعة التحالفات التي كانت تعقد باستمرار وفي كل مرحلة بين الأنظمة العربية وبين القيادات الفلسطينية الاقطاعية

والبرجوازية والتي كانت تأتي انعكاساً مباشراً لارادة المستعمرين ورغبتهم في تسوية أوضاع هذه القضية بما يتفق ومخططات الصهيونية واطماعها التوسعية . وان الدور الذي لعبته البرجوازية الفلسطينية منذ سنة ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا، بالتحالف مع الأنظمة العربية الرجعية في المنطقة بشكل عام ، وفي القطر الأردني بشكل خاص ، أما في التآمر على المصالح الحيوية لهذا الشعب ، أو في عزله عن قضيته المصيرية ، وحرمانه من القيام بأي دور فعال في العمل الوطني ، انما يشكل احدى النماذج المستمرة والمتجددة لمثل هذا الترابط الطبقي والمصلحي .

ومن هنا فان القانون العام الذي يحكم القوى الرجعية في المنطقة العربية ويقرر فكرها وأساليب ممارستها أوضح من ان يضع أمامنا ولو احتمالا بسيطاً يمكن اعتباره لصالح حركة المقاومة الفلسطينية . وان ما يجب ان تبني عليه حركة المقاومة تصورها الموضوعي لطبيعة علاقاتها وارتباطاتها انما هو الوعي الشامل لحقيقة مؤداها أنه ما من موقف ايجابي **يتقرر من قبل الانظمة العربية لصالحهـــا الا ويكون موقفاً تكتيكياً يخضع لاعتبارات عدة ذاتية ومحلية، سياسية وعسكرية ، وان امكانية التراجع عنه والتنكر له تبقى محتملة في كل لحظة .** ولذا فاننا نلاحظ باستمرار وأمام تصاعد الحديث عن الحلول الاستسلامية والتصفية ، ومع ازدياد بوادر التفاؤل التي تبديها الأوساط المحلية والدولية بتطبيق قرار مجلس الأمن الصادر في تشرين الثاني من سنة ١٩٦٧ ، ان قوى الثورة المضادة قد هيأت نفسها للانقضاض على حركة المقاومة ، وذلك بالاساليب والوسائل التي تراهـــا متلائمة مع متطلبات المرحلة واعتباراتها الذاتية والموضوعية ، فتسعى تارة إلى ترسيم الثورة الفلسطينية تحت شعارات التنسيق والتعاون، ووحدة الاستراتيجية العربية، أو عن طريق محاولات

الاحتواء والوصاية التي ترشح لان تكون الطريقة المثلى والناجحة لتقليم أظافر الثورة الفلسطينية والحد من اندفاعاتها الثورية والجماهيرية . وذلك باقحامها في الالتزام ببرامج مؤتمرات القمة واللقاءات والاتفاقات العربية الرسمية ، حيث يبقى الهدف الأساسي لكل هذه الاجراءات ضم حركة المقاومة الى وعاء اذابة تناقضاتها الذاتية المزمنة ، لشعورها بما يعنيه تطور هذه الحركة على صعيد الجماهير العربية ، وبالمقابل على صعيد مصالحها الطبقية والاقليمية الضيقة . **وهذا يحتم على حركة المقاومة الفلسطينية ان ترفض استخدامها كورقة تكتيكية بيد أي نظام عربي .**

وعليه فاذا كانت حركة المقاومة ، قد اجتازت مرحلة الصعوبة الأولى من حياتها وتخطت احتمالات المواجهة السافرة والعلنية من القوى الرجعيـــة والاستعمارية ، بانضمامها الى جانبها من قوى جماهيرية ، فلسطينية وعربية معبأة ومسلحة ، فان عليها ان تعي جيداً طبيعة العوائق الجديدة التي أخذت تلقى في طريق تقدمها وتطورها ، وان تضع في اعتبارها ان خنادق كثيرة ومتنوعة ، مادية ومعنوية ، لا زالت تحفر في طريق اندفاعهـا وتحولها الى حرب شعبية كاملة . **ذلك أن الواقع السياسي والاقتصادي والعسكري في المحيط العربي لا زال بمركباته المختلفـــة ، وعلى رأسها الذهنية العسكرية التي يفهم بها قضية الشعب ودوره في المعركة غير قادرة ولا مستعدة اطلاقاً على تقبل الدور الطليعي والتاريخي للجماهير العربية . والشعب العربي الفلسطيني في معركة الأمة العربية المصيرية ضد الاحتلال الاستعماري الصهيوني وضد كل مظاهر وألوان الاستغلال الطبقي والاضطهاد القومي والتخلف الحضاري .**

٣ – مسألة الوحدة الوطنية :

على الرغم من الصيغ الكثيرة التي مرت بها مسألة الوحدة الوطنية ، والتجارب المتكررة التي خاضتها فصائل حركة المقاومة من أجل الهدف ذاته ، فإن هذه المسألة لا زالت من أبرز المسائل المطروحة على الجماهير العربية والفلسطينية ، وعلى فصائل حركة المقاومة الفلسطينية في الوقت ذاته ، لكونها مسؤولية تاريخية واستراتيجية يتوقف عليها الى حد بعيد قدرة حركة المقاومة على تجاوز خلافاتها الهامشية والذاتية ، وتقديرها لأهمية الدور السياسي والعسكري الذي يترتب على وحدتها ولقائها ، وبالتالي استعداد كل من فصائلها للاسهام في اغناء تجربة الثورة الفلسطينية والارتقاء بها الى مرحلة الحرب الشعبية التي تتطلب أول ما تتطلب وحدة الشعب الوطنية ، وحشد جميع طاقاته وقدراته في معركة التحرير .

فاذا كان تعدد فصائل حركة المقاومة يعكس واقع الاختلافات السياسية والفكرية والاجتماعية ، وهذه حقيقة موضوعية لا يجوز تجاوزها – لا سيما في بدايات التكون – فإن الضرورات الوطنية والقومية تفرض على جميع هذه الفصائل التمسك بعدم اثارة التناقضات الايديولوجية والثانوية . ذلك أن الوعي الثوري والموضوعي لمتطلبات أية مرحلة وظروفها هو الذي يوضح الخطوط العملية لأساليب علاج هذه المرحلة وحل مسائلها الأساسية والثانوية بمعزل عن النزعات الذاتية والفردية التي يجب أن تخضع لطبيعة هذه المرحلة وأوضاعها وتختفي بالتالي ، لصالح الخط الاستراتيجي لحركة التحرر الوطني . ومن هنا فإن قضية الوحدة الوطنية ليست شعاراً تكتيكياً ومرحلياً يمكن ان يطرح في ظروف معينة ومنتقاة، خدمة لبعض المصالح والشعارات الذاتية ، بل هو شعار استراتيجي يتعلق بقضية النضال الوطني من أساسه . ويحمل عدم تحقيقه أو المتاجرة به

مخاطر كبيرة على جماهيرية هذا النضال الوطني ، وعلى صحة استراتيجيته سياسياً وعسكرياً ، ذلك ان تشتت قوى الشعب الفلسطيني لا يخدم استراتيجية الكفاح الشعبي المسلح على المدى البعيد ، وانما يحول دون التفاف الجماهير من حول حركة المقاومة ويمهد لزرع بذور الفرقة والانقسام داخل صفوف الحركة الوطنية . ولذلك فهو يسهل مهمة القوى المضادة للثورة في السعي لاجهاض حركة المقاومة والحيلولة دون تصعيدها الى مستوى الثورة الشعبية . وان وحدة فصائل حركة المقاومة وقواها المقاتلة هي الضمانة الاكيدة لانتصارها وانتزاع المشروعية الدولية لنضالها الوطني التحرري ضد الوجود الاستعماري الصهيوني في القطر العربي الفلسطيني . ولهذا فاننا نرى ان اساليب الحوار الديمقراطي وتوفير الشروط القادرة على خلق مناخات ملائمة هي الوسائل الموضوعية المؤهلة للدخول بفصائل حركة المقاومة الفلسطينية الى صيغة مقبولة من صيغ وحدة أداة الثورة الفلسطينية في اطار جبهة وطنية عريضة تقوم على برنامج عمل يمثل الحد الاول للقضايا المشتركة والمتفق عليها مرحلياً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منظمة التحرير الفلسطينية :

لا زالت منظمة التحرير الفلسطينية احدى الصيغ الوحدوية المطروحة على فصائل حركة المقاومة ، والمقبولة بشكل عام من فصائل رئيسية فيها ، سيما وانها الحد الذي امكن التوصل اليه في المرحلة الماضية في غياب الاستعداد الذاتي لقيام وحدة حقيقية تتجاوز هذا الشكل وتكون بديلاً عملياً وموضوعياً له . ومن هنا يمكننا القول بدون عناء كبير إن اللقاء في منظمة التحرير الفلسطينية لم يحقق إلا شكلاً وحدوياً يحمل دلالات وحدوية ، ولكنه بالتأكيد ليس الشكل الصحيح الذي علقت عليه الفصائل المشاركة آمالاً كبيرة في بدايات مشاركتها

فيه . وللبحث في أي تطور ينال هذه المنظمة وأجهزتها الأساسية لابد من المرور العابر على مشكلاتها وعلى طبيعة قيامها ومعناه فلسطينياً وعربياً، ومن ثم استعراض أهم مظاهر الضعف والانحلال في واقعها الراهن .

فاذا كانت منظمة التحرير قد مثلت عند انشائها حلا وسطاً لتناقضات الأنظمة العربية التي التقت في مؤتمر القمة الأول سنة ١٩٦٤ لتوحيد موقفها أمام إقدام اسرائيل على تحويل مجرى نهر الاردن ، فإن مما لاشك فيه انها لازالت حتى الآن تحمل بذور ولادتها . وان ظلال الوصاية العربية الرسمية لازالت تخيم على بعض مفاهيمها وأجهزتها وأساليبها في العمل والتفكير ، وان حفاظ هذه الأنظمة عليها واستمرار اعترافها بها انما هو مرهون باستعداد هذه المنظمة أن تظل بشكل دائم على طبيعتها الأولى حلا وسطاً لتناقضات هذه الأنظمة ومحوراً يلتقي عنده جميع هذه التناقضات ، ليجد عندها كل نظام معبراً يدخل منه الى تزييف موقفه الحقيقي من القضية الفلسطينية ومن حرية تمثل ارادة الشعب العربي الفلسطيني . فكلنا يعرف أن ولادة منظمة الشقيري في حينه قد جاءت كمحاولة عربية رسمية لاجهاض بدايات التحرك الوطني لدى الجماهير العربية الفلسطينية التي أخذت تتبلور آنذاك في عدد من الاطارات التنظيمية ذات الأهداف المتباينة والمتعددة ، والتي كانت تلتقي جميعها عند مسألة (تحرير فلسطين) واقامة تنظيم فلسطيني يحمل أعباء المهمة هذه ، مع التفاوت في برنامج كل منظمة وطنياً وثورياً وطبقياً . وان منظمة التحرير إذا لم تتمكن من التغلب عملياً على هدف انشائها ، بالانتقال من منظمة بيروقراطية الى حركة وطنية ثورية تحل مسألة التناقض ذي المنشأ العربي البيروقراطي الرسمي وبين محتواها وأدواتها المقاتلة ، بمثلة في الفصائل الرئيسية لحركة المقاومة : الطلائع — فتح — الديمقراطية ، فإنها ستبقى في اطار

حركتها العاجزة والغير مؤهلة اطلاقاً على تمثيل الشعب العربي الفلسطيني وبلورة ارادته في كفاح مسلح بطولي . وان الصيغة الأخيرة التي أمكن التوصل اليها بضم قوة رئيسية مقاتلة الى منظمة التحرير الفلسطينية قد استطاعت بدون ريب أن تنتقل بها الى مرحلة متقدمة على صعيد انجاز بعض المشاريع الوحدوية .

ولكن المدايات المقطوعة في مشاريع التوحيد هذه بعد مرور عام على قيامها تقريباً لازالت أصغرشأناً من أن نعتبرها خطوات حاسمة وحقيقية في هذا المجال. وإذا كانت قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني هي النموذج البارز في سجل هذه المشاريع فما زال،رغم مرور فترةزمنية ليست بالقصيرة على قيامه،مفرغاً من كل المضامين العملية وموظفاً لصالح مجموعة اجراءات شكلية ، مثل البلاغات العسكرية والانضباط العسكري والاسهام في حل بعض المشكلات المتعلقة بفصائل حركة المقاومة ليس إلا . وان تجاوز هذا الجمود الذي وقفت عنده أجهزة منظمةالتحرير الفلسطينية،ودفعها الى مستويات متقدمة من أشكال التوحيد والتعاون بين مختلف الفصائل المشاركة فيها ، إنما يتطلب بشكل أساسي وأولي التغلب على الأمراض الذاتية لدى كل فصيل ، متمثلة في التغلب على ظاهرة العصبية التنظيمية التي حكمت ولا زالت تحكم معظم العلاقات القائمة بين فصائل حركة المقاومة،بما أفقد كل منها قدرة الحركة السليمة نحو مصلحتها الذاتية في إطار المصلحة الوطنية العليا . وان كثيراً من المشاريع الحيوية ستظل محكومة بذات الجمود الى أن تتمكن النظرة الموضوعية أن تتجاوز هذه القضية الذاتية،وأن تحدد كل منظمة علاقاتها مع مجمل حركة المقاومة الفلسطينية في اطار الحركة العامة للثورة الفلسطينية ولقضية التحرير .

علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية

الثورة الفلسطينية جزء أساسي من الثورة العربية . وعلاقة هذه الثورة بحركة التحرر الوطني العربية تحدد جدلياً على ضوء الترابط العضوي القائم بين النضال الوطني التحرري ضد الاستعمار من جهة ، وبين النضال الطبقي الوحدوي ضد واقع التجزئة والاستغلال والتخلف من جهة أخرى . إن مصير فلسطين يتقرر تاريخياً مع مصير الأوضاع المحيطة بفلسطين ، ويتحدد على ضوء النتائج والتطورات التي يفرزها الواقع العربي ، ذلك أن بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية علاقة ارتباط جدلية ويومية تتأكد من خلال المعطيات الموضوعية التالية :

أولاً : ان التناقض الرئيسي القائم في الوطن العربي اليوم هو التناقض بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية من جهة ، وبين قوى الاستعمار والامبريالية العالمية والصهيونية العالمية من جهة أخرى . فالصهيونية تمثل من خلال طبيعتها العنصرية وأطماعها التوسعية – تحدياً للأمة العربية بأسرها ، وليس للشعب العربي الفلسطيني فحسب . والنضال الوحدوي الاشتراكي في الاقطار العربية من أجل تصفية قواعد الثورة المضادة ، وبناء القاعدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية الصلبة للمجتمع يمثل دعامة أساسية للنضال التحرري المسلح الفلسطيني .

ثانياً : ان الطبيعة المزدوجة للحركة الصهيونية ، كحركة عنصرية رجعية لها طموحاتها الذاتية والتوسعية من جهة ، كما أن لها ارتباطاتها العميقة بالرأسمالية

العالمية والامبريالية العالمية من جهة اخرى، بسبب طبيعة تكويناتها الرأسمالية.. هذه الطبيعة المزدوجة للصهيونية العالمية تجعل منها أداة قمع أساسية بيد الدول الاستعمارية وبيد الاحتكارات الرأسمالية العالمية، ليست موجهة الى حركة التحرر الوطني الفلسطينية فحسب، بل الى حركة التحرر الوطني العربية أيضاً. كما تجعل من قاعدتها العدوانية اسرائيل بؤرة نشاط الاحتكارات الرأسمالية الصهيونية من جهة، ومركزاً لحماية المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للدول الامبريالية في الوطن العربي بأسره من جهة أخرى.

ثالثاً: ان الطبيعة اللاوطنية للبرجوازية الفلسطينية الاردنية، شأنها في ذلك شأن سائر البرجوازيات العربية، قد جعلت منها حليفاً مباشراً لقوى الاستعمار والامبريالية، وبالتالي للحركة الصهيونية. فقد مثلت هذه الطبقة، وما زالت تمثل، دور القوى المضادة للثورة التي مارست وتمارس كل انواع القهر والارهاب والاضطهاد من أجل عزل الجماهير عن قضيتها، واغراقها بالثقافة الشوفينية الرجعية، والحيلولة بينها وبين ممارسة أي شكل من أشكال التنظيم السياسي الطبقي. ولذلك فإن صراع حركة التحرر الوطني العربية مع هذه القوى المضادة للثورة يمثل نضالاً تاريخياً أساسياً من أجل تحرير الجماهير العربية وتهيئة ظروف موضوعية لخوض المعركة التحررية الشاملة من خلال الطاقات المادية والبشرية التي يوفرها لمثل هذه المعركة.

لذلك فإن من الطبيعي أن لاتعتبر الثورة الفلسطينية المسلحة ظاهرة منفصلة عن الثورة العربية، لأن النضال من أجل تحرير فلسطين يشكل المحور الاساسي لنضال حركة التحرر الفلسطينية والعربية في هذه المرحلة، ولأن طبيعة التناقض القائم في الوطن العربي، وطبيعة القوى التي تحالفت من أجل تكريس

الاغتصاب الصهيوني للقطر الفلسطيني وتغذية الاطماع التوسعية الصهيونية، جعلت مسألة تحرير فلسطين مهمة تتجاوز قدرات الشعب العربي الفلسطيني، وربطت النضال التحرري الفلسطيني نهائياً ومصيرياً بالنضال التحرري العربي، وبالنضال العالمي المعادي للاستعمار والامبريالية.

ان الشعب العربي الفلسطيني، وقد اختار الكفاح المسلح الشعبي اسلوباً لتحرير ترابه الوطني المغتصب، لم يكن يعمل على شق مسيرة كفاحية متناقضة مع مسيرة الثورة العربية أو منفصلة عنها، وانما اختار هذا الاسلوب باعتباره يمثل أعلى أشكال النضال التحرري وأكثرها ملائمة لظروف الواقع العربي. وبناء عليه فإن المقاومة الفلسطينية المسلحة لا يمكن أن تكون أكثر من مقدمة وطليعة للثورة الشعبية الشاملة. واذا اتيح لها أن تأخذ كل أبعادها النظرية والتطبيقية، فإن نتائجها لن تقتصر على تحرير فلسطين من الاحتلال فحسب، أو تحرير الوطن العربي من كل المرتكزات والقواعد العسكرية والسياسية والاحتكارية والاستعمارية والامبريالية فحسب، وانما ستحرر حركة التحرير الوطني العربية من كل تناقضاتها الذاتية ومن كل عوامل التفتت والقصور التي لحقت بها أيضاً. إن أهمية المقاومة الفلسطينية المسلحة تنبع من حقيقة أنها جسدت الآفاق الجديدة لحركة التحرر العربية التي تستطيع على أساسها أن تستقطب أوسع القطاعات الشعبية الكادحة، وتزج بها في معركة المصير بعد أن عجز الواقع العربي بحكم طبيعة تكويناته الراهنة عن مجابهة التحديات التي فرضتها عليه القوى المضادة. ان التحليل الموضوعي للأوضاع العربية عشية اندلاع المقاومة الفلسطينية المسلحة يؤكد أهمية هذا الحدث التاريخي بالنسبة لحركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية على حد سواء، حيث ان النضال الفلسطيني المسلح يمكن أن يتحول في التحليل الاخير الى شكل

من أشكال حرب التحرير الشعبية اذا ماتهيأت الظروف الموضوعية لنمو حركة المقاومة وتصاعدها عبر مجموعة من التطورات الذاتية التي تضع هذه المقاومة على أرض الجبهة الوطنية التقدمية القادرة على طرح برنامج تقدمي يستوعب أوسع القطاعات الجماهيرية وأكثرها مصلحة في الثورة . ان واقع التخلف السياسي والاقتصادي والايديولوجي في الوطن العربي قــد تمخض عن نتائج بالغة الخطورة على مستوى حركة التحرر الوطني العربيــة ، ولعل أبرز هذه النتائج :

أولاً : ضآلة الدور الذي اتيح للطبقة العاملة العربيــة أن تلعبه في قيادة الحركة الوطنية ، نظراً للتخلف في علاقات الانتاج في المجتمع العربي ، وعجز القوى المنتجة عن تمثيل نفسها في مؤسسات او تنظيمات طبقيــة مسلحة بنظرية علمية ثورية أو ببرامج سياسية معبرة عن مصالح الطبقات الكادحة وقادرة على تنظيم وتعبئة طاقاتها .

ثانياً : انفراد البرجوازية بقيادة الحركة الوطنية وتزوير طابعها السياسي والطبقي ، عبر مرحلة امتدت حتى عام ١٩٤٨ - عام النكبة - في بعض الاقطار ، بينما لازالت مستمرة حتى يومنا هذا في الاقطار الاخرى ، حيث لعبت هذه الطبقة بحكم تكوينها الرأسمالي الاقطاعي دوراً خطيراً لصالح الرأسمالية العالمية والدول الاستعمارية صاحبة النفوذ الاقتصادي الواسع في الوطن العربي ، فساهمت في ضرب الحركة الشعبية الوطنية وفي اضطهاد قياداتها ، كما شاركت كل المخططات الاستعمارية التآمرية ضد حركة التحرر الوطني العربية بدءاً من عملية تزييف الاستقلال بجريمة تسليم فلسطين للغزاة .

كل ذلك أدى الى تراجع دور الطبقات الكادحة صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة والتحرير عن ممارسة دورها التاريخي في قيادة الحركة الوطنية ، وتعرضها لشتى أصناف القهر والاضطهاد على يد القوى المضادة للثورة .

وحتى عندما حدثت التغييرات السياسية الجذرية في الأوضاع ، لم تتمكن الطبقات الكادحة العربية من تسلم قيادة الحركة الوطنية العربية ، ، حيث برز دور البرجوازية الصغيرة جنباً الى جنب مع تنامي الظاهرة العسكرية التي برزت كتعبير عملي وموضوعي عن حقيقة كون الجيوش في البلدان النامية أكبر قوى المجتمع حجماً وتنظيماً وفعالية .

ورغم أهمية التحولات التي أنجزتها حركة التحرر الوطني العربيه ، سواء على على المستوى السياسي أم على المستوى الاقتصادي ، فقد ظلت الحركة الوطنية غير قادرة بشكل عام على إجراء تحولات جذرية في علاقات الانتاج وبناء علاقات ديمقراطيه صحيحه بين السلطه والجماهير ، مما جعل دور الجماهير ودور الجيوش النظامية في معارك حزيران دوراً لا يتناسب وضخامة التحديات المضادة التي برزت من خلال العدوان الصهيوني الامبريالي .

فكانت النكسة التي وضعت حركة التحرر الوطني العربيه بأسرها موضع امتحان في ثوريتها وفي قدرتها على الصمود والمجابهة .

في ظل هذه الظروف المعقدة في الواقع العربي بشكل عام ، حيث تسود علاقات انتاجية متخلفة ، وحيث تحول ظروف التحول الاقتصادي والسياسي دون توفر المناخ الملائم لبناء الاطارات السياسيه المؤهلة لقيادة الحركة الوطنيه ، وحيث تخوض الحركة الوطنيه صراعاً عنيفاً على جبهتين متحالفتين ، تتمثل احداهمــا بقوة الاستعمار العالمي والرأسمالية العالميه والحركة الصهيونيه ، وتتمثل الأخرى بالقوى

المضادة للثورة . في ظل كل هذه الظروف المعقدة تغدو مسألة تصدي الجماهير العربيه الفلسطينيه لحمل السلاح ، مسألة على جانب كبير من الأهمية نظراً لما تطرحه من امكانية لتجاوز الواقع العربي وتحريك مبادرات الجماهير عبر جبهة وطنيه تقدميه عريضة تضم أكثر الفئات مصلحة في الثورة ، وأكثرها قدرة على مواصلة الثورة المسلحه ، ووضعها في اطارها الصحيح عربياً ودولياً .

علاقة الثورة الفلسطينية بحركة التحرر العالمي

ان التناقض الرئيسي القائم في العالم الآن هو التناقض بين الدول المنظومه الاشتراكيه وحركات التحرر الوطني في البلدان الناميه من جهة ، وبين الدول الاستعمارية والامبرياليه العالمية من جهة أخرى ومواقع الثورة الفلسطينيه من هذا الصراع تتحدد جدلياً على ضوء إرتباطها بحركة التحرر العربيه وعلى ضوء جملة الاعتبارات المبدئيه والموضوعيه التالية :

أولاً : ان الحركة الصهيونيه العالميه وقاعدتها العدوانيه اسرائيل ليست مجرد إمتداد للرأسمالية العالميه التي تقودها الولايات المتحدة الأميركيه ، ولكنها بالإضافة الى دورها العسكري العدواني في الوطن العربي تلعب دور الاحتياطي الرئيسي للاستعمار والامبريالية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، بوقوفها الى جانب النظم العنصرية والدكتاتوريات العسكرية من ناحية ، وبمناهضتها لحركات التحرر الوطني في هذه البلدان من ناحية أخرى وبالتالي فإن اسرائيل والحركة الصهيونيه العالمية تقفان في موضعهما الطبيعي الى جانب العدو المباشر للشعوب: الاستعمار العالمي بكل مايمثله من قواعد ومرتكزات واحتكارات .

ثانياً : ان الاستعمار العالمي يقف بشراسة ضد حركة التحرر الوطني العربيه وضد التطلعات الثورية المشروعة للجماهير العربيه ، بما في ذلك النضال الذي يخوضه شعب فلسطين العربي من أجل تحرير أرضه ووطنه . كان الاستعمار يقف بصلف وإصرار الى جانب اسرائيل ، ويدعم بكل الوسائل المادية والسياسيه والعسكرية المطامع التوسعيه الصهيونيه لأنه يرى في الوجود الرأسمالي العسكري الاسرائيلي ضمانة لحماية مصالحه الاستراتيجيه والاقتصادية من ناحيـــة ، ووسيلة لتسخير موارد الأمة العربية وامكانياتها في الأغراض الدفاعيه، بدلاً من تكريسها لأغراض التطوير والتنميه من جهة أخرى .

ثالثاً : ان حركات التحرر في البلدان الناميه — بما في ذلك حركة التحرر الوطني العربيه — قد أصبحت مركز الثقل الرئيسي في الصدام ضد مصالح الاستعمار واحتكارات الرأسمالية في العالم. ولم يعد بوسع أية حركة تحرر وطني أن تبقى على هامش الصراع بين القوتين الرئيستين في العالم ، إلا اذا اختارت أن تتناقض مع مبررات وجودها وتضع نفسها في خدمة الاستعمار العالمي والاحتكارات الرأسماليه. وبناء عليه فإن حركة التحرر الوطني الفلسطينيه والعربيه ترتبط إرتباطاً عضوياً ومصيرياً بالبلدان الاشتراكيه، وبكل حركات التحرر الوطني في العالم ضد العدو المشترك : الاستعمار والامبريالية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان ساحة الصدام ضد الوجود الصهيوني الاستعماري تتجاوز حـــدود الوطن العربي ، لتشمل كل قوى الحرية والاشتراكيه التي تناضل ضد الاستعمار والامبريالية في العالم ، لأن نشوء الحركة الصهيونية في الأصل لم يكن بعيداً عن المخططات التي رسمتها الاحتكارات الرأسمالية لاستغلال ثروات المنطقة وإبقائها ضمن مناطق النفوذ الاستعماري .

وان المواقف الراهنة لاسرائيل ، والارتباطات العميقة بين الرأسمالية الصهيونية والرأسمالية العالمية لتظهر زيف وبطلان التحليلات الخاطئة التي تعتبر الوجود الاستيطاني الصهيوني في الوطن العربي مجرد تجسيد للمزاعم التاريخيـة الصهيونيـة المستندة الى الروح الشوفينية الرجعية . فالأهـداف الصهيونية لايمكن فهمها إلا على ضوء الطبيعة المزدوجة التي تمثلها الحركة الصهيونية كحركة عنصرية لها طموحاتها الذاتيه ، وكأداة أساسية بيد الرأسمالية الصهيونيه التي تقود يهود العالم بالثقافة العنصرية الفاشيه وتغـذي يهود فلسطين بالنزعة العدوانيه العسكرية. فليس مصادفة أن تقف اسرائيل الى جانب النظم العنصرية في روديسيا وجنوب أفريقيا ، وليس مصادفـة أن تساعد حكومة فيتنام الجنوبيه وتؤيد الثورة المضادة في تشيكوسلوفاكيا ، لأن هذه المواقف تعبر عن حقيقة الحركة الصهيونيه ، وعن طبيعة إرتباطاتها بنظام الاحتكار والعدوان العالمي . وكما لا يمكن فهم الحركة الصهيونية بمعزل عن هذه الارتباطات العضوية بالامبرياليه العالمية ، فان حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية لايمكن تصورها بدون إرتباطاتها الكفاحية بحركة التحرر العالمي ، وبدون الجبهة العالمية المساندة التي تضم كل قوى الحرية والاشتراكية في العالم .

مستقبل المقاومة ومستقبل الصراع بين حركة التحرر الوطني والحركة الصهيونية :

ان التحليل الموضوعي لأوضاع حركة المقاومة في المرحلة الراهنة يقودنا الى الاستنتاج المنطقي بأن المقاومة الفلسطينية تقف على أبواب مرحلة تاريخية حاسمة سواء على صعيد تطورها الايديولوجي والسياسي والتنظيمي ، أم على صعيد

علاقات فصائلها ببعضها البعض، وعلاقة هذه الفصائل بحركة التحرر الوطني العربية وحركة التحرر العالمي .

فالذي يحدث الآن داخل حركة المقاومة لايمكن ان يعتبر تحولاً طبيعياً نحو الثورة الشعبية ، بقدر ماهو تضخم ظاهري على حساب الجوهر والمضمون. وهذا التضخم الوهمي يظل عرضة للانحسار والتلاشي تحت ضربات القوى المضادة للثورة ، طالما بقي المنطلق الأساسي في تكتيل الجماهير وراء النضال المسلح معتمداً على التعبئة العاطفية والعفوية البعيدة عن الالتزام الفكري الثوري ، والمستندة الى العمليات العسكرية وحدها .

ان التنظيمات العسكرية ، وكل ما يرتبط بها من أجهزة ومؤسسات جماهيرية ، لايمكن أن تصلح وحدها كأساس ثابت لحماية المقاومة الفلسطينية وتصعيدها الى مستوى الثورة المسلحة ، حيث أن القوى المضادة للثورة تستخدم أساليب مختلفة لقمع المقاومة الفلسطينية ، قد يكون العنف المسلح أقلها فاعلية ، نظراً لما يثيره من ردود فعل جماهيرية لا تستطيع تقدير مداها او نتائجها . وان لجوء القوى المضادة لهذا الاسلوب لايمكن أن يكون في التحليل الأخير اكثر من سلاح للإرهاب الفكري ، ووسيلة لاختبار مدى تلاحم الجماهير مع الحركة المسلحة بين الفترة والفترة .

مستقبل المقاومة الفلسطينية مرهون أذن بحدوث مجموعة من التطورات الذاتية في بنية حركة المقاومة تنقلها الى آفاق جديدة على صعيد النظرية والممارسة الثورية ، ولكن في ظل هذه التناقضات الفكرية والسياسية داخل حركة المقاومة ، ومن خلال إنعكاس تناقضات الواقع العربي على حركة المقاومة ، تبقى هذه التطورات غير محتملة الحدوث إلا بتحقيق الشروط التالية :

أولاً – التزام حركة المقاومة بنظرية ثورية تعبر عن الايديولوجية التقدمية لفصائل حركة المقاومة، وتترجم الحاجة الملحة لطرح برنامج عمل وطني لحرب التحرير الشعبية يؤكد الارتباط الجدلي والمصيري بين حركة التحرر الفلسطينية والعربية، ويؤكد على ربط حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية بحركة التحرر الوطني العالمية وبقوى الثورة الاشتراكية العالمية .

ثانياً – بناء جبهة وطنية فلسطينية عريضة تضم كل القوى الوطنية التقدمية وتقوم على رفض الحلول الاستسلامية والتصفوية ، ورفض الحلول الشوفينية والرجعية للقضية الفلسطينية ، وعلى توحيد الكفاح المسلح والعمليات العسكرية، وعلى التنسيق مع القوى التقدمية لما فيه مصلحة المقاومة الفلسطينية ، وقضية تحرير فلسطين ، وعلى نشر المليشيا الشعبية في الأقطار المحيطة بفلسطين .

إن قيام مثل هذه الجبهة الوطنية في الساحة الفلسطينية ، تحت قيادة طليعية ملتزمة ، قد أصبح ضرورة ملحة من أجل تكتيل قوى الشعب وتدريبها على حمل السلاح ، وربطها فكرياً وتنظيمياً بالمقاومة المسلحة ، كما أنه ضروري من أجل تحقيق الترابط العضوي بين الحركة الوطنية الفلسطينية الاردنية، والمقاومة الشعبية داخل الأرض المحتلة . يضاف الى كل ذلك أن مبادرة الحركة الوطنية الأردنية الفلسطينية لبناء جبهة وطنية تقدمية تقوم على العلاقات المتكافئة بين أطرافها سوف يفسح المجال لقيام علاقات نضالية جديدة مع قوى حركة التحرر الوطني العربية ، ويوفر المناخ الملائم لتشكيل جبهة عربية مساندة لحركة المقاومة تضم كل التنظيمات الوطنية والتقدمية العربية القائمة ، الأمر الذي يعتبر أساسياً وحيوياً من أجل تحقيق المشاركة الجماهيرية العربية الفعلية في النضال من أجل تحرير فلسطين ، وتطوير المقاومة الفلسطينية الى مستوى الحرب التحريرية الشاملة .

ان مستقبل الصراع الصهيوني الامبريالي مقابل الصراع الفلسطيني العربي يخضع لجملة من العوامل والمؤثرات التي تحدد علاقة القضية الفلسطينية بمجموع الأوضاع المحلية والعربية والدولية التي تتعامل مع الواقع الفلسطيني يوميا وجدلياً . ولعل من أبرز العوامل المؤثرة في مجرى هذا الصراع :

أولاً : الثورة المسلحة ذاتها بما تحمله من امكانيه بناء الاطارات السياسية والطبقة المقاتلة، ليس على الصعيد الفلسطيني فحسب، بل وعلى الصعيد العربي ايضاً. هذه الاطارات المؤهلة لطرح استراتيجية بعيدة المدى للحرب الشعبية ، والقادرة على تنظيم الجماهير العربية وتعبئة قواها على أسس فكرية تحقق الربط العضوي بين النضال العسكري والنضال السياسي والاجتماعي من جهة، وتحقق التفاعل الكامل بين دور الحركة الوطنية الفلسطينية في النضال ضد الصهيونية ، ودور القوى العسكرية النظامية وقوى الجماهير السياسية والطبقة العربية من جهة أخرى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن الثورة المسلحة هي الوسيلة الاساسية بيد حركات التحرر الوطني لتحطيم اسطورة التفوق العسكري والحضاري والتكنولوجي في المعسكر الاستعماري الامبريالي، وهي الوسيلة الأساسيه لتحطيم أسطورة التفوق الاسرائيلي، وتفجير التناقضات داخل المجتمع الصهيوني. وأثر المقاومة الفلسطينية يتمثل في أنها أوجدت بؤرة ثورية للنضال المسلح ضد الوجود الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، وضد مصالح الاحتكارات الرأسمالية العالمية في الوطن العربي . وهذا الاثر سوف يعطي نتائجه الواضحة على الكيان الصهيوني مع تصاعد المقاومة المسلحة ، واتساع ساحتها .

ثانياً : التناقض المزدوج داخل المجتمع الصهيوني والذي يتمثل في شقه الأول

تناقضات الكيـــان الصهيوني الخاصة ، ويمثل في شقه الثاني تناقضات المجتمعات الرأسمالية بشكل عام .

ان الحركة الصهيونية ،التي استطاعت من خلال التعبئة العسكرية العدوانية والتثقيف الشوفيني الرجعي أن تخلف جيلا صهيونيا فاشيا في فلسطين،لم تستطيع السيطرة على بذور وعوامل التفسخ الكامنة في المجتمع الاسرائيلي والتي بقيت كامنة بفعل السيطرة العسكرية الصهيونية على الاوضاع العربيـة المحيطة بفلسطين ،لأن الثورة الفلسطينية المسلحة تفتح الباب واسعا لتفجير هذه التناقضات .ذلك ان التمييز العنصري والديني،وتصاعد النفقات الحربية ، وزيادة نسبة البطالة..كل ذلك آخذ بالاتساع لينضم الى الزيادة الهائلة في نفقات الامن وانخفاض نسبة الهجرة ، وتردي الروح المعنوية لدى المحتلين . وكل ذلك يتم بنسبة وسرعة تفوق معدلات التفسخ الحاصلة في مثيلات المجتمع الصهيوني من المجتمعات الرأسمالية الاخرى، وبشكل سوف يؤدي استمراره الى عجز الامبرياليين الصهاينة عن تغطية احتياجات الدفاع والعدوان الى مدى زمني طويل .

ثالثاً ـ اتساع اطار الجبهة العالمية المناهضة للصهيونية والمساندة لحقوق شعب فلسطين من خلال الفهم المتزايد لطبيعة الحركة الصهيونية ودورها بالنضال الامبريالي العالمي من جهة ، ومن خلال تبلور العلاقة الجدلية بين النضال التحرري العربي والنضال التحرري العالمي من جهة اخرى .

إن وقوف كل قوى الحرية والاشتراكية في العالم الى جانب حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية،ونضال هذه الدول ضد الاستعمار والامبريالية ، إنما يخلق زخما حقيقيا لنضال الجماهير العربية من اجل تصفية الوجود الاستعماري الصهيوني . فضربات الثورة الفيتنامية للامبريالية الامريكية،وضربات حركات

التحرر الوطني في آسيا وامريكا اللاتينية للحليف الرئيسي لاسرائيل : الصهيونية العالمية، تشكل دعما أساسيا للثورة الفلسطينية التي تقاتل على جبهات شتى . إن أي تصور لمستقبل الصراع بين حركة التحرر الوطني العربية والحركة الصهيونية، وبالتالي أي حل للقضية الفلسطينية يجب أن يأتي مستوعباً لكل أبعاد المسألة وجذورها التاريخية، بحيث يشتمل على دراسة الخصائص والمكونات الذاتية للحركة الصهيونية كايديولوجية وتنظيم وممارسة ودراسة وضع التجمعات البشرية والرأسمالية (الاقتصادية) الصهيونية في العالم، كما انه يتطلب بالمقابل فهما متزايدا لطبيعة الظروف والتعقيدات التي تحيط بالواقع العربي، والماما علميا واسعيا لطبيعة الصراع الدائر في العالم بين قوى التحرر والاشتراكية من جهة، والقوى الاستعمارية والامبريالية من جهة اخرى ، نظراً لما يصحب هذا النزاع من نتائج وانعكاسات على مستقبل الصراع في المنطقة ، ونظرا لطبيعة الصلة القائمة بين الرأسمالية الصهيونية والرأسمالية العالمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعليه فإن أي حل للقضية الفلسطينية يجب أن يكون حلا ديمقراطيا وتقدميا تنتفي معه كل رواسب التفكير الشوفيني – الرجعي ، ويؤمن حشد جبهة عالية عريضة من قوى التحرر والاشتراكية في العالم للنضال الى جانب حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية من أجل استعادة كامل حقوق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه .

وعلى ضوء ذلك ، فإن منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية تطرح الحل الديمقراطي للقضية الفلسطينية القائم على النضال من أجل تحقيق الدولة الديمقراطية الشعبية في فلسطين مع مراعاة الملاحظات والايضاحات الاساسية التالية :

أولاً : إن مسألة اقامة الدولة الديمقراطية الشعبية في فلسطين تفترض

بالضرورة ازالة وتقويض كل مركبات ومكونات الكيان الاستعماري الصهيوني في فلسطين : كالجيش والادارة والبوليس وسائر المؤسسات السياسية والاقتصادية والنقابية الصهيونية . وانشاء دولة ديمقراطية شعبية تنتفي فيها كل ألوان القهر القومي والطبقي ، وتزول فيها كل اشكال التفرقة الدينية والعنصرية بين جميع مواطنيها، دولة تسخر كل امكانياتها للنضال ضد الرأسمالية الصهيونية والعالمية وتقف الى جانب قوى التحرر والتقدم في العالم .

ثانياً : إن نشوء هذه الدولة الديمقراطية الشعبية لا يمكن ان يتم خارج اطار الوحدة العربية ، لانه لا يمكن تصور امكانية وصول حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية الى تصفية الكيان الصهيوني في فلسطين دون بلوغها المستوى القادر على تحقيق الوحدة العربية ذات المضمون الديمقراطي الاشتراكي المعادي للاستعمار والامبريالية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثالثاً : ان وصول حركة التحرر الوطني الى الدولة الفلسطينية الديمقراطية الشعبية لا يمكن أن يتحقق الا من خلال الكفاح وحرب التحرر الشعبية الشاملة ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية لأن تصفية مبتكرات الكيان الصهيوني في فلسطين لا يمكن أن يتم الا بهذا الاسلوب .

إن مثل هذا الحل الديمقراطي للمسألة الفلسطينية هو وحده القادر على إعادة صياغة المجتمع الفلسطيني صياغة جديدة ضمن اطار المجتمع العربي المتحرر ، واجتثاث جذور البنية العسكرية والاقتصادية والثقافية والاخلاقية العدوانية التي ولدتها سنوات الاحتلال الصهيوني الاستيطاني لفلسطين .

القضية الفلسطينية محور للثورة العربية

بحث : فاروق القدومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة :

فلسطين جزء من الوطن العربي وتمثل القلب في هذا الوطن . وقد نشأت هذه القضية بعد الحرب العالمية الثانية على يد الدول الاستعمارية المتحالفة بهدف اقتطاع جزء من الارض العربية ليعيش عليها شعب غريب عن شعوب المنطقة ، ويكون قريباً من المراكز والمواقع الاستراتيجية للأمة العربية ، وفي موقع يتمكن منه الاستعمار من فصل المشرق العربي عن مغربه . وقد التقت هذه المتطلبات الاستعمارية مع الأطماع الصهيونية ، ووجدت الدول الاستعمارية في الحركة الصهيونية سبيلا لخدمة الأطماع الامبريالية ، فاقتطعت هذه الأرض العربية وسميت فلسطين ووضعت تحت الانتداب البريطاني الذي بدأ يهيء البلاد اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً لوجود وطن يهودي فيها . وبحكم سيطرة الاستعمار والانتداب البريطاني والفرنسي على الأجزاء المجاورة – لبنان والاردن والعراق ومصر – استطاع عزل عرب فلسطين سياسياً واجتماعياً عن اخوتهم العرب ، كما عمد الى تجزئة القضية

العربية والقيادات الموحدة من خلال اقامة علاقات مع القيادات السياسية في كل بلد على حده . فكانت الانتفاضات الشعبية تقودها قيادات محلية بمعزل عن الترابط القومي مع الاقطار الأخرى . وهذا ماجعل حركة النضال القومي ممزقة تأخذ صوراً قطرية ، بالرغم من وجود الترابط العاطفي بين هذه الأقطار . لقد كان للسياسة الاستعمارية البريطانية والفرنسية بالنسبة لبرامج التعليم والتربية أثرها في تمزيق الوحدة الثقافية والتعليمية في هذه الأقطار بما فيها فلسطين . كاأن سياسة الاستعمار في التعامل الاقتصادي مع هذه الأقطار، وربطها مع مستعمراتها الأخرى في آسيا وافريقيا ، كانت تهدف الى خلق حياة اقتصادية مستقلة لكل قطر عربي، حتى تضعف الروابط المادية والتكامل الاقتصادي بين هذه الأقطار العربية المتجاورة ، هادفاً من ذلك خلق وحدة اقليمية وسياسية واقتصادية في فلسطين بمعزل عن الوطن الأم ، حتى يتسنى للحركة الصهيونية في المستقبل فصل البلاد فصلاً تاماً في مختلف المستويات المعيشية عن جاراتها وربطها مع بلدان أخرى بالاضافة الى الدول الاستعمارية . وهذا من شأنه أن يشكل دولة مكتملة في أوجه النشاط الانساني .

من هذه النبذة التاريخية لعملية اقتطاع الارض الفلسطينية نلاحظ التطورات اللاحقة التي مرت بها فلسطين واختتمت بعملية الطرد البشري والابادة لشعبها الأصلي على مراحل منذ نكبة ١٩٤٨ الى أثر التقسيم وغزوة حزيران عام ١٩٦٧ التي استولى من خلالها العدو الصهيوني على جميع الارض الفلسطينية وتم تنفيذ المؤامرة بشكل كامل . وأكثر من ذلك فقد تمادى في توسعه حتى شمل الأرض العربية ، فاحتل سيناء والجولان.

ان الالتقاء الاستعماري الصهيوني هو الذي اقتطع الارض الفلسطينية من الوطن الأم ، وخلق مشكلة في منطقة الشرق الأوسط عاشت فترة حربين عالميتين وما زالت قائمة .

الشعب الفلسطيني شعب عربي بحكم لغته وتاريخه والارض التي يعيش عليها ، فلغته هي اللغة العربية ، والأمة العربية تناضل لاسترداد هذا الجزء من أرضها الى الوطن الأم ، ولكن وجود كيانات سياسية متعددة النظم الاجتماعية والمواقف السياسية والتحالفات أو الاتفاقات الدولية ، وضعف البنية النضالية لهذه الأوضاع العربية ، يجعل من الصعب في فترة قصيرة من الزمن أن تتجه الجهود العربية بشكل موحد الى تحرير فلسطين .

ان آثار التخلف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتفاوت في الدخل الوطني وفي المستويات المعيشية بين هذه الاقطار المجاورة ، ونشوء طبقات مستغلة ومرتبطة

بالاستعمار والامبريالية العالمية ، يجعل من الصعب على هذه الاقطار أن تلتقي لقاء ثورياً في إطار قيادة سياسية واحدة .

علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية :

ان الثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية الكبرى تتمثل فيـــا اهداف الجماهير العربية وحيويتها وفاعليتها بسبب نشاطاتها اليومية في قلب الواقع العربي وتخليصه من الانحرافات الاجتماعية والفكرية . وهي لذلك نموذج وصورة حية للنضال القومي بمضمونه التحرري .

ان العلاقة بين الجزء والكل هي علاقة (جدلية) وعضوية بحكم وجود وتوفر جميع العوامل الموضوعية المشتركة في المجتمع العربي بكل أجزائه .

ان الثورة العربية لم تتخذ بعد سمات محددة ولا مضموناً اجتماعياً مفصلاً، ولم تتحقق بعد في شكل ثورة شاملة متخطية الكيانات السياسية والنظم الاجتماعية والتفاوت الزمني في مراحل التطور . وقد فرضت الضرورة قيام ثورات قطرية تولت مهمة التحرر السياسي عندما توفرت لديها الشروط الموضوعية المطلوبة . ولكن الثورة الفلسطينية تختلف في ظروفها عن الثورات العربية الأخرى ، ولا يمكن أن تفصل تحررها السياسي عن التحرر الاجتماعي والاقتصادي ، وهذا ما يجعلها نواة لثورة عربية شاملة . فاذا وافقنا على صحة هذا الافتراض ، فلا بد أن تتجاوز جميع العقبات والصعاب التي تقف عائقاً دون امتداد الثورة الفلسطينية أفقاً وعمقاً . ولا بد لنا أن نزيل ، من خـــلال الممارسات المسلحة ، عوامل التفاوت في التطور بين الاقطار العربية بتحطيم الأطر السياسية لهذه الأقطار كخطوة أولى تتيح عملية التفاعل القومي بينها ، ولنضع هذه المجتمعات في نفس المستوى من الممارسة النضالية والمناخ الثوري لتواجه بكل امكاناتها العدو الصهيوني . وهذا يفرض اللجوء الى المرحلية في صهر جميع القوى الوطنية ابتداء من الدول المجاورة لفلسطين بحكم قابليتها لذلك، وانتهاء بالأقطار البعيدة عن التماس الثوري الحي المارس للنشاطات المسلحة .

ان أي إصلاح اجتماعي أو دفع للتطور الاقتصادي في أي قطر من الأقطار المجاورة ، بمعزل عن الأقطار الأخرى ، هو بمثابة ترسيخ للاتجاه الاقليمي والتيارات السياسية التي تعيق عملية القيام بثورة عربية شاملة . لأن مثل هذا التطور يجعل القيادات السياسية تركز جهدها ونشاطها على القضايا المحلية متجاهلة ترابطها الديالكتيكي مع

الأقطار الاخرى ، وبديلا لذلك يجب أن تقوم بتعبئة اقطارها بما لديها من امكانيات وتسخرها لمصلحة الثورة العربية الشاملة التي تجسد نموذجها الحي في الثورة الفلسطينية .

ان من الميزات الأصلية للثورة الفلسطينية ، بفضل شروطها الموضوعية ، هي ميزة استحالة تبلورها في شكل ثورة اقليميـــة ، بسبب تداخلها السياسي والاجتماعي والاقتصادي مع الاقطار العربية ، وبفضل ماتحدثه من تغييرات نفسية وفكرية في الذهن العربي . ان فقدان الثورة الفلسطينية لاطارها الاقليمي ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية المكتملة يخلق فيها عنصر المرونة والتكيف مع النظم الاجتماعية العربية بتعددها ، وهذا ما يجعلها بالضرورة خميرة التفاعل القادرة على انضاج الأوضاع العربية لتصل الى نفس الدرجة من الحرارة والمناخ الثوري . وخلق هذه الحالة المتساوية من النضج يجعل في الامكان صهر جميع التكلسات العقائدية والتحجرات الفكرية والانحصارات الاقليمية والانتماءات الحزبية المتعددة والارتباطات المادية المتناقضة مع الواقع الدولي في بوتقة واحدة ، توحد بالنتيجة كل أوجه النشاط الانساني في الاقطار العربية وتنفي جميع سلبياتها من خـــلال استمرار الممارسات الثورية كأبرز ظاهرة تاريخية فاعلة في عملية التطور والتحرر .

ان الثورة الفلسطينية بكل معطياتها تعتبر نقطة الالتحام العربي مع العدو الصهيوني ، وهي بذلك قد بدأت عملية التفاعل في المجتمع العربي بفضل ماتحدثه من تغييرات في هذا المجتمع بكل مؤسساته . وأبرز شيء على هذا التغيير هو حـــالة القلق والتوتر الجماهيري التي سادت المنطقة العربية فأحدثت أثراً مباشراً على اتجاهاتها السياسية وروابطها القطرية وعلاقاتها الدولية . كما ان الثورة الفلسطينية قد ساهمت الى حد كبـــير في رد الذهن العربي من متاهاته الغيبية والذاتية الى محاولاته للالتصاق بالواقع الموضوعي بتفاصيله وامكاناته وقدراته المادية والمعنوية .

كانت القضية العربية ومازالت تطرح على الرأي العام بدءاً من القضية الفلسطينية . وكانت المصالح القطرية في كثير من الاحيان تعتمد على هذه القضية كعنصر ايجابي مساعد في علاقتها مع بعضها البعض او مع الواقع الدولي . ومن هذا نستنتج ان قضية فلسطين كانت ومازالت عامل لقاء وتجمع للاقطار العربية ، بالرغم من فقدان وحدة العمل والتخطيط والقيادة من اجل تحررها ، وتعدد الأطراف في المسؤولية عن القضية الفلسطينية مع التفاوت في هذه المسؤوليات ، قد جعلها تفقد مقومات الجدية في طرحها وتنحدر الى مستوى المساومة عند بحث المصالح والعلاقات القطرية مع الواقع الدولي . ولما انطلقت

الثورة الفلسطينية وتسلم الشعب الفلسطيني تقرير مصيره بنفسه وبدأت تتعاظم هـذه الثورة، بدأت علاقتها بالاقطار العربية تتضح وتتجسد بشكل ملموس ذي أثر فعال في تغيير الواقع العربي . وكادت تلتغي قدرة هذه الاقطار على خدمة مصالحها الاقليمية من خلال المساومة على هذه القضية التي لم تكن تملك وجوداً بشرياً ذا ثقل سياسي وثوري على مختلف المستويات القيادية والشعبية . وفي الماضي كانت السلطات العربيـة والحركات العقائدية تغترف من معين هذه القضية ماشاء لها وتتخذها مادة لخدمة مصالحها في الواقع والمجتمع الذي تعيش وتتحرك فيه . وبانطلاق الثورة الفلسطينية استحالت امكانية هذه القضيه لخدمة الاغراض الاقليمية والقيادية المتعددة ، وأصبحت الثورة الفلسطينيةبقيادة طلائعها هي المسؤولة عن هذه القضية بالدرجة الاولى ، وبدأت تتحدد علاقتها بالاقطار العربية تحديداً واضحاً ثوريا . كما ان الاحساس الجماهيري والاهتمامات الشعبية في جميع الاقطار، والتي كانت كامنة مضغوطة ، بدأت تنطلق وتتفاعل بشكل ايجابي متصاعد مع الثورة الفلسطينية ، وهذا ماجعل الوعي الجماهيري ينمو ويتصاعد ، فارتقت النضالات الجماهيرية من مستوى الشعارات الى مستوى تقديم العون المادي والمشاركة الفعليةبشكل مباشر أو غير مباشر في تحرير فلسطين . واخذت تحاول هذه الجماهير استلام زمام المبادرة من يد السلطات التقليدية ، وتبلورت امكاناتها في شكل ضغوط سياسية موجهة للعديدمن السلطات العربية القائمة ، وزاد الوعي الشعبي الى حد قلبت فيه القيادات السياسية كما تم في السودان وليبيا .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه العلاقة الجدلية للثورة الفلسطينية بالأمة العربية تشير الى ان الثورة العربيـة بأهدافها ومحتواها الاجتماعي ستتبلور بسرعة فائقة بحكم صفة الشمول للتجربة الفلسطينية ومشاركة الجماهير العربية من قريب او بعيد في صنعها . وسوف تمتد هذه التجربةلتذيب كل العوائق والحواجز السياسية والتفاوت في المستوى الاجتماعي،وتزيد من حدةالتفاعل حتى تخلق وجود ثورة عربية شاملة ذات سمات اجتماعية ونضالية محددة .

ان الثورة الفلسطينية،وان اتخذت إسما قطرياً،هي في الحقيقة بؤرة التمرد العربي ضد الواقع الفاسد بكل مؤسساته السياسية والاقتصادية والفكرية،وبداية التحول الجذري في المنطقة العربية،والقضاء على الانحراف التاريخي في التطور الذي تجسد بوجوداسرائيل كمنحنى خاطىء في مسيرة التقدم العربي . ان الفكر العربي المعاصر يرى في القضيـة الفلسطينية قضية حق عربي لابد من استرداده ، ولكنه لم يحاول قبــل انطلاق الثورة الفلسطينية بشكل جدي ان يثبت من خلال الواقع الذي يعيشه انه يستحق في نظر هذا العالم الاستيلاء على هذه الارض ، وان يقيم عليها مؤسسات سياسية واقتصادية وثقافية

وعسكرية واجتماعية حديثة تعتبر في نظر الغرب وبعض المجتمعات التقدمية مؤسسات حضارية . وبالمقابل بقيت المؤسسات العربية تعيش مراحل التطور البطيء بعيدة عن أية تحولات ثورية في المضمون او الشكل، بالرغم من وجود اصلاحات جزئية تعطي ملامح تقدمية . وكان ومازال الفكر العربي المعاصر يعالج القضية الفلسطينية من خلال نظرية الحق فقط ، فيعطي في دعايته واستقطابه للرأي العام العالمي صوراً متعددة تثبت هذا الحق ويستشهد بمأساة اللاجئين العرب وتشردهم ومعاناتهم نتيجة اغتصاب ارضهم من العدو الصهيوني . وكان رد الفعل لدى الرأي العام العالمي معالجة هذه القضية من خلال تقديم المعونة للاجئين لتحسين معاشهم والابقاء على وجودهم البشري بغض النظر عن حقهم في ارضهم المغتصبة . وبالمقارنة يلمس الرأي العام العالمي استحقاق العدو المغتصب وجدارته في العيش على الارض التي اغتصبها متجاهلا الحق العربي المطلق فيها . ولم تحاول الحركات الثورية العربية او السلطات المسؤولة ان تبرز الاستحقاق العربي بصورة قادرة مقنعة حتى تستقطب الرأي العام العالمي ، بل على العكس من ذلك حاولت بعض السلطات بوعي او بغير وعي منها وبصورة مباشرة او غير مباشرة اخفاء صورة الحق العربي باذابة الشعب الفلسطيني في المجتمعات العربية او بامتصاص طاقاته الانتاجية في هذه المجتمعات . وكانت كل دعوة او حركة تحاول ابراز صورة الاستحقاق العربي والقدرة الفلسطينية والوجود الشعبي للقضية العربية ، كانت تطعن وتحارب باتهامها بالاقليمية او الانحرافية او الانفصالية . إلى أن انطلقت الثورة الفلسطينية متجاوزة بوعي جميع الاوضاع العربية والتناقضات التي تعيشها متخطية كل الحواجز السياسية والعقائدية متحدية الوجود الصهيوني ومثبتة الحق العربي كوجود وفاعلية، محاولة بجدية ومسؤولية استقطاب الرأي العام العالمي من خلال جدارتها الانسانية .

كانت هذه الانطلاقة ظاهرة تاريخية هامة في الحياة العربية المعاصرة بدأت تقلب القيم والمقاييس وتطرح القضية العربية طرحاً تجريبياً من خلال النضال المسلح لشعبها الشريد . لقد مزقت الثورة الفلسطينية حالة الجمود العربي وكشفت عن ضعف بنيته وتركيبه المادي والفكري وأصبحت ظاهرة ثورية رائدة تحاول من خلال وجودها وممارستها المسلحة نقل الواقع العربي بأمره من مرحلة الحقيقة والقوة بسبب ماخلقته من مناخ ثوري بدأ يذيب التناقضات التي يعيشها المجتمع العربي ، وبــدأت مضامينها الفكرية تتحول تحولا واعياً نحو استراتيجية المواجهة بكل الامكانيات وليس الاكتفاء بالدفاع والحماية كاستراتيجية متخاذلة خاسرة في النهاية ، كما أن الثورة الفلسطينية الــتي

أسقطت من حسابها السلطة كمقياس لفاعليتها ، واعتمدت على الجماهير وتصعيد حركتها كعامل تاريخي أصيل في أحداث التغيير الثوري المطلوب في المنطقة العربية ، قد أشارت بشكل واضح الى ان التجربة العربية في السابق أهملت الجماهير وسلبتها دورها الاساسي في معركة التحول والتغيير ، ولكن الاحداث والوقائع المعاصرة جعلت الجماهير العربية تتوجه الى الثورة الفلسطينية وتتخطى الآثار الاقليمية والقطرية التي تحول دون تماسها المباشر مع الثورة الفلسطينية ، والتحرك والوقوف على نفس المستوى من المواجهة والتحدي للعدو الصهيوني ولعوامل القهر والضغوط المادية والسياسية . هذه العلاقة الحية المتطورة للثورة الفلسطينية بالجماهير العربية هي علاقة عضوية بالرغم من كل الحواجز والفواصل ، فاذا ما تصاعدت حركة الجماهير وتطورت فانها بالنتيجة سوف تصهر جميع القوى التقدمية بالرغم من تعددها ، وتتخطى جميع العوائق والحواجز وتسقط السلطات السياسية ، اذا لم تستجب لدعوة الجماهير المشاركة والممارسة والمواجهة .

آثار الثورة الفلسطينية على الثورة العربية :

ان الثورة الفلسطينية التي بدأت تتبلور بعد هزيمة حزيران وتتخذ سمات مستقلة ومحددة من الناحية السياسية والقيادية قد أسهمت في بلورة الرأي العام العربي بشكل يخالف ما كان عليه في المرحلة السابقة ، حيث سقطت في هذه المرحلة مفاهيم وآراء سائدة واتجاهات كانت تسير في خط مثالي غيبي . ودللت هزيمة حزيران على صحة النهج الثوري الذي اختطته الثورة الفلسطينية بقيادة (فتح) ، وهذا ما جعل الفكر العربي المعاصر يحاول من خلال فشله وهزيمته وضياعه وضحالته ان يرتد الى واقعه ويدرس الظواهر الجديدة التي برزت بشكل واضح من خلال هزيمة حزيران وانطلاق الثورة الفلسطينية والعلاقات العربية المتردية ، وهذه بادرة ثورية تدل على اتجاه سليم في تطور الفكر بمختلف تياراته المعاصرة .

وتقع الثورة الفلسطينية موقع المحور في عملية التفاعل هذه ، فهي بما تخلقه من ارتدادات وانعكاسات فكرية ونفسية وعملية على الواقع العربي تحدث فيه تصعيداً في عملية التناقض لتصل الى حد الصراع والنفي التام للأشكال السياسية والعقائدية والاجتماعية القائمة ، فتولد من خلال ذلك صورة جديدة من صور الحياة العربية في المستقبل .

قلنا ان العلاقة بين الثورة الفلسطينية والعربية هي علاقة جدلية تتأثر كل منهما بالاخرى وتتفاعل بشكل يضمن في النهاية تحول الثورة العربية محتوى ومضموناً وأسلوباً وحركة وقيادة . وتلتقي من خلال هذه العلاقة الجدلية امكانيات التبلور الاقليمي للثورة

الفلسطينية وتصبح هذه الثورة بعناصرها وقيادتها ورقعة نضالها ثورة عربية بمحتواها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري خالية من التفاوت أو التناقض مع غيرها من الثورات في الاقطار العربية الاخرى

ان العلاقة بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية علاقة تتحدد من خلال نفي السلبيات القائمة، ولتثبيت العوامل الايجابية المشتركة بين مختلف الاقطار العربية . فالتجزئة مثلا عامل سلبي لا بد ان ينفى ، والتفاوت الاجتماعي بين مختلف الاقطار عامل سلبي اخر وتناقض بينها يحتاج الى حل ، وتعدد القيادات في المستويات السياسية والعسكرية وتفاوتها في الوعي والمضمون هو ايضا تناقض يحتاج الى حل .

ان خلق اطار موحد يجمع هذه التناقضات التي تعبر عنها التفاوتات الاجتماعية والسياسية والفكرية في الاقطار العربية هو خطوة اولى في محاولة معالجة هذه التناقضات العربية التي كانت في كثير من الاحيان تأخذ شكل التناقض العدائي في العلاقات القطرية، مما يجعل نتيجة هذا التفاعل عملية هدم وتدمير وليس بناء وتوحيد . ان هذه التناقضات في العلاقات العربية هي من نوع التناقضات الثانوية التي تحتاج الى دراسة واعية بشكل مفصل لكل منها ، ودراستها كمجموعة معقدة من التناقضات بصورة عامة ، حتى تتمكن في النهاية من حلها .

فمثلا التفاوت الاجتماعي بين قطر وآخر هو من نوع التناقضات الثانوية التي لا يجوز ان تتطور لتأخذ شكل التناقضات العدائية كما كان الحال بين بعض الاقطار العربية بغض النظر عن القيادات التي كانت تقود الصراع العدائي . كما لا يجوز ان تصبح الحركات العقائدية في علاقاتها مع بعضها البعض حركات متصارعة وعدوة كل منها للاخرى ، ولا بد ان يقوم الحوار العقائدي فيما بينها بشكل سلمي بعيدا عن العنف والصراع متخذا النقد البناء في العلاقات بينها .

الخط الاستراتيجي والسياسي للثورة الفلسطينية :

لقد اصبحت الثورة الفلسطينية قوة رئيسية مؤثرة في احداث المنطقة العربية وتطوراتها وسياستها وقواها العسكرية حين كشفت عن عمق وطبيعة التحديات الحضارية والمصيرية التي تواجه الوجود العربي وامنه القومي . وقد اتخذت منذ البداية الارض العربية المجاورة قواعد ارتكاز لها تمارس عليها حقها في التحرك والانطلاق بحرية باعتبار ان الامن القومي والمصير العربي يستمدان مفهومهما وحقيقتهما من تحرير فلسطين كضرورة قومية . اما ماعدا ذلك من مشاكل وقضايا قوميه فلا بد ان تخضع لمقتضيات الثورة الفلسطينية وضرورة تصعيدها الى حرب شعبية شاملة على الارض العربية . لقد اعتمدت الثورة الفلسطينية استراتيجية الحرب الشعبية وبدأت تعبىء الجماهير العربية بشتى الوسائل

اخذة في نظرها ان تحرير فلسطين كمطلب عربي لا بد أن يعتمد على الجماهير العربية كمنطلق وأساس، وليس على الجيوش النظامية فقط. وهذه الاستراتيجية الثورية تعني في مضمونها اتباع أساليب الحروب الهجومية والدفاعية في آن واحد وفي مختلف الجبهات العسكرية والسياسية والاقتصادية ليصبح زمام المبادرة في يد الامة العربية في صراعها المصيري. وهذه الاستراتيجية تعني ان الشعب سيشن نضالات يومية ضد التخلف الاقتصادي والاجتماعي وضد التحجر العقائدي ليهدم مؤسساته البالية ويبني بديلا عنها مؤسسات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية ثورية تفي بحاجات الجماهير في هذه المرحلة وتلائم طبيعة المعركة التي يخوضها ضد العدو الصهيوني.

ان هذه الفرضيات الثورية التي تجسدت واقعاً ملموساً في ممارسة الثورة الفلسطينية لنضالها التحرري قد جعلها بالضرورة محور القضية العربية ونقطة انطلاق لها لتصفية الكيان الاسرائيلي وخلق ثورة عربية شاملة قادرة على تصفية قاعدة الاستعمار والامبريالية وبناء مجتمع موحد تسوده العدالة الاجتماعية.

أما الجيوش العربية فانها تقوم في هذه المرحلة بدور الردع والحماية وتتولى الثورة الفلسطينية وقواتها المسلحة عملية الهجوم على المواقع والمراكز الاستراتيجية داخل الأرض المحتلة لارباك العدو وشل نشاطاته الحياتية وإيقاف مده التوسعي وتدمير قدرته على النمو والاحتلال. وهذا التكامل في الدفاع والهجوم يخلق الاستراتيجية العربية الثورية المطلوبة.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الثورة الفلسطينية لا تراعي الامن الاقليمي للدول المجاورة، لأن في ذلك تناقض مع الأمن القومي وتكريس للتجزئة وحد للنشاطات الفدائية والعمل الفلسطيني وإعاقة لحركة التحرر العربي التي لا تعترف بحلول سياسية او اطر اجتماعية متعددة. ان الأمن الاقليمي خدعة استعمارية رجعية تتمثل النضال الفلسطيني تمثلا خاطئاً، اذ ترى في العمل الفدائي تهديداً لسيادتها الاقليمية ولمصيرها كسلطة قائمة تحد من حركة الجماهير العربية وتفاعلها مع الثورة الفلسطينية بصفتها نقطة الالتحام العربي مع العدو الصهيوني.

ان حركة (فتح)، لكونها الطليعة القيادية للثورة الفلسطينية، تعتقد ان الجماهير العربية هي صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة والتغيير، وهي القادرة على الحفاظ على الأمن القومي، حيث انها ترى في العمل الفدائي والمقاومة العربية صورة حية مشرقة لآمالها وتطلعاتها التحررية والوحدوية. وكانت هذه التطلعات الجماهيرية تبرز بشكل مادي ملموس عندما تتعرض الثورة الفلسطينية للمخاطر والمؤامرات التصفوية التي

تحيكها القوى المضادة للثورة، فنرى الجماهير العربية تنتفض في مظاهرات ساخطة بالرغم من السلطات المسؤولة ، معلنة استنكارها هاتفة بحياة الثورة الفلسطينية متخطية الحواجز في شكل جماعات وافراد يأتون للدفاع عن الثورة والمشاركة فيها . بالاضافة الى ماتقدمه هذه الجماهير من عطاء مادي ومعنوي للثورة الفلسطينية .

هذه الظواهر التاريخية تدل بشكل قاطع على العلاقة الجدلية العضوية بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية . ان حركة الجماهير العربية بدأت تتصاعد وتتطور وتنمو بالرغم من كل الحواجز السياسية والقيود الاجتماعية والاقتصادية التي تفرضها السلطات العربية في كثير من الاقطار . وسوف تصل هذه الحركة الجماهيرية الصاعدة الى تماس مباشر مع الثورة الفلسطينية ، وسوف تمتد الثورة الفلسطينية كتجربة عربية رائدة الى جميع بقاع الارض العربية لتشن حربا شعبية ضد قواعد الاستعمار والامبريالية وتتسلم زمام السلطة السياسية من يد القيادات التقليدية .

المخطط الصهيوني الامبريالي والآثار الايجابية لحرب حزيران :

ومن ناحية اخرى نرى ان أهداف العدو التوسعية تساعد بشكل مباشر وغير مباشر في اعطاء للثورة الفلسطينية صفة الشمول قومياً وانسانياً . فقد احتل العدو جزءاً من الأرض العربية المجاورة لفلسطين واصبحت الجماهير في هذه الأقطار على نفس المستوى من المعاناة مع الشعب الفلسطيني عندما ذاقت مرارة التشرد واللجوء والاحتلال وتعرضت للقتل والتنكيل الجماعي على يد العدو الصهيوني بسبب غاراته الجوية وهجوماته البرية المتكررة . كما أن العدو أجبر الأوضاع العربية المرتبطة بالغرب على التورط في الصراع المسلح واصبحت في تناقض رئيسي مع هذا العدو الصهيوني .

ومن هنا كان انطلاق الثورة الفلسطينية في رقم سياستها نحو هذه الاوضاع فرفعت شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية مادام أمن الثورة مصونا . وذلك كي تتيح لعناصرهـــا الثورية أقصى مدى ممكن من حرية التحرك والتنقل على الأرض العربية كي تعبىء الجماهير وتزيد من عطائها المادي والمعنوي والثوري، وحتى تبقى الثورة على تماس مباشر مع الجماهير العربية أينما وجدت بفضل وجود هذه العناصر الثورية بينها، كما أن من أهداف هذه السياسة ان لاتكون الثورة الفلسطينية بعناصرها بديـــلا للثورة العربية في هذه الأقطار وحتى تقوم الجماهير العربية بدورها الكامل في معركة التحرير من خلال اقحامها في ممارسات وتجارب ثورية نضالية . وهذا ما يساعد على خلق ثورة عربية شاملة من خلال حركة الجماهير وتفاعلها مع الأحداث الفلسطينية .

ان لقاء المصالح الامبريالية في المنطقة العربية مـــع المطامع الصهيونية قد وحد استراتيجيتها ضد الامة العربية فعرف كل منها دوره . فالامبريالية العالمية تتخذ اسرائيل ممراً الى دول آسيا وافريقيا من خلال ما تقدمه من معونات فنية ومادية . وتبـــدو اسرائيل دولة صغيرة تمد يد العون الى الدول الحديثة الاستقلال وتتعامل معها على اساس التبادل الحر والمساواة والمصالح المشتركة،ومن ناحية اخرىتمد الامبريالية العالميةاسرائيل بالسلاح والامكانات الاقتصادية حتى تتمكن من حماية هذه القاعدة الاستيطانية لتستمر في وجودها ومحاولاتها التوسعية لاعاقـــة حركة التحرر العربي والابقاء على المصالح الامبريالية في المنطقة .

ان الصهيونية تدرك ان الموقع الاستراتيجي للامة العربية يحول دون إتصالهـــا بآسيا وافريقيا الـــتي تحاول الامبريالية والصهيونية استغلال ثرواتها من جديد . وحتى تحافظ الامبريالية على مصالحها الاحتكارية واستغلالها للثروة البترولية العربية وغيرها من الثروات الطبيعية ، فلا بد أن تقوم بعملية تطويق للامة العربية خلال اقامة علاقات إقتصادية وسياسية مع الدول الأفريقية المجـــاورة للدول العربية ومع الدول الآسيوية المجاورة مثل ايران وتركيا .

ومن خلال هذه الدولة الاستعمارية الاستيطانية تلبس الامبريالية والصهيونية قناع الرهبان لتدخل الى آسيا وافريقيا .

ان الامبريالية والصهيونية قد وحدت استراتيجيتها المضادة للامة العربية . وهذا يفرض بالضرورة وحدة الاستراتيجية العربية بتكامل استراتيجية الثورة الفلسطينيةمع إستراتيجية حركات التحرر العربي كجزء منها .

وهذا يعني ان الثورة الفلسطينية لابد ان تكون بؤرة الالتحام العربي وقاعدة انطلاق ثورية لحركة التحرر العربي .

ان اسرائيل كمجتمع استعماري استيطاني يمثل الصورة الجديدة والتجربة الحديثة للامبريالية العالمية التي بدأت تفقد قواعدها العسكرية في المنطقة العربية بعد ان فقدت العديد من مستعمراتها في آسيا وافريقيا وبعـــد ان كادت الموارد الطبيعية للمعسكر الرأسمالي أن تنضب . لذلك خططت لتعود الى استغلال الثروات الطبيعية في آسيا وافريقيا باسلوب جديد ومن خلال قواعد بشرية تسخرها لهـــذا الهدف ، فكانت دولة اسرائيل هي القاعدة الجديدة ، وكان الغزو التكنولوجي هو الأسلوب الجديد للامبريالية والاحتكارات الدولية كي تعود الى استغلال الدول النامية .

وبالمقارنة مثلا بين اسرائيل والدول النامية بما في ذلك الدول العربية نرى التفاوت الكبير في المستويات التكنولوجية بالرغم من الفروق الشاسعة في تعداد السكان والثروات الطبيعية. والمقصود من هـــذا التفاوت هو تمكين اسرائيل من تصدير الخبرات الفنية والتكنولوجيا الى هذه الدول النامية لتتحول دون تفكيرها في الاعتماد على نفسها واستغلال ثرواتها بجهل ويسر بلائم كفاءتها الفنية المتوفرة حتى لايسير التطور الاجتماعي مع التطور الاقتصادي بشكل متواز، وبهذا تضمن أضعاف اقتصاديات البلاد النامية وبنيانها الاجتماعي وتزلها عن السير في ركب القوى التقدمية في العالم وترتبطها بعجلة الاقتصاد الرأسمالي.

لاشك ان للخبرات التكنولوجية أثرها في تنمية الدخل الوطني وزيادة القدرات الانتاجية، فتجعل البلاد في حالة رخاء وهمي، ولكنها في نفس الوقت تزيد حدة التناقضات في المجتمع بين القوى المنتجة والمستغلة الى حد الصراع الذي يؤدي الى ازمات اقتصادية حادة تعيق حركة التقدم الطبيعي في المجتمع.

ومقابل هذا التفوق التكنولوجي لاسرائيل تملك الامة العربية قدرات بشرية قادرة على سحق العدوان وازالة اسرائيل وتصفية الامبريالية العالميـــة في المنطقة ان استطاعت تنظيم وتعبئة هـــذه القدرات البشرية من خلال استخدامها لحرب التحرير الشعبية الطويلة المدى.

ولكن الذي تم في الماضي هو أن الجماهير اهملت وسلبت دورها في المعركة ضد العدو الصهيوني او في معارك البنـــاء الداخلي فأصبحت مسلوبة الارادة تساق بشكل ميكانيكي كاعداد بشرية تتساوى في الوزن السياسي والانتاجي والثوري مع باقي الجماهير في البلاد المتخلفة المستعمرة، وكأن التحرر السياسي لبعض الاقطار العربية لم يفدها ولم يغير من أحوالها ولم يفجر طاقاتها الكامنة، بل كان عبارة عن تغيير للقوى الاستعمارية بالقوى الوطنية المستغلة او المسيطرة.

وجاءت الثورة الفلسطينية لتكشف عن ضعف الحركات والقيادات العاملة في المنطقة العربية وعجزها عن قيادة النضالات الشعبية وتفجير طاقاتهـــا. فبالرغم من حرب حزيران وهزيمة الجيوش العربية تابعت الثورة الفلسطينية مسيرتها بأصرار وعزم مؤمنة بقدرة الجماهير على تحقيق المعجزات بالرغم من الفشل الذي اصابها، فزادت ثقتها بنفسها وبقدرتها على التصدي للعدوان وتحرير المناطق المحتلة بعدما خاضت طلائع الثورة الفلسطينية القليلة العدد المؤمنة الصامدة معركة (الكرامة) العربية والتي انتصرت فيها فتخلصت الجماهير من عقدة التفوق الاسرائيلي جو وبرا وآمنت أن حرب التحرير

الشعبية هي طريق الخلاص والتحرير . كما ان الجماهير العربية بفضل هذه المعركة الخالدة بدأت تسقط من حسابها ضرورة الحل السياسي وتعتبره مؤامرة دولية لتصفية القضية العربية وإبعادها عن المجالات الممكنة لتصعيدحركتها التي لابد ان تصل بها الى استخدام العنف المسلح . كما اسقطت من حسابها اعتبار الحرب النظامية والتقدم التكنولوجي هي الوسائل الوحيدة لتحرير الارض العربية وتوحيدها ، وبدأت تثق بضرورة الحرب الشعبية كأساس ومنطلق لحركة التحرر العربي ولمقتضياتها التقدمية .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

معاني الشعر

للأشناندانى المتوفى سنة ٢٨٨ هـ.
المخطوطة الكاملة تحقيق عز الدين التنوخي

منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ سعر النسخة : ٤٥٠ ق.س

القضية الفلسطينية محور للثورة العربية

بحث : المهدي العلوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها الأخوة ،

بعدما استمعنا الى العروض والتقارير التحليليـــة للمشكلة الفلسطينية وأبعادها الثوريه أريد أن أبدأ النقاش ، لا بتحليلات أخرى أو بنظرة أخرى جديدة في الموضوع ؛ ولكن أقتصر على ابداء بعض الملاحظات التي أريد أن أستنتج منها اقتراحات أعتبرها ايجابية وعملية قادرة في تقديري أن ترسم الطريق للقوات التقدمية العربية في مواجهة التحدي الامبريالي والصهيوني .

لقد قيل ان الثورة الفلسطينية هي خميرة الثورة في العالم العربي ، وبالفعل ان معركتنا ضد اسرائيل عمقت المفاهيم عندنا وعند شعوبنا . وبالتالي يمكن القول إن القضية الفلسطينية هي المعيار الذي بين لنا بوضوح :

أولاً : مطامع الاستعمار استراتيجياً في وطننا العربي ككل .

ثانياً : مدى استغلاله لثرواتنا المادية والبشرية .

ثالثاً : الطبقات الاجتماعية في وطننا العربي المساندة للأمبريالية والمسنودة منها .

ان الدور الذي تلعبه اسرائيل في الوطن العربي اصبح واضحاً كل الوضوح بعد نكسة حزيران ، لا بالنسبة فقط للشعب الفلسطيني المشرد والقوى التقدمية العربية التي تسانده ، ولكن حتى بالنسبة للجماهير البعيدة عن كل تنظيم ووعي سياسي ؛ وذلك رغم ما تقوم به بعض الأنظمة الحاكمة المرتبطة مصلحياً مع الاستعمار والامبريالية من مغالطات ومن خلق لمعارك جانبية للحيلولة دون وضوح كل أبعاد المعركة الفاصلة التي يجب أن نخوضها بغير هوادة ولا استسلام ، إن أردنا أن نعيد الكرامة لنا ولأجيالنا القادمة .

ان مواعيد امتنا العربية مع التاريخ المعاصر لم تكن حاسمة مثلما هي عليه منذ ١٩٤٨ بسبب القضية الفلسطينية .

لقد كانت نكبة ٤٨ ، وكانت الحرب العدوانية لسنة ١٩٥٦ ، وجاءت نكسة ١٩٦٧ . ولم تكن هذه النكسات وهذه الضربات التي تلقتها الأمة العربية برارة من الامبريالية والصهيونية إلا نتيجة للأوضاع الحقيقية في وطننا العربي وللثغرات والتناقضات الموجودة فيه ، والضعف الكامن في أنظمته السياسية والاقتصادية والثقافية .

ومع ذلك يجب الاعتراف أنه كان لأحداث ١٩٤٨ مثلاً بعض النتائج أهمها الاطاحة بالحكم الاقطاعي في مصر .

وكان لحرب ١٩٥٦ ، التي كان مصدرها والغاية منها القضاء على الحكم التحرري في القطر المصري ، وبالتالي القضاء على الثورة العارمة في الجزائر ، كان من نتائجها الايجابية أيضاً تعميق العمل الثوري في مصر ضد المصالح الاستعمارية والرأسمالية الأجنبية وخلق المناخ للتغييرات الثورية في كل من القطرين السوري والعراقي ، وما تبع ذلك من انتصارات ثورية أخرى ، وأهمها انتصار الثورة في القطر العربي الجزائري . أما نكسة ١٩٦٧ فإنها فضلاً عن كونها بينت لمن كان يجهل أو يتجاهل طبيعة اسرائيل وطبيعة المعركة التي كانت تخوضها ضد الأمة العربية ككل ، فانها أوضحت بكيفية ملموسة عدم جدوى الاستراتيجية والعقلية التي كنا نواجه بها التحدي الصهيوني الامبريالي . وأقل ما يقال هو أن تنظيماتنا السياسية والاقتصادية والادارية العسكرية كانت بعيدة كل البعد عن مستوى المعركة بكل أبعادها ومتطلباتها . ومن النتائج الايجابية لهذه النكسة عدم قبول الهزيمة من لدن أمتنا العربية عندما أوضح لها فدائيو منظمة فتح طريق الخلاص ، وذلك بالاستمرار في الكفاح وباتخاذ الحرب الشعبية كوسيلة عملية ومنطقية قادرة على أن تجعل من التفوق التكنولوجي والعسكري لاسرائيل تفوقاً غير صالح أن تواجه به بنفس السهولة ارادة الشعب العربي في التخلص من الاستعمار الصهيوني ومن هيمنة الامبريالية .

ولقد عبرت الشعوب العربية عن هذا الصمود أمام التحدي الصهيوني في مناسبات متعددة ، منها التحركات الجماهيرية في المتحدة وسورية ولبنان ، والتطورات السياسية التي شهدها العراق ، وأخيراً وليس آخراً الانتفاضات الثورية التحررية في كل من السودان وليبيا . إن هذه الأحداث وهذه التطورات كلها تعبر في العمق عن وحدة المشاعر والطموح عند شعوبنا حسب ظروفها

وواقعها الاجتماعي والسياسي . ولكن وحدة المشاعر لاتغني عن التفكير والعمل من أجل ترجمتها الى ارادة خلاقة . وهنا يجيء دور القوات التقدمية وتنظيماتها وما تحتمه عليها نوعية المعركة وأبعادها التاريخية . ان معركة المصير التي تدور على أرض فلسطين وفوق الأراضي العربية المحتلة تفرض على المنظمات الديمقراطية والتقدمية والاشتراكية في وطننا العربي ان تبتعد عن المعارك الجانبية وأن تعمل بكل قواها وبعزيمة صلبة لكي تحقق تعاوناً ديناميكيا وصادقا بينها . ان البرنامج الأولي الذي يمكن ان يجمع بيننا ، والذي يفرضه الواقع ، هو حشد كل امكانياتنا من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة وتدعيم الحرب الشعبية التي تقوم بها الطلائع الفلسطينية حتى النصر .

وهذا لا يتأتى إلا بتحقيق ما يلي :

١ – تنسيق العمل بين القوات التقدمية في الوطن العربي .

٢ – توحيد المقاومة الفلسطينية .

٣ – التعاون مع القوات التقدمية العالمية .

ان التنسيق والتعاون بين القوات التقدمية العربية هما القادران على تهيئة المناخ الذي يساعد على تجنيد وتنظيم الجماهير الشعبية لكي تصمد بوعي وثبات أمام التحدي الصهيوني الامبريالي .

هذا التحدي الذي اصطدم فعلاً بروح المقاومة التي تجلت في تحركات الشعوب العربية وفي الحرب الشعبية التي اختارها الشعب الفلسطيني . ان رد الفعل هذا ، ولو أنه في بدايته ورغم عدم تنسيقه حسب مقتضيات المعركة ، دفع بالعدو وسيدفع به أكثر فأكثر الى توسيع وتنويع هجماته على الدول العربية

شعوراً وايماناً منه بان القضاء على الوجود الصهيوني هو حتماً القضاء بالدرجة الأولى على السيطرة الامبريالية في الوطن العربي . وهذا هو سر تعقد المعركة في المراحل الطويلة التي ستمر منها . اذن يجب ان نستعد للمعركة بكل أشكالها ، وان نعبىء كل قواتنا وامكانياتنا المادية والبشرية من أجل الخلاص .

ان لنا في نضال الشعب الفيتنامي مثالاً حياً لما تتطلبه منا المعركة من تضحيات ومن نفس طويل في الصمود ؛ وبدون أن نقارن الأشياء بكيفية سطحية ، ولكن كمثال يمكن أن نقتدي به في تعبئة شعوبنا التعبئة النفسية والسياسية والاقتصادية والحربية ، يجب أن نستعد جميعاً لكي تكون كل أطراف وطننا العربي فيتنام شمالية بالنسبة لتحرير الأراضي المحتلة ونصرة الشعب الفلسطيني في معركته التي هي معركتنا الفاصلة جميعاً مع الاستعمار والصهيونية .

ولكي يكون نضال شعب فلسطين بعيداً عن المعارك الجانبية التي تشل من فعاليته الثورية يجب أن تنصهر كل المنظمات الفدائية في جبهة موحدة عسكرياً وسياسياً كما هو الحال بالنسبة لجبهة التحرير الفيتنامية المكونة من العناصر الوطنية والديمقراطية والاشتراكية ، قابلة لبرنامج مرحلي فرضته الظروف الموضوعية للمعركة ، وذلك مع العلم ان نظام فيتنام الشمالية ، المدعم الأساسي لجبهة التحرير ، هو نظام ثوري وماركسي . إن وحدة منظمات المقاومة الفلسطينية ليست مرهونة فقط بالعزيمة الثورية التي يجب أن تكون عند مناضليها ، ولكنها مرهونة أيضاً بالدور الايجابي الذي يجب أن تلعبه القوات الثورية العربية الأخرى والأنظمة التقدمية التي توجد على الساحة العربية في تعزيز هذه الوحدة من أجلها .

واذا كان الانفتاح أو التعاون مع المنظمات الثورية والتقدمية على الصعيد العالمي شيء مفروض يتطلبه كل نضال تحرري ، فإن قضيتنا تحتم علينا

مجهوداً أكثر وأعمق ، لأن العدو الصهيوني عرف كيف يعبىء من جانبه كثيراً من القوات التي كان المفروض ان تكون الى جانبنا ومع قضيتنا العادلة بمسؤولية وابداع ووعي .

هذه هي الصيغة المطلوبة والممكنة للبدء على الطريق الصحيح الذي يضمن النصر للأمة العربيـة في معركتها ضد الامبرياليـــة والصهيونية واسرائيل والتخلف .

ولا بد أن أشير هنا الى خطر السياسة التي تدعو لها كل من فرنسا وايطاليا في البحر الابيض المتوسط . ان هذه السياسة في عمقها سياسة استعمارية جديدة تنطلق من فكرة مايسمى بالفراغ السياسي في منطقة البحر الابيض المتوسط .

فكلما تحرر بلد عربي من النفوذ العسكري والسياسي الانجلو ـ امريكي يكون البديل في الخطة الجديدة (أي نظرية الفراغ السياسي) هو النفوذ الفرنسي .

ان هذه السياسة في عمقها تسعى الى استمرار الوجود الفرنسي في هذه المنطقة والاحتفاظ بالمواقع الاستراتيجية والسياسة والاقتصادية فيها . وامام هذه الخطة يجب السعي الى تعبئة القوى التقدمية الموجودة حول البحر الأبيض المتوسط ، والتي لها مصالح مشتركة في القضاء على كل انواع الاستعمار وكل انواع الاستغلال .

أيها الأخوة :

هذه بعض الاقتراحات العملية التي يمكن ان تكون محور نقاشنا ، الذي أتمنى ان يكون ايجابياً لصالح قضيتنا المشتركة ، والسلام عليكم .

المناقشات

(خلاصة مكثفة)

اشترك في مناقشات الموضوع السابع كل من السادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- عبد الهادي ناصف (ج . ع . م)
- الياس فرح (العراق)
- عبد المنعم غزالي (ج . ع . م)
- نايف حواتمة (فلسطين)
- غسان كنفاني (فلسطين)
- كريم مروة (لبنان)

عبد الهادي ناصف (ج. ع. م) :

أسفرت حرب حزيران عن طائفة من الحقائق هي :

- تجاوز الخطر الصهيوني حدود فلسطين ليهدد كيان الثورة العربية كله

- اتساع دائرة الصراع

- العمل الفدائي عامل له اثره الواضح في الصراع

- القوى الثورية العربية خاضت المعركة دون استراتيجية .

ولقد تمثلت مظاهر القصور العربي في : تجزئة النظر الى الصراع، وتفتيت الموقف العربي ، والخطأ في تقدير نسبة القوى ، والتزام الدفاع الثابت ، واغفال دور شعب فلسطين ، واخلاء ميدان المناورة الخارجية للعدو ، واسراف غير مسؤول في التعبئة النفسية للجماهير العربية ، وعجز عن استخدام الرصيد البشري الهائل والموارد العربية .

ان دروس حزيران لا زالت في حاجة الى استيعـــاب من قوى الثورة كما أن صيغة الحرب الشعبية مقبولة من جميع القوى الثورية ، والخـــلاف على « الصيغة الخاصة » . ولا يمكن للنضال العربي أن ينتظر حتى يتم الحشد العربي الكامل . إن قوى الثورة العربية مدعوة أن تضع في اعتبارها ما يلي :

١ - إن إزالة آثار حزيران ضرورة حتمية على طريق حل قضية فلسطين جذرياً ، ولاجتياز مرحلة العمل الفدائي الى مرحلة حرب التحرير .

٢ - تسليح الجماهير العربية .

٣ - الحشد الكامل المتدرج لقوى المواجهة العربية .

٤ - لا يمكن للرجعية العربية أن تأتي مختارة الى ساحة النضال .

٥ - من خلال المعركة يجب أن تتحقق الحرية والاشتراكية والوحدة .

د. الياس فرح (العراق) :

ان العمل الفدائي هو قلب الثورة العربية. وعبثاً تحاول الحركة الفلسطينية أن تستغني بالوجود العربي ، وعبثاً تخشى من تسرب انقسامات الواقع العربي الى داخلها . ان العمل الفدائي لايمكن له أن يتطور الى حدود الثورة الحقيقية في معزل عن مجموع الجماهير العربية .

ان المدخل الى تطوير الثورة العربية هو في تحقيق الجبهة الوطنية داخل كل قطر ، والجبهة الوطنية على صعيد الوطن العربي. وبذلك فقط تتحقق الوحدة العربية على أسس ثورية .

عبد المنعم غزالي (ج. ع. م) :

أبدى عدة ملاحظات في شكل اقتراحات حول العمل الفلسطيني تتضمن :

● اقامة التنظيم القوي داخل الأراضي المحتلة . وبــدون ذلك فإن الكيانات الطبقية العربية سوف تندمج بالكيانات الاسرائيليـــة ، ومعظمها كيانات زائفة ، كالمستادروت .

● التركيز في العمل على القـــارة الافريقية ، حيث يحتل النشاط الاسرائيلي مجالاً كبيراً . ان اسرائيل تشارك في الحصار المضروب حول ثورة ٢٥ مايو في السودان ، كما تقود حركة التمرد في الجنوب .

● الانطلاق الى المنظمات العالمية بمنظمة فلسطينية واحدة . فالكيان الفلسطيني لم يتشكل فقط من خلال العمل الثانوي وحده ، أو من خلال العمل العلوي فقط ، ولكن بواسطة تنظيم الجماهير الفلسطينية نفسها . .

نايف حواتمة (فلسطين) :

إن جميع الإخوة في هذا الملتقى يهمهم أن يتعرفوا على واقع حركات

المقاومة الفلسطينية وعلاقاتها ليشاركونا همومنا واهتمامنا . ومن هنا سأحاول أن يكون موضوع حديثي أقرب الى المراجعة النقدية منه الى العرض الوصفي .

لقد جاءت هزيمة حزيران ١٩٦٧ لتؤكد على مجموعة من الدروس ، منها أن الكيان الصهيوني ممثلاً في دولة اسرائيل ذو شخصية مزدوجة . فهو كيان ذو عنصر توسعي على حساب شعب فلسطين وشعوب الأمة العربية ، وهو كيان مرتبط جدلياً ويومياً بالاستعمار والامبريالية . ولتؤكد حرب حزيران من جديد أن قضية فلسطين وشعب فلسطين تقرر وتتقرر تاريخياً بحكم العلاقات الجدلية القائمة أيضاً بين شعب فلسطين وشعوب منطقـــة الشرق الأوسط بشكل عام، وشعوب الأمة العربية بشكل خاص ، مؤكدة أن محاولة « لفلسطنة » القضية الفلسطينية هي ، في التحليل الأخير ، لخدمة قوى الرجعية والاستعمار والامبريالية .

وتؤكد هزيمة حزيران أيضاً أن في شعب فلسطين وشعوب الأمة العربية تكوينات طبقية ومتناقضة في مواقفها من عملية التحرير فلسطينياً وعربياً، لتثبت من جديد ما أعطته تجربة الشعب الفلسطيني بثورة عام ١٩٣٦، وبأحداث ٤٨ و ٥٦ وأخيراً ٦٧ ، بأن هناك قوى طبقية في مجتمع فلسطين وقوى طبقية في مجتمع الشعوب العربية لها مصلحة من متابعة النضال ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وطبقة أخرى مرتبطة بالاستعمار والامبريالية . وكلنا يذكر أن أحداث حزيران حدثت وملك السعودية يتجول في شوارع أوروبا .

وتؤكد حرب حزيران أيضاً أن الحرب الخاطفـــة التي تعتمدها الاستراتيجية الصهيونية والامبريالية في صراعها مع شعوب البلدان المتخلفة هي في صالح الامبريالية والصهيونية كقانون عام ، مؤكدة أن امكانية إحداث تفوق لدى شعوب البلدان المتخلفـة على التفوق التكنيكي الامبريالي بات مرهوناً في عصرنا بلون جديد من الحرب ، هي حرب الجماهير الشعبية المسلحة الطويلة الأمد،

بديلاً عن الحرب النظامية الخاطفة . والتجربة الفيتنامية والجزائرية والكوبية تؤكد ذلك بشكل ملموس .

وتؤكد هزيمة حزيران أيضاً أن التغلب على التفوق التكنيكي الامبريالي الصهيوني بات مرهوناً ببرامج مختلفة عن البرامج التي كانت قائمـــة على الأرض العربية . وبات من الواضح أن هذه البرامج تفترض التسلح بأيديولوجية ثورية تمكن الجماهير باستمرار من مجابهة كافة الأحزاب بوعي سياسي ثوري ملموس .

إن شعب فلسطين بحركته المسلحة الجماهيرية لا يستطيع وحده أن يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه في عملية التحرير الشامل الكامل الناجز لفلسطين . ومن يحاول أن يصور المسألة على أنها متشابهة مع التجربة الجزائرية يقـــع في خطأ موضوعي علمي . فالشعب الفلسطيني ، في معظمه ، خارج أرضه . كما أن الرقعة الجغرافية لأرض فلسطين تساوي مقداراً بسيطاً بالنسبة لرقعة الأرض الجزائرية ، الى جانب أن الشعب الفلسطيني يجابه عدواً قادراً على الحركة السريعة مرتبطاً بالامبريالية العالمية . كما أن مجموع معسكر الامبريالية يلتقي على نقاط أساسية هي بقاءاسرائيل ضمن حدود آمنة .أما في المعسكر الاشتراكي فهناك موقفان :

موقف يقول بضرورة فهم المسألة وحل القضية ضمن حدود تصفية آثار ٥ حزيران . وموقف يذهب الى أبعد من ذلك فيقول بتصفية القضية ضمن حدود قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ . ولكن الكل يجمع على بقاء اسرائيل .

إن هذه الصورة المعقدة للقضيةالفلسطينية لم تضع الشعب أمام حالة يائسة أو مترددة . فقد حمل السلاح في ظل حركة التحرير . وعلينا أن نتساءل لماذا لم تتخذ منظمات التحرير شكلاً موحداً كما حدث في جبهة التحرير الفيتنامية ، وجبهة التحرير الجزائرية . إن المسألة تتعلق بضرورة فهم أوضاع شعب فلسطين والأوضاع المحيطة به . فالشعب الفلسطيني تحكمه تناقضات متعددة طبقية وايديولوجية

وسياسية تجد تعبيرها الملموس في اختلاف الرؤية التكتية لقضية التحرير ، وقضية العلاقة بين حركة المقاومة والأوضاع العربية . ولقد عكست هذه التناقضات نفسها موضوعياً على تطوير التنظيمات ، حيث يتمتع كل تنظيم بتعبير ايديولوجي وطبقي وعسكري مستقل. كما أن الأنظمة العربيه سحبت نفسها على الأوضاع الذاتية للحركة الفلسطينية بحكم الارتباط القائم بين قضية فلسطين والأوضاع الموجودة في العالم العربي . ولذلك قامت منظمات عديدة لا مبرر تاريخي أو عسكري لها . ويمكن بعملية حسابية موضوعية أن تنتهي هذه التنظيمات بالاندماج في تنظيمات أخرى ، فيما لو تحررت من التناقضات العربية التي تسحب نفسها بثقل بارز على حركة المقاومة الفلسطينية .

وهذه العملية لا يمكن أن تتم الا بالحلول الديمقراطية بين هذه المنظمات .

وهنا تواجه الحركة الفلسطينية معضلة أساسية وهي ضرورة توحيد صفوفها ضد كافة القوى العاملة على تصفية القضية الفلسطينية وتصفية حركة المقاومة ، بما يمكن حركة المقاومة من تطوير نضالها لمصلحة التطور من حرب فلسطينية محدودة، الى حرب عصابات، على طريق الوصول الى حرب شعبية ضد الصهيونية والاستعمار . وهنـــا تبرز معضلة أساسية وهي كيفية تحقيق الوحدة القومية بين منظمات المقاومة . لقد جربت ذلك منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة المجلس الوطني، وثلاث منظمات أساسية هي: فتح، والصاعقة ، والجبهة الشعبية الديمقراطية، ومنظمات صغيرة أخرى . وثبت بالدليل الملموس أن طبيعة التركيب الطبقي لمنظمة التحرير لم يمكنها من تطوير هذه المنظمة وتحريرها وتثويرها ، بحيث تصبح الوعاء التنظيمي الذي يضم جميع المنظمات ، وكذلك تطويرها في مستوياتها التشريعية والتنظيمية ، بحيث تصبح جبهة تحرير موحدة .

كيف يمكن أن نطور القيادة الموحـدة لحركة المقاومة الفلسطينية في صيغة تنظيمية تستوعب منظمة التحرير وأطرها القيادة والتشريعية والسياسية في شكل القيادة الموحدة، بما يمكن من تحديد علاقات متكافئة بين فصائل المقاومة ، ومرتبطة ببرنامج سياسي واسع مشترك ؟ هذه معضلة مطروحة على الجميع .

المعضلة الثانية الأساسية المطروحة على حركة المقاومة الفلسطينية ، هي معضلة العلاقات العربية وضرورة تصحيحها ووقوفها على قدميها . إن تصحيح العلاقات بين حركة المقاومة الفلسطينية ، والأوضاع العربية يجب أن يقف على رجليه حتى لا تصل علاقة حركة المقاومة ، تحت شعار عدم التدخل ، الى عدم تدخل في الشؤون الفلسطينية .

إن الأوضاع العربية تتدخل يوميا في القضية الفلسطينية وحركة المقاومة . وحل العلاقة بين الطرفين لم يحدد في صالح حركة المقاومـة . كما أن الارتباط المصيري بين حركة المقاومة والأوضاع العربية يفرض على حركة المقاومة مراجعة نقدية موضوعية لكافة المواقف العربية ، من حيث علاقتها بالقضية ، والى أي مدى تخدم عملية التحرير .

إن تطبيق قانون « التضامن مع النقد » في صفوف جميع القوى التي يتشكل منها معسكر الثورة الوطنية الديمقراطية العربية لصد هجمة حزيران الامبريالية الصهيونية الرجعية كفيل بتصحيح هذه العلاقات فعلاً ، حتى لا يصبح موقف حركة المقاومة هو موقف الصمود في مجموع التدخل من أجل ضمان خطوط مواصلات لها ، أو بضعة مساعدات لا بد منها في المرحلة التي نعيشها .

وثمة معضلة ثالثة خاصة بطبيعة التكوين الايديولوجي السياسي لحركة

المقاومة . وفي تقديري أن الحركة مطالبة بشن نضال ايديولوجي وسياسي في صفوفها من أجل تطويرها الى حركة محددة الملامح تقدمية وديمقراطية وفلسطينية وعربية ، تكسبها امكانية تعبئة الجماهير الفلسطينية بشكل منظم ، والجماهير العربية التفافاً حول المقاومة ، بحكم البرنامج الوطني الذي تطرحه المقاومة وتتمكن من خلاله من مخاطبة القوى التقدمية الاشتراكية والعماليـــة في العالم ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية . فاذا وقع خطأ ، لابد أن يصحح ضمن خط وطني واممي صحيح يقوم على رفض اشكال القهر الوطني من قبل فريق من الناس لشعب آخر .

هذه معادلة أساسية تعرض أمامكم طريقة للنقاش الحر والواسع .

ونأمل أن يكون بيننا جميعاً من يعمل من أجل الوصول على الأقل الى مناقشة يمكن أن تكون مفيدة لنا ، ومعينة لنا في صراعنا من أجل الوحدة الوطنية ، وتصحيح العلاقات مع الأوضاع العربية ، وتعزيز النهج التقدمي والثوري لحركة المقاومة الفلسطينية في كافة برامجها فلسطينياً وعربياً وعالمياً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

انني أضع مسألة مطروحة بين حركة المقاومة الفلسطينية العربية والتقدمية وبين الأحزاب الشيوعية العربية والحركة الشيوعية العالمية .

لقد اثار اهتمامي حديث الأخ كريم مروة . الا أن الأخ عمر مصطفى مكي (الحزب الشيوعي السوداني) جاء ليعطي رداً ينسجم ويتطابق مع ما كنت أود أن أقوله حول الموقف المختلف عليه في بلدان المعسكر الاشتراكي من القضية الفلسطينية ، وفي صفوف الحركة الشيوعية العالمية والعربية من هذه المسألة .

نحن علينا أن نعترف في معرض النقد والنقد الذاتي أن هناك خطأ تاريخياً قد وقع من وجهة نظر أممية، فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية، على يد الاتحاد السوفيتي ومجموعة البلدان الاشتراكية. وتمثل هذا الخطأ في موقف العداء من فصائل الحركة الشيوعية العالمية بشكل عام، ومعظم الأحزاب الشيوعية العربية، باستثناء الحزب الشيوعي السوداني، الذي بادر بمراجعة نقدية بعد حزيران ٦٧ تجاه المسألة الفلسطينية والاسرائيلية، وانتهى الى حل ماركسي أممي صحيح. ويجب علينا في حركة المقاومة أن نخص الحزب الشيوعي السوداني بالتحية الثورية لهذا الموقف الصحيح.

ونحن نأمل من باقي فصائل الحركة الشيوعية العربية أن تنهج موقفاً ماركسياً أممياً ثورياً صحيحاً تجاه المسألة الفلسطينية. فمثل هذا الموقف لم يتته بعد الى تحديد واضح. ففي حديث الأخ مروة اشارة سريعة الى طبيعة الوجود الصهيوني دون أن يحدد بوضوح الموقف من دولة اسرائيل. كما أن بيان قوات الأنصار – التي تمثل المنظمة المرتبطة بالحزب الشيوعي الأردني – كان فيه قفزة على موضوعتين أساسيتين:

الموضوعة الأولى: تتعلق بالموقف من زاوية اسرائيل بالذات.

الموضوعة الثانية: تتعلق بالموقف من زاوية قرار مجلس الأمن كما تراه حركة المقاومة الفلسطينية.

لقد جاء بيان قوات الأنصار قفزاً على تحديد طبيعة دولة اسرائيل والنضال من أجل تصفيتها. ومن خلال المناقشات الجانبية مع الحزب الشيوعي الأردني اتضح أنه لايزال يقف عند قرار التقسيم لعام ١٩٤٧.

الا أن هذا الموقف الخاطىء ماركسياً حتى الآن من المسألة الفلسطينية يجب ألا يعني ، ولا لدقيقة واحدة ، أن نعطي مجالاً للقوى الرجعية العربية أن تستخدم بعض المواقف الخاطئة لبعض القوى التقدمية لمجابهة هذه القوى ومحاولة النيل منها . فكلنا يعلم الصراعات التي خاضتها الحركة الثورية الماركسية من جميع المحاولات الماركسية اليهودية التي أرادت إحداث انفصال بين حركة الطبقة العاملة اليهودية في البلدان التي تقيم فيها ، وبين حركة الطبقة العاملة الأوروبية على سبيل المثال . وتعلمون جميعاً أن الماركسية ضد كافة ألوان القهر الطبقي أو القومي أو الديني من قبل شعب لشعب آخر .. بل هي مع حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها .

إن مثل هذا الموقف الصحيح الذي انتهى اليه الحزب الشيوعي السوداني يوجب على الحركة الشيوعية العربية أن تخضع مواقفها الأخرى لمراجعة نقدية تنتهي بها فعلاً الى موقف أممي صحيح يعزز حركة التقدم والثورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن مثل هذا الموقف مطلوب من المعسكر الاشتراكي . ولهذا طالبت الجبهة الشعبية الديمقراطية في بيان أول أيار عام ١٩٦٩ من الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى ضرورة تصحيح الموقف البيروقراطي للستالينية ، والانتهاء الى موقف ماركسي لينيني صحيح يقوم على رفض الوجود الاسرائيلي باعتباره وجوداً قائماً على القهر القومي والامبريالي والصهيوني .

وبذات الوقت إن هذا يفترض أيضاً من القوى التقدمية الأخرى غير الشيوعية — الحاكمة وغير الحاكمة — أن تتخذ موقفاً نقدياً من حركة المقاومة .

غسان كنفاني (فلسطين) :

سبقني الرفاق في تحديد سلسلة من النقاط التي أعتقد اننا من حيث المبدأ متفقون على كثير منها. وأرى أن أضيف نقاطاً أخرى ؛ وربما من خلال التشديد على بعض ماقيل.

أولاً : اذا كان من الصحيح أن الشعب الفلسطيني والأرض الفلسطينية كانا الضحية المباشرة والأكثر استهدافاً للهجمة الصهيونية المباشرة ، فإن هذه الهجمة لاتستهدف شعب فلسطين فقط وأرضه. ولا شك أن هذه الهجمة أرادت أن تجعل فلسطين رأس جسر لتحقيق مآربها في المنطقة برمتها. إن الشرط الاسرائيلي المزعوم للسلام مع العرب كان دوماً يؤكد على مطلب مزدوج : فتح السوق العربية أمام الغزو الاقتصادي الاسرائيلي ، وتكريس مايسميه الاسرائيليون بالسيادات الاقليمية في المنطقة ، وإذا حولنا هذين الشرطين الى موقف أكثر تحديداً فإن الاسرائيليين يربطون وجودهم العدواني ونفوذهم بمسألتين : التخلف العربي ، بمعنى عرقلة الثورة الاشتراكية والتجزئة العربية ، بمعنى مناهضة الوحدة.

ثانياً : ان الاستراتيجية العسكرية والسياسية الاسرائيلية تقوم بالدرجة الأولى على الارتباط الكلي مع برنامج الغزو الامبريالي في المنطقة. ومن هنا فان ما يحدث حالياً ، حين تكشف الانباء عن دور أساسي لاسرائيل في مشروع الحزام الامبريالي الذي يمتد من طهران ، الى الحبشة ، الى اليونان ، ليس مصادفة والواقع أن هذا الارتباط اكثر خطورة ودقة.

ثالثاً : في اعتقادي أن هزيمة عـــام ١٩٤٨ لم تكن الحلقة الأولى في

الكارثة الفلسطينية وأريد أن أشدد على القول إن الكارثة الفلسطينية بدأت عملياً في الهزيمة التي منيت بها انتفاضة عام ١٩٣٦ في فلسطين . وما حدث عام ١٩٤٨ كان نتيجة لتلك الهزيمة وبالتالي حلقة ثانية . وهذا يعني أن دراسة ثورة وهزيمة ١٩٣٦ أمر أساسي .

رابعاً : لقد أدت سلسلة التجارب هذه الى نتائج هامة ولا ريب ، وهي نتائج متعاكسة . فقد أفرزت هذه التجارب موقفين كلاهما خاطىء :

— **الأول** : ردة فعل اتجهت نحو « القطرية الفلسطينية » ، وهي سلوك يحاسب الجماهير العربية على أخطاء ارتكبتها انظمتهـــا ، والتي تتناقض عملياً وجوهرياً مع مصالح جماهيرها . وهذا الاتجاه هو ارتجال دراماتيكي لحالة غضب غير متزنة .

— **الثاني** : ردة فعل أخرى اعتبرت المقاومة الفلسطينية محوراً للثورة العربية ، بمعنى المبالغة في تكبير رسالة المقاومة الفلسطينية ومسؤولياتها .

خامساً : إن مراحل الثورة المختلفة خاضعة بالطبيعة لكل ما تخضع له أشياء عالمنا : الحركة الجدلية المستمرة ، ولذلك بالذات فانها محكومة بالدرجة الاولى بقرارات الانسان المسؤول عن مصيره . ومثل هذه القرارات لم تعد في عصرنا خاضعة للتجريبية أو الدوغمائية .

إن المقاومة الفلسطينية ما تزال تفتقد في مرحلتها الراهنة ـ لدى هذا التنظيم أو ذاك ـ لافقها الاستراتيجي بما يختص ببعدين شديدي الأهمية : البعد القومي والبعد الطبقي . ان هذين البعدين يشكلان معاً عمقاً أساسياً في مستقبل النضال الفلسطيني . ومع ذلك فانهما لا يزالان غائبين بالرغم من الشوط الذي قطعه الكفاح الفلسطيني المسلح حتى الآن .

سادساً : من الصحيح أن المقاومة الفلسطينية المسلحة تقدم مثالاً يومياً للجماهير العربية ، وهي في هذا المجال تقوم بالتحريض المباشر حيناً ، وغير المباشر حيناً آخر . ولكن من الخطأ الاعتقاد بأن هذا النوع من « المثال اليومي » هو هدف كامل في حد ذاته . فالقيمة الأساسية لهذا المثال وهذا التحريض هو استنهاض الجماهير العربية من خلال أحزابها ومنظماتها الطليعية لبناء الجبهة الوطنية العاملة .

إن مطلب الجبهة الوطنية العريضة ، الملتزمة أطرافها ببرنامج حد أدنى وبعلاقات ثورية واضحة ، مطلب لا يمكن الا أن يكون أساسياً . ومن المؤكد أنه بدون هذه الجبهة ستفقد المقاومة الكثير من قدرتها الذاتية . وحين نقول جبهة وطنية انما نستهدف بهذا التعبير ما تعنيه كلمة جبهة فعلا ، اي البعد عن التراكم العفوي ، والالتزام الى أقصى حد ببرنامج حد أدنى يجري ترسيخه وتطويره عبر الممارسات والتجارب والدروس .

ولا بد أن يجري التأكيد على القيمة التاريخية لمفتاح المثلث الذي يفتح آفاق النصر أمام جماهيرنا ، والذي يتركز في ثلاث نقاط :

١ — جبهة وطنية عريضة تضم الفصائل الفلسطينية .

٢ — افق استراتيجي عربي على مستوى الأمة .

٣ — بعد تقدمي مبني على أساس طبقي .

ولا يمكن تحقيق ذلك بسهولة ، فالطريق شاق وصعب ، ولكنه يستحق دماء الذين يقاتلون في سبيل احراز النصر .

كريم مُرُوَّة (لبنان) :

خلال الكفاح المسلح ، وعبر النقاش على امتداد الفترة التي أعقبت

الخامس من حزيران، أمكن التوصل الى الاتفاق حول مجموعة هامة من المسلمات بين مختلف فصائل الحركة الثورية العربية بالنسبة للقضية الفلسطينية . وهذا في حد ذاته أثر في غاية الأهمية . الا أننا نظل بحاجة الى مزيد من النقاش للوصول الى أقصى ما يمكن من نقاط الاتفاق في هـــذه القضية التي تشكل الآن عنصر تجمع قومي للشعوب العربية في النضال ضد الامبريالية والصهيونية .

وبودي هنا أن أوكد بعض الأمور :

١ – لا بد من التأكيد على أن اسرائيل تشكل جزءاً من الامبريالية العالمية ، وانها تحتل مكاناً خاصاً في الثورة العربية بوصفها كياناً عربياً مصطنعاً قام على اغتصاب أرض عربية .

٢ – إن كون القضية الفلسطينية تشكل احدى القضايا الأساسية في الحركة الثورية العربية لايجعل منها بالضرورة نقطة انصهار جميع التناقضات بين الامبريالية والصهيونية من جهة ، والحركة الثورية العربية من جهة ثانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ – إن هذا الموضوع يقودنا بالضرورة الى موضوع آخر وهو تحديد القوى الطبقية صاحبة المصلحة في السير بالثورة الفلسطينية الى أهدافها النهائية . ومن الطبيعي أن نشير هنا الى طابع هذه الثورة الخاص . فنحن امام حالة خاصة من قضايا تحرر الشعوب ، فالشعب العربي الفلسطيني لم يحرم فقط من ممارسة حقه الطبيعي في تقرير مصيره ، بل حرم كذلك من الارض . ومعظم هـذا الشعب يعيش في المخيمات . وهذا بالطبع لاينفي الانقسام الاجتماعي داخله ، ولكنـه يعطي للجانب القومي من المسألة مكانا لايجوز اغفاله . وهـــذا الجانب القومي ينعكس على مجمل الحركة الثورية العربية ، ويجذب الى المعركة ، ولو جزئياً ومؤقتاً ، قوى اجتماعية معينة .

٤ – إن قضية الوحدة بين فصائل الحركة الثورية الفلسطينية يجب ان ينظر اليها على انها قضية تاريخية . ولا بد من القول إن الواقع الراهن من تعدد التنظيمات هو ظاهرة طبيعية في هذه المرحلة من مراحل تطور الحركة الوطنية، وان الجبهة الوطنية المتحدة هي الصيغة الأفضل والأكثر علمية لتحقيق الوحدة بين فصائل هذه الحركة .

٥ – إن معالجة قضية الوحدة في صفوف حركة المقاومة تقود الى البحث فيما تسعى المنظمات الفلسطينية الى تحقيقه الآن . ولاشك أن الاتفاق على قيادة موحدة أمر في غاية الأهمية .

٦ – إن تشكيل المنظمة الجديدة – قوات الأنصار – هو النتاج الطبيعي اللازم لكفاح المناضلين التقدميين الذي امتد عشرات السنين ضد الاستعمار وعملائه ومعاهداته واحلافه . وهي تضم في صفوفها فصائل من قوى الطليعة الواعية المجربة، كما تضم جمهرة من ابناء الشعب العربي الفلسطيني، وتسترشد بمبادىء النظرة العلمية وبروح الوطنية والأممية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ – إن قضية العلاقة بين المقاومة ، والحركة الثورية في كل بلد عربي، هي من القضايا الهامة التي لابد من الوصول الى صيغة ثورية حقيقية لها تكون في صالح الحركتين . فالعلاقة غير المنظمة من شأنها أن تؤدي في الفترات الصعبة الى نتائج سلبية على الحركتين .

ستصدر المعرفة خلال الأشهر المقبلة أعداداً خاصة في :

- المسرح العربي وقدرته على التفاعل مع المجتمع الثوري.

- السينما ومكانتها في الحضارة الحديثة.

- وقائع مؤتمر الأدباء العرب الثامن (أيلول ١٩٧٠)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويلبر شرام

وسائل الاعلام والتنمية القومية

ترجمة: أديب يوسف شيش

http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب يبحث دور وسائل الاعلام في مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأقطار النامية.
النص الأصلي من منشورات منظمة اليونسكو

صدر حديثاً بالعربية عن وزارة الثقافة - دمشق - سعر النسخة ٤٥٠ ق.س

البيان الختامي

ان المثقفين العرب ، الذين اشتركوا في الملتقى الفكري العربي المنعقد في الخرطوم بين ١٥ و ٢٣ مارس (آذار) ١٩٧٠ ، تلبية لمبادرة من القيادة الثورية للشعب السوداني المناضل ، برئاسة أ . ح . جعفر محمد نميري ، الذي تفضل وافتتح الملتقى وساهم ورفاقه في مناقشاته ، وهم يتوجهون ببيانهم هذا الى الشعب العربي ، يحيون ثورة الخامس والعشرين من مايو المجيدة التي أتاحت لهم مثل هذا اللقاء على أرض السودان الشقيق ، لتبادل الحوار البناء الهادف ، ومناقشة القضايا المصيرية الهامة التي تواجه شعبنا على طريق نضاله من أجل الوحدة والاشتراكية وتحرير فلسطين وتصفية الوجود الاستعماري في الوطن العربي .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

لقد أتاح هذا الملتقى فرصة نادرة لمجموعة من المثقفين العرب — يمثلون مختلف الاتجاهات والقوى العربية التقدمية في ساحة النضال العربي — ليديروا حواراً أخوياً خصباً ومثمراً ستكون له آثاره الايجابية على المسيرة الثورية المشتركة المتصدية لجميع أنواع التحديات الاستعمارية والصهيونية ، وماجرته على الوطن العربي من مشكلات التجزئة والتخلف .

إن انعقاد الملتقى في هذه الظروف بالذات ، وفي مرحلة تعقب نكسة حزيران ، قد أضفى عليه جواً من الشعور بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق الفكر

الثوري العربي والمفكرين الثوريين العرب ، كما ضاعف من الاحساس القومي الملح بضرورة بذل كل الجهود الممكنة لتوحيد القوى الثورية العربية للتصدي لهذه الهزيمة ، وتحرير الارض المحتلة والمغتصبة من الاستعمار والصهيونية .

وفي جو من المنهجية العلمية المسؤولة ناقش المشتركون عدداً من القضايا المتعلقة بالثورة العربية وأبعادها ومهماتها في هذه المرحلة ، وعلى المدى البعيد ، فدار البحث والحوار حول :

- الأرضية التي تتحرك عليها الثورة العربية
- المرتكزات الفكرية والروحية للثورة العربية
- قوى الثورة العربية
- الوعاء التنظيمي للثورة العربية
- دور القوات المسلحة في الثورة العربية
- القضية الفلسطينية كمحور للثورة العربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى الرغم من تباين وجهات النظر ، ومن اختلاف الاجتهادات حول بعض القضايا المطروحة المتفاعلة في الثورة العربية ، فقد ساد الملتقى جو من الروح الرفاقية الأخوية ساعد كثيراً على المناقشة الحرة الصريحة في إطار من النقد البناء الذي يشكل القاعدة الأساسية لكل حوار موضوعي هادف وملتزم بقضايا شعبنا المصيرية .

ولقد التقى الإخوة المشتركون في هذا الملتقى على مجموعة من النقاط :

أولاً – ان المعركة الأساسية التي يخوضها شعبنا العربي ضد الاستعمار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية المتحالفة مع الصهيونية العالمية، المتجسدة في اسرائيل، تتطلب النضال ضد كل الحلول الاستسلامية والتصفوية

لقضية فلسطين ، وتستلزم حشد كافة القوى العربية على امتداد الوطن الكبير لتأمين النصر في هذه المعركة بقيادة القوى التقدمية التي تمثل تطلعات الجماهير العربية العريضة صاحبة المصلحة في تحرير الوطن والانسان العربيين على حد سواء .

ثانياً - ان الكفاح الذي تخوضه الجماهير العربية بكافة أشكاله الفدائية والعسكرية والسياسية ضد الاستعمار والصهيونية لاينفصل عن النضال الثوري التقدمي لكسر طوق التخلف ، وتحرير الوطن العربي من كافة المعوقات التي تقف في طريق بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .

ثالثاً - ان الأحزاب والفصائل الثورية والوطنية مطالبة بأن توحد جهودها وصفوفها في اطار جبهات وطنية تقدمية في كل قطر عربي في ظل علاقات ديمقراطية بين جميع هذه القوى وعلى صعيد الوطن العربي على ضوء برنامج يحدد مهامها الوطنية والقومية والاجتماعية .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

رابعاً - ان الثورة العربية لكي تخوض معركة ظافرة ضد الاستعمار بشكليه القديم والجديد ، وتتمكن من تصفية المصالح الامبريالية في الوطن العربي ، لابد أن يكون نضالها من أجل تحقيق الوحدة القومية مرتبطاً بنضالها الهادف لتحرير الطبقات الكادحة من كل استغلال واضطهاد ، والذي تمثل الاشتراكية العلمية الطريق الوحيد لانجازه .

خامساً - ان توفير مستلزمات النصر في المعركة التي تخوضها الأمة العربية يتطلب دعم الأنظمة التقدمية العربية وحمايتها في وجه المخططات الامبريالية الرجعية ، وتوفير كل مقومات ثباتها وصمودها وتطورها . وهذا يمثل ركناً أساسياً من أركان تقدم الثورة العربية وانتصارها .

سادساً - ان الكفاح المسلح الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني بكل بطولة وبسالة قد أصبح الطريق الحاسم أمام جماهير الأمة العربية وقواها الثورية، طريقاً للخلاص من السرطان الصهيوني المتجسد في اسرائيل ومن يقف وراءها من قوى الاستعمار والامبريالية . وبالتالي فان جميع القوى الوطنية والقومية التقدمية وجماهير الشعب العربي كلها مدعوة لأن تأخذ مواقعها الجدية في هذا الكفاح وتعمل على تطويره ليكون على مستوى متطلبات المعركة التي تخوضها الأمة العربية .

ان دعم الكفاح الفلسطيني المسلح ، باعتبـــاره جزءاً من الثورة العربية الشاملة ، لايتم بمجرد الترحيب بهذا الكفاح والتصفيق له ، انما يتم دعمه بالنضال من أجل تدعيمه وازالة جميع المعوقات والعراقيل التي تحول دون نموه وتصعيده ووحدة فصائله .

ARCHIVE

ولاشك في ان هذا الكفاح المجيد الذي يخوضه الشعب العربي في الارض المحتلة قد اعاد لساحة النضال العربي الواسعة جماهير فلسطين، التي عملـــت القوى السياسية الرجعية والبراجوزية على تطويقها وتجميد فعاليتها طوال مدة تزيد عن عشرين عاماً . وقد كانت عودتها الى الساحة العربية ، عاملاً في قلب ميزان القوى في هذه الساحة لصالح الثورة العربية والقوى المناضلة تحت رايتها .

سابعاً - ان الثورة العربية ، وقد تضافرت ضدها قوى الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية العربية على جميع المستويات ، تعتبر في الوقت ذاته ان اعتمادها على قواها الذاتية هو طريق خلاصها من هذه القوى المعادية . وقد وجـــدت في الشعوب المناضلة من اجل الحرية والعدل - وتقف في مقدمة هـــذه الشعوب ، الدول الاشتراكية الصديقة

والحركات التقدمية في العالم - كل تأييد ودعم ، وهي تدرك ان مزيداً من الدعم والتفهم من هذه القوى رهن بمزيد من صمودنا وتصعيد مواجهتنا .

ولا ريب في ان هذا الالتقاء الموضوعي بين ثورتنا العربية ، والثورة العالمية ككل ، يضاعف كثيراً من امكانات النصر على الاستعمار والامبريالية .

فتحية لجميع الشعوب المناضلة المؤيدة لكفاح شعبنا ، تحية الرفقة في المعركة الواحدة ضد العدو الواحد .

وتؤكد الثورة العربية تأييدها الكامل لكفاح الشعوب الافريقية والآسيوية وشعوب امريكا اللاتينية في نضالها ضد العنصرية والاستعمار والامبريالية ، وخصوصاً شعب فيتنام البطل الذي يخوض منذ سنوات طويلة غمار معركة قاسية ومريرة في سبيل حريته واستقلاله ووحدة ترابه .

ويحيي المجتمعون في الملتقى الخطوة التقدمية لتحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي بين ج . ع . م والسودان وليبيا باعتبارها خطوة نحو تحقيق الوحدة العربية .

ان المشتركين في الملتقى الفكري العربي ، الذي جاء امتداداً لندوة الاشتراكيين العرب التي انعقدت على ارض الثورة بالجزائر بين ٢٢ و٢٨ مايو (ايار) ١٩٦٧ ، يعلنون وهم يختتمون أعمال الملتقى على أرض السودان الثورة ، عن تصميمهم على ضرورة متابعة العمل من أجل تحقيق وحدة الفكر والنضال العربيين على امتداد الوطن الكبير .

ويدعون الى مواصلة عقد لقاءات بين المفكرين والمناضلين والتنظيمات الثورية العربية دعماً لتحقيق هذا الهدف .

ستصدر المعرفة خلال الأشهر المقبلة أعداداً خاصة في :

■ المسرح العربي وقدرته على التفاعل مع المجتمع الثوري

■ السينما ومكانتها في الحضارة الحديثة

■ وقائع مؤتمر الأدباء العرب الثامن (أيلول ١٩٧٠)